استصحبه الفقير حسني عفي عنهما
عنه العفو الكريم ١٠ ع ١٢٦٢

شرح قصيدة بردة

للخربوتي

١٥

HACI MAHMUD EFENDİ
BEŞİKTAŞ
Vakıf Kütüphanesi

T.C. ... Kütüphanesi
1933

٣٣١٥

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısım: Hacı Mahmud ef.
Yeni Kayıt No: 3315
Eski Kayıt No:

3315

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ملأ قلوب الشاعرين بحكمته وزين نفوس العاشقين
بوصلته والصلوة على محمد الذى مدحه الواصفون بالقصايد والاشعار
وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالاقرار وعلى اله الذين هم اهل الهدى
والاقتداء واصحابه الذين من اقتدا بهم اهتدى فيقول العبد العليل
والفقير الكليل عمر بن احمد المفتى الخربوتى اكرمهما الله تعالى فى الاولى
والاخرى لما ابتدات بقراءة القصيدة البردة المباركة فى سنة احدى
واربعين بعد المائتين والالف من الهجرة من مولانا العلامة واوحدنا
الفهامة ذى القلب السديد والراى الشديد العاشق بجمال رسول الله
الصادق فى حب نبى الله استادنا محمد بن عبد الله القيصرى سمى نبى
الله الملك القوى جعله الله تعالى لنا اية تامة ورحمة عامة ونفعنا
بطن وجوده ورفعنا باياد جوده فوجدت تقريراته بهذه القصيدة
الرايقة منظومة كنظم اللالى الفائقة فاردت ان اجمعها بلا نقصان
مع ازديادٍ منى من القواعد والابيات مع عجزى وعدم استطاعتى
فى هذا الميدان بل وجب ان يقال المثل فى هذا الشان نكتى لا يقطع
الزحام

الزحام ولكن تثبتت باذيالهم علماء هذا العام لانهم كالاعلام
بين الانام • ومعينوا الاسلام مستعينا من الملك اللطيف الجميل وهو
المعين فى كل امر جميل فجاء بحمد الله تعالى كتابا مطلوبا وشرحا مرغوبا
وسميته بعصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة فشرعت بعون
الله الملك العظيم • ولطف ربنا الرحيم الكريم • فنقول يجب اولا
نقل بعض احوال الناظم الفاهم وسبب تاليفه هذه القصيدة المشتملة
على مدايح النبى الجا القاسم • وبيان الشروط المبنية فى قرائتها والوجوه
المذكورة فى تسميتها وبيان بعض تاثيرها • ليرغب الناس فى تعظيمها
اعلم ان الناظم الفاهم رحمه الله كان ساكنا بالمصر اسمه محمد وكنيته البصرى
وكان قدس الله سره عالما بالعلوم العربية فصيحا فى غاية الفصاحة
وبليغا فى نهاية البلاغة • لا يوجد له مثل ولا نظير فى الفصاحة والبلاغة
فى الجم الغفير • وكان قدس سره فى بداية عمره من مقربات السلاطين وكان
معتمدا عندهم ومرغوبا فيما بينهم وكان يصفهم بالابيات والاشعار الفصيحة
ويهجوا اعدائهم بالاوصاف القبيحة • وكان يجيئ يوما من عند السلاطين
الى بيته فدخل السكة فاذا صادف شيخا مليحا فقال الشيخ له انت رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل فى المنام وقال البوصيرى والحال انى
لم ار النبى فى تلك الليلة لكن امتلاء قلبى من ذلك الكلام بعشقه
ومحبته عليه السلام فجئت الى بيتى فنمت فاذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع الاصحاب كالشمس بين النجوم فاذا امتلاء قلبى بالمحبة
والسرور ولم يفارق بعد ذلك من قلبى محبة ذلك النور وانشدت
فى مدحه فانتهت قصايد كثيرة كالمضرية والهمزية ثم قال الامام اصابنى

خلط فالج فابطل نصفى وانقطعنى عن الحركة فتفكرت ان اعمل قصيدة مشتملة
على مدائح النبى صلى الله عليه وسلم واتشفى بها من الله تعالى فانشدت
بهذه القصيدة ونمت فرأيت النبى عليه الصلوة والسلام فى المنام
فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام فمسح بيده الكريمة
على اعضائى الحقيرة فقمت من المنام ملابسًا بالعافية عن الآلام فخرجت
من بيتى غدوة فلقينى الشيخ ابو الرجاء الصديق لى فقال لى يا سيدى
هات لى قصيدتك التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم والحال انى
لم اكن اعلمت بها احدا من الناس فقلت اى قصيدة تريد فانى مدحته
عليه السلام بعضا كثيرة فقال اولها امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم فقلت من اين حفظتها يا ابا الرجاء
وما قرأتها على احد ممن الى جاء قال لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدى
النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا كتحرك الاغصان المثمرة
بهبوب نسيم الرياح فاعطيتها اياه فنشر الخبر بين الناس ثم اعلم انه
يلزم فى قرائتها على المرضى شروط ليكون مؤثرا فيما قرئت له اولها التوضى
وثانيها استقبال القبلة وثالثها الدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ورابعها
كون القارئ عالما بمعانيها لان العلماء قالوا لو لم يكن عالما بمعانيها لا يكون فيها
تأثيرات كما اشار اليه على القارى فى مقدمة حزبه الاعظم بقوله فعليك
بحفظ مبانيه والتأمل فى معانيه وخامسها قرائتها بالنظم لانها وردت
منظومة لا منثورة وسادسها حفظها وسابعها ان يكون القارى مأذونا
بقرائتها من اهلها وثامنها قرائتها مع التصلية على النبى صلى الله عليه وسلم
يلزم ان يكون التصلية بالصلوة التى صلى بها الامام البوصيرى وهى مولاى

صلّ وسلم دائما ابدا على حبيبك خير الخلق كلهم لا بغيره والا لا يكون
مؤثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هذه القصيدة فى كل ليلة
يرى النبى عليه السلام فى منامه ولم يوفق له الرؤية فشكى شيخا كاملا
وسئل عن سره فقال الشيخ لعلك انك لا تراعى شرائطها فقال لا بل اراعيها
فراقب الشيخ فقال بعدها وقفت سره وهو انك لا تصلى بالصلوة التى
صلى بها الامام البوصيرى اذ هو يصلى عليه عليه السلام بقوله مولاى
صل وسلم دائما ابدا على حبيبك خير الخلق كلهم وسر تصليته بهذه الصلوة
دون غيرها انه لما انشدها قرأ عليه السلام ولما جاء الى قوله فمبلغ العلم
فيه انه بشر توقف الامام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الامام الى لم اوفق
بالمصراع الثانى لهذا البيت يا رسول الله فقال عليه السلام قل يا امام
وانه خير خلق الله كلهم فادرج الامام هذه المصراع الذى قرأه عليه السلام
فى صلوته وكرره فى اخر كل بيته لشدة حرصه وكمال محبته للنبى عليه السلام
كذا ذكر فى شرح هذه القصيدة المسمى بالشفاء وناسبها الصلوة تلك
الصلوة فى تمام كل بيت ثم انهم بينوا تأثيراتها قال الشارح الشهير
شيخ زاده وحكاية ما شوهد من اثار بركاتها فى الكتب مشهورة عند جماهير
الانام فاغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام وحكى كثرات حيث
انه لما كان فى عين سعد الفاروقى رمد اعظما حتى شرف عينه الى العمى
فرأى النبى عليه السلام كان يقول امض الى فلان وخذ منه القصيدة
البردة واجعلها على عينيك فجاء الى عنده فاخذ القصيدة ووضعها على عينيه
وقرأه فشفى الله بها وقال فى شرح معتمد لو قرأ هذه القصيدة فى كل ليلة جمعة
بين المغرب والعشاء مع مراعات شروطها يموت على الايمان والاسلام

ثم انهم اختلفوا في اسمها فقال بعضهم اسمها برأة بفتح الباء ومع الهمزة لانه
لما كان الامام وسائر المرضى بريئا من مرضه بهذه القصيدة سميت برأة من
قبيل تسمية السبب باسم المسبب وقال بعضهم اسمها بُردة بضم الباء وانما
سمي بها لانها في المعنى كسوة شريفة قدمت على النبي عليه الصلوة والسلام
حيث ذكر فيها مدايحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لان الصفات
بتمامها استوعبا بدانه عليه السلام مثل الكسوة وقيل اسمها بردية بياء النسبية
لان البوصيري قراها حين الاتمام على النبي عليه السلام فالبس عليه بردته الشريفة
فشفي بها فسميت بردية واما ما اشتهر بين الناس من تسميتها بالقصيدة
البردية فغلط صريح ثم قال الناظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالا
بحديث النبي الخبير وجريا على سنن السلف القديم بسم الله الرحمن الرحيم
وبحث البسملة مشهور بين ارباب الافادة والاستفادة فلا حاجة لنا
الى الاعادة لكن ان ترك الناظم الفاهم الحمدلة والتصلية مع ورود الاثار في
حقهما لا يخلو عن سوء ادب ويجاب عنه باني لا اسلم انه تركهما كيف وقد سمع
من بعض العربان الناظم الفاهم ذكرهما في بيت مستقل وهو قوله الحمد لله
منشي الخلق من عدم ثم الصلوة على المختار بالقدم ولو سلم عدم ورود
هذا البيت منه قدس سره فلم لا يجوز ان يكون الهمزة في امن تذكر اه
الى لفظة الجلالة ويشعر الحمدلة كما هو المشهور بين ارباب المتصوفة ولو سلم
عدم جوازه فلا نسلم انه ورد في حقهما اعني في كتابتهما حديث بل الحديث
الوارد في حقهما يدل على الذكر اللساني والناظم الفاهم وان لم يكتبهما لكن تلفظ
بهما ولو سلم فلا نسلم انه ادب سوء ادب كيف وتركهما لهضم النفس
كما وقع مثله من كبار العلماء ثم اعلم ان الناظم الفاهم جعل قصيدته مرتبة

على

على عشرة فصول وذكر في الفصل الاول ميل النفس والهوى فقال مخاطبة
نفسه اى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن بكائه الشديد وسائلا
عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فلله در القائل امن تذكر
جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم الهمزة للا
ستفهام ومن متعلقة بمزجت وانما قدم للحصر او للضرورة او لكونه
علة المزج الدمع بالدم فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع واما تقديم الهمزة
فلما تقرر من ان الاستفهام انما يدخل على المسئول عنه والمسئول عنه ليس هنا
مزج الدموع بالدم بل سبب المزج وهو تذكر الجيران ولانها تقتضي الصدارة
كما لا يخفى والتذكر مصدر من تذكر فهو اعم من الذكر بكسر الذال واما
من الذكر بضمها والفرق بينهما ان الاول يستعمل في الذكر اللساني والثاني
يستعمل في الذكر القلبي كذا بينه الخيالي في بحث العلم والتذكر مضاف الى
مفعوله وفاعله محذوف وهو كاف الخطاب اى امن تذكرك بقرينة
مزجت والخطاب لنفسه ففيه تجريد بديعي حيث جرد من نفسه شخصا
اخر فخاطب له وانما احتاج الى التجريد ولم يخاطب لصاحبه لعدم وجدانه
مصاحبا صادقا في الدنيا وفيه ايضا التفات اذ مقتضى الظاهر ان يقول تذكري
بياء المتكلم فتركه وعدل الى صيغة المخاطب ففيه التفات على مذهب السكاكي
وهو ظاهر اذ هو لم يشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر سواء سبق او لا بخلاف الجمهور
حيث اشترطوا سبق التعبير بما هو مقتضى الظاهر بل يجوز ان يتحقق الالتفات
على مذهبهم ايضا حيث سبق التعبير في البسملة بالتكلم فان قلت
انما يتحقق مذهب الجمهور اذا كان البسملة جزءا من الكتاب وفيه شبهة
قلت كونها جزءا من الكتاب ههنا محقق لدلالة قرينة عليه وهي كون الناظم

الفاهم من مذهب الشافعي على ما قاله اكثر الشارحين وعندهم البسملة
جزء من الكتاب كما لا يخفى على اولى الالباب **فان قلت** في نكتة الالتفات هنا
قلت قال العصام في اطوله نكتة الالتفات ثلثة ومن جهة الكلام ومن جهة
المخاطب فاما النكتة ههنا من جهة المتكلم فالاشارة الى انه قادر على ان يأتي
الكلام باساليب مختلفة واما من جهة الكلام فهو تزيين الكلام لورود ان تغيير
الاسلوب ينشط به القلوب واما من جهة المخاطب فهو اخراج الكلام من البيان
الى العيان اذ الخطاب عيان والتكلم بيان والجيران جمع جار كالنيران جمع نار
والجار من قرب داره الى داره والمراد بالجيران ههنا المحبوب على طريق المجاز والاستعارة
بان شبه المحبوب بالجار الحقيقي في كثرة الاختلاط معه والالتفات به فكذلك
الناظم بمحبوبه وادعى المحبوب من جنس الجار ثم استعير الجار للمحبوب وذكر الجيران
واريد به المحبوب فعلى هذا يكون جمع الجيران للتعظيم كما في قوله تعالى فنعم الماهدون
وتنويه للتفخيم كما في قوله تعالى فيه ايات بينات والباء في بذي سلم بمعنى في
والظرف مستقر صفة الجيران اي جيران كائنين في مكان ذي سلم والسلم
بفتح اللام اسم شجرة وبكسرها جنس السلمة كما في كلمة وكلم وهي ايضا اسم شجرة
في الوادي بين المكة والمدينة فالمراد ههنا بهذه الشجرة لان مراده من الجيران محبوبه
اعني النبي عليه السلام وهذه الشجرة لها مناسبة للنبي عليه الصلوة والسلام
لانه عليه السلام كلما ذهب المكة وسلك ينزل الى تحت هذه الشجرة ويستريح
فيها فالمعنى امن تذكرك المحبوب الكائن واللابس في مروره بمكان ذي شجرة معهود
وقيل المراد من السلم دار السلامة من الجنان فيكون فيه استعارة بان شبه روضة
النبي عليه السلام بالجنة المسماة بدار السلامة في كونها شريفة وكونها
خير المكان وادعى الروضة من جنس دار السلامة ثم استعير دار السلامة

فذكر

فذكر اللفظ الدال على دار السلامة واريد منه الروضة المباركة وقيل
المراد من السلم بمعنى السلامة من الاثام لان قوله ذي سلم صفة موصوف
محذوف اي مكان ذي سلامة والمراد من المكان اعلا العليين فعلى هذا يكون
المراد من الجيران ارواح الانبياء والاولياء والصالحين والمراد بجاديتهم
جاريتهم في عالم الارواح قبل حلولها الى الابدان كما في قوله عليه السلام
الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
فحاصل المعنى امن تذكرك الجيران في عالم الارواح الكائنين في محل ذي سلامة
لان محل الارواح اعلى العليين قبل حلولها الى البدن واعلا العليين محل ذو
سلامة من الاثم والالام قال العصام ان كلمة ذي ان كان صفة لنكرة فهي
تضاف الى النكرة وان كان بالعكس فهو بالعكس والفرق بين ذي والصاحب
ان في ذي يكون المضاف اشرف من المضاف اليه كما في قوله تعالى ذو العرش
المجيد وفي الصاحب يكون بالعكس كقولهم لابي هريرة رضي الله عنه
صاحب النبي عليه السلام دون ذي النبي مزجت بصيغة الخطاب
خطاب للشخص الذي جرده من نفسه عبر بصيغة الماضي اشارة الى
تحقق وقوعه والمزج الخلط واكثر العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم
بان المزج انما يقال بما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلو المطبوخ
من العسل والدهن والدقيق والخلط اعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة
واحدة كما في المزج او حقايق مختلفة كخلط الدراهم الى الدنانير فبينهما عموم
وخصوص مطلقا فكل مزج خلط بدون العكس فاختيار الناظم الفاهم
المزج على الخلط للمبالغة كما لا يخفى والدمع ماء مالح يجري من العين عند الحزن
وفرقوا بين بكاء الحزن وبكاء السرور بان الماء السائل من العين في السرور

مطلب الفرق بين المزج والخلط

بارد وفي الحزن حار والدمع اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل دمعة للاشارة
الى ان الجاري من عينه ليس واحدة بل كثير واما للتنظم وجرى من الجريان
وهو كالسيلان لفظا ومعنى وجملته صفة دمع لكنه وصف وتوضيح
لا احترازي كما في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ومن مقلة
متعلق بجرى والمقلة البياض والسواد اللتان في داخل العين كما قال
الشاعر اذا ما مقلتي رمدت فكحلي تراب مس نعل ابي تراب وهو البكاء
في المحراب ليلا هو الضحاك في يوم الضراب وبدم متعلق بمزجت
والتنوينات في دمع وفي مقلة وفي دم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب
ثم ان مزج الدمع بالدم اما حقيقة كما يشعر به قوله الاتى واثبت الوجد
خطي عبرة وضنا واما كناية عن لازمه وهو شدة الحزن والالم ثم اعلم
ان الشخص المجرد من نفسه كانه لما ستر عشقه وانكر محبته عملا بما في كتب التصوف
من ان العشق كلما كتم في القلب يزداد لانه كالمسك كلما كان مستورا
كان منشورا اثبته الناظم الفاهم في مقابلة الشخص المجرد من نفسه
بقوله مزجته بترتيب قياس استثنائي ترتيبه هكذا لسلطان المحبة
في مدينة قلبك والا اي ولو لم يكن سلطان المحبة في مدينة قلبك لما مزجت
الدمع بالدم لكن التالي باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان السلطان المحبة
في مدينة قلبك ولما منع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذه
القياس اثبته بقوله امن تذكر مع ما عطف عليه لانه علة له كما سبق وما عطف
عليه قوله ام هبت الريح من تلقاء كاظمة واومض البرق في الظلماء
من اضم فترتيب قياسه هكذا مزجك الدمع بالدم من اثار المحبة لان مزجك
الدمع بالدم اما من تذكر الجيران واما من هبوب الريح من تلقاء كاظمة واما

من

من ايماض البرق في الليلة الظلماء من اضم وتذكر الجيران دال على اثار
المحبة وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على اثار المحبة وايماض البرق
دال على اثار المحبة ينتج ان مزجك الدم بالدم دال على اثار المحبة ثم ان كلمة
ام متصلة او منقطعة واكثر الشارحين رجحوا الاولى لان ام المنقطعة
هي الواقعة بين الجملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الاخر وهنا ليس
كذلك لان هذا البيت بمصراعيه والبيت الاولى كلام واحد علة لكون
مزج الدمع بالدم من اثار المحبة كما عرفت وليس كل واحد منهما مستغنيا عن الاخر
واما ام المتصلة فهي التي ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الاخر
وهنا كذلك ومن اختار المنقطعة قال ان هذا البيت منقطع عما قبله
كان قيل امن تذكر جيران مزجت لا بل من هبوب الريح وهي واحدة الرياح
يذكر ويؤنث والريح من الروح وهو بمعنى الذهاب سمي الريح ريحا لكونه
ذاهبا دائما ومن تلقاء متعلق بهبت وتلقا بمعنى جانب والجهة كما في قوله
تعالى تلقاء مدين وكاظمة اسم من اسماء المدينة نورها الله الى يوم القيمة
وهي اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما في قوله تعالى والكاظمين
الغيظ فاسناد الكاظمة الى المدينة مجازي مثل جر النهر لان المدينة غير كاظمة
الغضب بل من خواصها من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد من الكاظمة
روضة رسول الله عليه السلام مجازا من ذكر العام وارادة الخاص ثم المراد
من هبوب الريح من جانب المدينة اما حقيقة لانه مما وقع من ان الريح
اذا جاء من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق ويورث له البكاء واما المراد
من جملته لازمه اعني وصول اثار المعشوق واخبار المحبوب لان الريح من لوازمها
ايصال شيء كالرايحة والكلاء اليابسة مثلا من مكان الى مكان اخر فعلى هذا

يكون مجازا مرسلا مركبا على القائلين به ويكون حاصل المعنى ام وصلت اليك
الاخبار والآثار من طرف الكاظمة او المراد من الريح الرائحة الطيبة كما في قوله
تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام انى لاجد ريح يوسف اى رائحته فعلى هذا
يكون الهبوب بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وارادة اللازم فالمعنى ام شمم
انفك الرائحة الطيبة التى نشرت من تلقاء كاظمة او المراد من الريح ريح الصبا
فيكون المراد به اوصاف النبى عليه السلام مجازا واستعارة بان شبه اوصاف النبى
واخلاقه العظيمة بريح الصبا فى كونهما باعثا للسرور فكما ان الريح الصبا يعطى
الفرح لمن اصابه كذلك اوصافه عليه السلام واخلاقه يعطى السرور لمن سمعها
وادعى اوصاف النبى من جنس ريح الصبا ثم استعير ريح الصبا لاوصاف النبى
عليه السلام فذكرت ريح الصبا واريد منه اخلاقه عليه الصلوة والسلام
فعلى هذا يكون هبت ترشيحا للاستعارة المصرحة بمعنى التحرك او النشر والواو
فى اومض اما على حقيقته اى الجمع فيكون سبب البكاء اما تذكر الجيران واما مجموع
هبوب الريح وايماض البرق واما بمعنى او الفاصلة فيكون على هذا سبب البكاء اما
تذكر الجيران فقط واما هبوب الريح فقط واما ايماض البرق فقط ويكون نكتة
المجاز اى التعبير بالواو دون او الاشارة الى ان التى بدات الثلث مانعة الخلو اى
سبب البكاء لا يخلو من هذه الامور الثلثة بل يجوز جمعها ثم ان كلا من هبت
الريح واومض البرق فى تاويل المصدر معطوف على تذكر اى هبوب الريح وايماض
البرق واومض ماضى من الايماض وهو اللمعان والظهور والبرق بالرفع فاعل
اومض وفى الظلماء متعلق باومض والظلماء صفة موصوف محذوف اى الليلة
الظلماء وهى مؤنث اظلم ولمعان البرق فى الليلة الظلماء اما على حقيقته لانه اذا
لمع البرق فى جانب المعشوق ينور ذلك الجانب ويورث دهشة للعاشق او المراد

من الليلة

من الليلة الظلماء بداية العشق واوله مجازا واستعارة كما فى قوله صدغ
الحبيب وحالى كلاهما كالليالى فكانه شبه بداية العشق واوله بالليلة
الظلماء فى وقوع التحير وفقدان الطريق فكما ان فى الليلة الظلماء يتحير كل من
سلك ويفقد طريقه فكذلك العاشق فى بداية الامر يعرض احوال فيتحير ويفقد
طريقه ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق وذكر الليلة الظلماء واريد بداية
العشق فعلى هذا يكون فى ايماض البرق ايضا استعارة حيث شبه وصلة الحبيب
ونهاية العشق بلمعان البرق فى سرعة الذهاب فكما ان لمعان البرق يذهب
سريعا فكذلك الوصلة اذ تقرر فى موضعه ان العاشق متى وصل معشوقه
لا يبقى فى الدنيا بل يذهب سريعا ومن اضم متعلق باومض والاضم بكسر الهمزة
وفتح الضاد اسم جبل قريب من المدينة وهو محل عليه السلام اذ فى اكثر اوقاته
كان يسكن فيه فهو اما على حقيقته واما يراد به المحبوب من ذكر المحل وارادة
الحال وهو المناسب ان اريد من لمعان البرق ظهور نور النبى عليه السلام على وجه
الاستعارة المصرحة بان شبه ظهور نور النبى عليه السلام بلمعان البرق
فى الاضائة ورفع الظلمة ثم استعار لمعان البرق لظهور نور النبى عليه السلام
وذكر المشبه به واريد المشبه فعلى هذا يكون الليلة الظلماء على حقيقته ويؤيد
هذا المعنى ما روى انه كلما دنا فى المدينة يظهر منها نور النبى عليه السلام لبعض
الخلصاء من الحجاج والناظم القاصر من خلص الخلصاء فكيف لا يظهر له وقال المصنف
يلزم لهبوب الريح وايماض البرق بعد مسافة المحبوب ومن عادة البلغاء انهم يجعلون
بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال الشاعر هى الشمس
مسكنها فى السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا فلن تستطيع اليها الصعودا ولن تستطيع
اليك نزولا فما لعينيك ان قلت اكففا همتا وما لقلبك ان قلت استفق يهم

فكانه لما ورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه
بان يقال لا نسلم امتزاج دمعى بالدم اما من تذكر الجيران او هبوب الريح او لمعان
البرق لم لا يجوز ان يكون من سبب اخر من مرض اصاب الجسم او اصابته المصيبة
ترك الناظم ما وجب عليه من اثبات مقدمته الممنوعة وانتقل الى دليل اخر مثبت
لكون مزجه بسبب العشق والمحبة فقال فما لعينيك اه اى مزج الدمع بالدم من العشق
والمحبة ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لكنت ما قلت لعينيك
وقلبك لكن التالى بط والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو مزج الدمع بالدم
من المحبة والهوى واثبت التالى بقوله ان قلت اه اى انك غير مالك
لعينيك وقلبك ولو كنت مالكا اليهما لكف عيناك ان قلت لهما
اكفف واستفاق قلبك ان قلت له استفق لكن التالى بط لانك
لو قلت لهما اكففا لا يكفان بل يهميان ولو قلت له استفق لا يستفيق
بل يهيم والمقدم مثله فثبت نقيضه فان قلت الانتقال من الدليل الى
دليل اخر لا يجوز للمعلل لانه افحام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم قلت
انما لا يجوز الانتقال من دليل الى دليل اخر لو لم يكن المعلل قادرا على اثبات
الحكم الاول بانواع الدلائل كما كان فى محاجة ابرهيم عليه السلام مع نمرود عليه
اللعنة واما اذا كان قادرا ويكون مراده اثبات اصل المطلوب بانواع الدلائل
فلا يضر الانتقال وما وقع ههنا من قبل الثانى كما لا يخفى ثم ان الفاء فى فما فصيحة
والفاء الفصيحة هى التى تدل على الشرط المحذوف وهو ههنا ان لم يكن مزجك
الدمع بالدم من العشق والمحبة فما حصل لعينيك اه هذا عند الكشاف وعند
السكاكى هى التى تدل على السبب اى على سبب المحذوف غير شرط كما فى قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت بغير شرط

واما

واما عند غيرهما الفاء الفصيحة هى التى دلت على سبب محذوف سواء كان شرطا
او معطوفا عليه وما استفهام فهو اما يسئل به عن الجنس او الصفة وههنا
سؤال عن الجنس ولعينيك اللام فيه متعلق بالمقدر اى ما حصل لعينيك
وفى الكاف الخطاب تجريد ايضا فتذكر وجملة ان قلت اكففا هنا تفسير لما
وقلت على صيغة الخطاب ومفعوله محذوف اى لهما فالقول هنا بمعنى الخطاب
لما تقرر ان القول يجيئ لمعان بحروف لانه ان استعمل بالباء يكون بمعنى الحكم
واذا استعمل بعلى يكون الاعتراض واذا استعمل بفى يكون بمعنى الاجتهاد واذا استعمل
باللام يكون بمعنى الخطاب وقال دده جنكى فى حاشية سعد الدين من الصرف
القول فى استعماله بالباء يجيئ لمعان نحو قال بيده اى اخذ بيده وقال برجله
اى ضرب بها او مشى بها وقال برأسه اى اشار برأسه وقال بالماء على يده
اى قلب وقال بثوبه اى رفعه وجملة اكففا مقول القول له واكففا
على صيغة التثنية امر من كف اى منع كما قيل خير المرء من كف فكه وفك كفه
وشر المرء من كف كفه وفك فكه فان قلت كان الادغام فى اكففا واجبا
ففكه خلاف قياس ومخل للفصاحة قلت اجاب عنه الشارحون بوجوه
قال العصام يجوز ان يكون فكه للضرورة الشعر كما قال الشاعر فى عد ضرورة
الشعر ﴿ واشباع تحريك وفك بدغم ﴿ وتذكير تانيث وعكس بنده ﴿
وقيل تعدد العين انما هو فى الصورة واما فى الحقيقة فواحد فلفظ اكففا
بالنظر الى الحقيقة مفرد وان كان تثنيته فى الصورة وفك ادغام المفرد
جائز وهذا الجواب لطيف جدا لانه مبنى على مذهب الوجودية من المتصوفة
فانهم قالوا العين فى الانسان واحد لا اثنان ولهذا لا يرى الانسان شيئا
شيئين والتعدد الصورى لا يقدح فى الوحدة فى الحقيقة وقيل فك الادغام

على نوهم الافراد فلا يخل بالفصاحة كما يخل في قوله الحمد لله العلي الاجلل وقال بعضهم انه اشارة الى ان الناظم الفهم قال به بلسان وبهشة وهيبان كانه لم تعقل بقواعد البرهان ومثل هذا بعد ظرفة في البيان فلا يعاتب بسنان اللسان هنا ماض مثنى من همى نهمى هميانا بمعنى سالتا وضمير التثنية راجع الى عينين واسنادهما الى العينين مجاز اذ العينان لا تسيلان بل تسيل منهما الماء فاسنادها اليهما من قبيل سال الميزاب ورد السكاكي هذا المجاز الى الاستعارة المكنية والتخييلية وانكر المجاز العقلي فعلى هذا العين في الذهن بالمطر في الترافة فكما كان المطر اشرف المياه كذلك كان العين اشرف الاعضاء ادعى للمشبه به فردان فرد متعارف وهو المتعارف غير مطر وهو العين ثم استعير المشبه به في الذهن وهو الفرد المتعارف اعنى المطر للفرد الغير المتعارف اعنى العين ثم ذكر في الخارج المشبه وهو الفرد الغير المتعارف اعنى العين واريد العين الغير المتعارف ثم انتزع من جانب المشبه وهو سيلان العين امر وهمي وشبه بجريان الماء في سرعة الجريان ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو سالتا واريد المشبه ويجري فيه ايضاً مذهب الجمهور بان شبه العين في الذهن بالمطر في سرعة السيلان ثم استعير المطر في الذهن للعين وفي الخارج ذكر المشبه اعنى العين واريد هو والرمز والاشارة الى الاستعارة التي كانت في الذهن انبت هما التي من لوازم المشبه به والى المشبه به بهذا الاثبات تخييلية عندهم ثم ان جملة هنا جزاء لقوله ان قلت اكففا فان قلت الشرط سبب للجزاء على ما تقرر في النحو فكيف يكون قوله ان قلت اكففا سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سببه له قلت السبب اعم من السبب العقلي والعادي والعرفي وهذه الجملة الشرطية وان لم تكن سببا

عقلياً

عقلياً او عاديا لهذا الجزا لكنها سبب عرفي والمراد من العرف عرف العاشقين لان في عرفهم العشق يفعل خلاف ما يامر به العقل فههنا وان امر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل بسبب ذلك الامر بخلافه فسال من عينيه ما اشد السيلان وما لقلبك اي وما حصل لقلبك والقلب شكل صنوبري تحت الضلع الايسر وهو منبع الحيوة والايمان قال بعض العارفين خلق الله تعالى اولا الروح ثم الجسد وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا ثم امر الروح بالازدواج مع الجسد فازدوجا فحصل منهما ولدان ذكر وهو القلب الذي هو موضع الايمان وتبع هو للروح وانثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هي للشيطان والجسد لان النتيجة تابعة لاخس المقدمتين واستفق امر من استفاق بمعنى لحاق الشيء للوجدان اي كن مفيقا ويهم من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم وجملة جزاء لما قبله ويرد ايضا عليه السؤال السابق ويجاب بما يجاب فيه فتذكر واختار الماضي في جزاء الشرط الاول لكونه محققا واختار ههنا المضارع لان ما في القلب مضمر والاطلاع عليه متعذر ثم ان في هذا البيت من صنايع البديع جناس شبيه بالمشتق بين الهميان والهيمان كما في قوله تعالى قال اني لعملكم من القالين الاول من القول والثاني من القلي ثم اعلم ان خاصة هذه الابيات الثلث انه اذا كان عندك بهيمة لا تقبل التعليم فاكتب هذه الابيات الثلث في زجاج وامحها بماء المطر واسقها للبهيمة فانها تتعلم وتذل لك قال الاستاذ طول الله بقاه جربته ووجدته صحيحا وايضا اذا كتب هذه الابيات الثلثة في رق غزال وعلقت على عضد من في لسانه ركاكة وضيق يتعلم باذن الله تعالى ويكون فصيحا ايحسب الصب ان الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم

خلق الله تعالى اولاً الروح ثم الجسد

لما كان للتظلم الفاهم صحا شديدًا على اثبات دعوى كون المحبة
فى قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل اتى على دعواه
دليلاً آخر ولذا قال ايحسب الصب اه اى لولم يكن محبتك ثابتًا
لما كنت دائرًا بين دمع منسجم وقلب مضطرم لكن التالى بط والمقدم
مثله فثبت نقيضه ثم الهمزة للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى ههنا
كما كان فى قوله ايقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال
ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والحسبان الظن والمعنى لا تظن
العاشق كون المحبة منكتمًا لان الظن منهى عنه لكونه اثمًا كقوله تعالى اجتنبوا
كثيرًا من الظن ان بعض الظن اثم وفى يحسب التفات من الخطاب الى الغيبة
على مذهب الجمهور والسكاكى ونكتة الالتفات عامة وخاصة فالنكتة العامة
تنشيط القلوب بتغيير الاسلوب والخاصة اجراء الصفة المادحة على نفسه
وهى النصب لانه لو قال اتحسب بصيغة المخاطب لما امكن اجراؤها على نفسه
فان قيل لو قال تحسب لامكن ايضًا اجراء الصفة المادحة عليه بان يجعل النصب
صفة لفاعل تحسب اعنى انت الضمير المستتر لا غيره قلنا لا يمكن على هذين التقديرين
لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به كما قال الشاعر اضمرت فى القلب هوى
شادن مشتغل بالنحو لا يوصف فقلت ما اضمرت يوما له فقال لى المضمر
لا يوصف ولان الضمير لا يدل على غير المتكلم الا اذا كان غايبًا وفيما نحن فيه
مخاطب فان قلت لا نسلم كون النصب صفة مادحة قلنا ان النصب فى الاصل
مصدر بمعنى الارقة لكن المراد منه ههنا العاشق الكامل وانما سمى العاشق الكامل
به لانه يبكى فى كل اوان كما قال الشاعر وما فى الخلق اشقى من محب وان وجد
الهوى حلو المذاق تراه باكيًا فى كل حال مخافة فرقة او لاشتياق فيبكى

ان نأوا

ان نأوا اشوقا اليهم ويبكى ان دنوا خوف الفراق وان للتأكيد والحب مصدر
بمعنى المحبة ومنكتم من الانكتام اى مستتر وقابل للاستتار واكد هذا الكلام
باداة والجملة الاسمية لكون المقام مقام الانكار وما زائدة وبين طرف لمنكتم
ومنسجم صفة موصوف محذوف اعنى ودمع منسجم وهو من الانسجام بمعنى الهطل
والصب اى دمع هاطل ومنه متعلق بمنسجم والضمير راجع الى الصب بطريق الاستخدام
لان المراد من الصب العاشق الكامل ومن الضمير الراجع اليه العضو المخصوص اعنى العين
كما لا يخفى ومضطرم معطوف على منسجم وهو ايضا صفة موصوف محذوف اى قلب
مضطرم وهو بمعنى ملتهب ومشتعل وفى المضطرم استعارة مكنية حيث شبه
فى الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه بارجاع ضميره اليه بشجرة العود فى كونهما
قابلين للايقاد وشاملين للرائحة الطيبة لان قلب العاشق اذا كان ملتهبا
ينتشر منه الرائحة الطيبة على ما قاله المتصوفة وادعى ان شجرة العود فرد ان فرد
متعارف وهو شجرة العود حقيقة وفرد غير متعارف وهو القلب ثم استعير المشبه
للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد به المشبه ايضا اعنى القلب وهذه استعارة
مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو التهاب القلب وايقاده وكونه
مكتنفا بالرائحة الطيبة عند الايقاد وشبهه بالتهاب شجرة العود ثم ذكر اللفظ
الدال على المشبه وهو المضطرم اذ هو حقيقة فى شجرة العود واريد المشبه وهو التهاب
القلب وهذه الاستعارة تخييلية وهذا عند السكاكى واما عند الخطيب فان شبه
فى الذهن القلب بشجرة العود وفى الخارج اثبت ما هو من لوازم المشبه به الى
المشبه للاشارة والرمز الى التشبيه واعلم قال مصنفك فى هذه المصراع ايضًا
الا ان الواشى اولا نه من قبل صاحب السر فكتمان السر يتعسر عليه بل يتعذر
فكيف ذلك لان الواشى جزء منه خصوصا اذا كان اثنين سيما اذا كانا

متعاونين كما فيما نحن فيه انتهى وحاصل معنى البيت لا تظن العاشق ان
المحبة مستترة كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف
الحب فكيف تظن انكتام الحب فكان العاشق ادعى انكشاف المحبة والشخص المجرد
من نفسه انكره فذهبا الى محكمة الشوق فاستحكى من قاضي الشوق فحكم القاضي
بالاثبات للعاشق المدعي عملا بالحديث المشهور البينة للمدعي واليمين على من انكر
فاتى العاشق بشاهدين على دعوى انكشاف المحبة فبقبل القاضي دعوه فان قلت
الشاهد الاول مقبول لكن معتبر لبيان الشاهد الثاني ممنوع لان حاله مستور
اذ القلب لا يطلع عليه احد الا الله تعالى قلت ان الشاهد الاول يقوي الثاني
لان الدمع يدل على ما في القلب كما قال بعض الفضلاء اذا انفعل القلب سرى الاثر
الى العين فعند اشتداء الحزن تدمع وعند اشتداء الفرح تلمع ومن تقريرنا علم
ان في هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الامور المذكورة
في هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهدا والقلب المضطرم شاهدا اخر وكونهما
مثبتين لدعوى مدعي قد اثبت المحبة لدعوى من انكر المحبة بالهيئة المنتزعة
من الامور المحسوسة وهي كون الشاهدين في الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل
اخر منكر ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك ثم استعير الهيئة المنتزعة من الا
مور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به
فعلى هذا يجري استعارة مصرحة في مفردات من الامور بان يشبه بالدمع
المنسجم مثلا بالشاهد في اثبات الحكم ثم يستعار للشاهد المنسجم ثم ذكر المنسجم
واريد الشاهد وقس عليه البقية هذا لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا ارقت لذكر البان والعلم في هذا البيت دعوى بدليل اخر
ايضا للتأكيد والتوضيح والاشارة الى انه صادق غير نادم بمثابت

فقال

فقال لولا الهوى يعني ان سلطان المحبة في مدينة قلبك ولو لم يكن سلطان المحبة
في مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم لكن التالي باطل
والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم لولا يستعمل على اربعة اوجه الاول انه يدخل
على جملة اسمية ويكون لامتناع الشيء لوجود غيره وخبر المبتدا بعده واجب الحذف
والثاني ان يكون للتحضيض والعرض فيختص بالمضارع والثالث ان يكون
للتوبيخ والتنديم فيختص بالماضي والرابع للاستفهام وهنا من قبيل الاول
فتقديره لولا الهوى موجود فيك والهوى بالقصر مصدر هوي من باب علم وهوى
من باب ضرب وهو هاهنا بمعنى العشق والمحبة لان الهوى يجيء على ثلثة
معان الاول ميل النفس الى ما لا يقتضيه الشرع وهو مذموم كما في قوله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه والثاني العشق والثالث بمعنى المهوى اي المحبوب كما في قوله
هواي مع الركب اليمانين مصعد ويحتمل ان يكون المراد من الهوى المعنى الثالث
ايضا ويكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اي لولا محبوبك ولم ترق
مضارع من اراق يريق اصله يروق فاعل كاعلال يقيم ثم دخل عليه الجازم
فحذف الياء والاراقة بمعنى الصب كما في قول ابن الحاجب بعد قتله اراقدمي
اراقدمي ها ندمي اها ندمي وفي لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب والتفاته
سريعا الى الخطاب لاخراج الكلام من البيان الى العيان ولتعريف الدمع قد مضى
فاصفي اليه وتنوينه للتعظيم كما ان تنوين طلل للتحقير كما في قوله له حاجب
في كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب وعلى متعلق بلم ترق
والطلل بفتحتين اثر الدار الخربة اي الاحجار من جدران البيت الخربة فكانه
يقول لو لم يكن لك محبة مع اهل المنازل وسكانه لما صببت من عينيك
الدمع العظيم على اطلال المنازل الحقيرة ويحتمل ان يكون مراده بالطلل المكة المكرمة

لانها بهجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها صارت خربة معنى اذ معموريتها
كانت بكون النبي عليه السلام فيها كما قال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد حيث استفيد منها ان كون المكة المكرمة لا يقسم بكونها
مقسما به لله تعالى لاجل حلول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فبعد
هجرته عليه السلام كانت الاثار الباقية الدائمة في المكة المكرمة الان هي اثار
الخربة معنى ولذا اتفقوا على ان التراب الماسة ببدن رسول الله عليه السلام
افضل الامكنة وانهما كما سيأتي تفصيله وعلى هذا المعنى يكون على بمعنى اللام
الاجلية اي لم يكن محبتك لم ترق دمعا لاجل ملاحظة المكة بان المحبوب قد
هجر منها وكانت الارض الباقية خربة فتأمل ويجوز ان يكون في طلل استعارة
مصرحة بان شبه اثار المحبة والعشق الكائنة في قلب العاشق باثار الدار الخربة
في كونهما دائرين بين الامرين اعني عدم المعمورية بالكلية ثم استعير اثار الدار
الخربة لاثار المحبة فذكر اللفظ الدال على المشبه به واريد المشبه ولا ارقت
عطف على لم ترق ولا زائدة لتأكيد النفي وارقت من ارق يارق من باب
علم وهو بمعنى سهر الليل وعدم النوم فيها فالمعنى لو لم يكن سلطان المحبة
في مدينة قلبك لما سهرت الليل لكن التالي باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه
لان المحب لا ينام كما قال الشاعر عجبا للمحب كيف ينام فان النوم على المحب
حرام واللام في لذكر البان اجلية والذكر اما بالكسر او بالضم وهو مصدر
مضاف الى مفعوله وفاعله متروك اي لاجل ذكرك البان والبان شجرة ذات
لطيفة الرائحة وقيل المراد به الشجر المعهود القريب من المكة الذي قد كان النبي
عليه السلام يجلس تحته ويكالم مع الاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين
فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وقيل هو شجر في طيبة الحجد

والقد

والعلم فيه استعارة مصرحة حيث شبه النبي عليه السلام بتلك الشجرة
في حسن الطلعة ونهاية اللطافة ثم استعير الشجرة المذكورة للنبي عليه الصلوة
والسلام فذكر المشبه به واريد المشبه والعلم اسم جبل كما في قوله وان صخرا لتأ
تم الهداة به كانه علم في رأسه نار قيل المراد منه هنا جبل من جبال المكة
فقيل هو جبل ابي القبيس وقيل جبل حرى وقيل جبل فيه غاره عليه السلام
وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وارادة الحال لان هذه الجبال
كانت امكنة النبي عليه السلام او استعارة مصرحة بان شبه المحبوب
بالجبل في العظمة والمهابة وحسن الكرهية والرفعة ثم استعير الجبل للمحبوب
وذكر المشبه به واريد المشبه وعلى هذا يكون اللام في قوله لذكر البان للوقتية
كما في قوله تعالى لدلوك الشمس قال الاستاذ طول الله بقاه وجعل اخره
خيرا من اولاه خاصة هذا البيت وحدها انه من كان في قلبه ضيق
وكربة وعسرة من الالام والاكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة
على تفاحة فليأكلها فانه يزول ضيق قلبه وعسرته ولو كتب على زجاجة
ومحاه بالماء وشربه يزول ضيق قلبه ايضا لكن في الكتابة على التفاح يكون
التأثير ازيد وقال الاستاذ جربناه مرارا فوجدناه صادقا **فكيف**

تنكر حبا بعد ما شهدت   به عليك عدول الدمع والسقم

فلما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كانه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه
ان شاهديك غير عادلين فلا يثبت بهما دعواك فاثبت عدلهما بقوله
فكيف تنكر الفاء في فكيف فصيحة اي اذا دلت الادلة السابقة وبعد ما شهدت
الشواهد اللواحق على دعوى ان سلطان المحبة في مدينة قلبك فكيف وكيف
حال لا مفعول فيه والاستفهام اما للتعجب كقوله تعالى كيف تكفرون بالله

مطلب في انواع الاضافة

او للتوبيخ او للاستبعاد اى لا ينبغى ان تنكره بعد هذا وتنكر من الانكار وهو
الجحد ضد الاقرار وحبا مفعول تنكر وتنوينه للتعظيم كما فى قوله صبّت علىّ مصائب
لو انها صبّت على الايام صرن لياليا وبعد بالنصب ظرف لتنكر وما اما
مصدرية فضمير به للحب واما موصولة وضمير به له والشهادة خبر صادق
صادر من شخص صادق وبقرينة الاسناد الى العدول فيه استعارة مصرحة
وتبعية بان شبه الدلالة بالشهادة فى اعلام الشيء واظهاره ثم استعير الشهادة
لمفهوم الدلالة ثم كانه ذكر الشهادة واريد منه الدلالة وتبعية هذه الاستعارة
اشتق من الشهادة شهدت ومن الدلالة دلت وبواسطة العلاقة فى مصدر
شبه هيئة دلت بهيئة شهدت ثم استعير شهدت لمفهوم دلت فذكر شهدت
واريد منه مفهوم دلت وعلىّ عليك مستعمل فى الضرر كما فى قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وكقوله قد اصبحت ام الخيار تدّعى علىّ ذنبا كله
لم اصنع وانما استعمل فى الضرر لان قلب العاشق غير راض باظهار عشقه
واثباته بل ينكره غاية الانكار لئلا يفتضح عليه الاحوال والاسرار والعدول
جمع عدل بمعنى عادل بمعنى الموثوق المعتمد فى الشهادة واضافته الى الدمع
والسقم بيانية لغوية او بمعنى من اى العدول المستفاد من جهتهما واعلم
انهم بينوا ان المضاف اليه اما مباين للمضاف وح ان كان ظرفا له فبمعنى
فى والا فبمعنى اللام واما مساو او اعم مطلقا فالاضافة ممتنعة واما اخص
مطلقا كيوم الاحد فبمعنى اللام واما اخص من وجه فان كان المضاف اليه
اصلا للمضاف فبمعنى من والا فبمعنى اللام ولا يلزم فيما بمعنى اللام ان يصح
التصريح بها بل يكفى افادة الاختصاص الذى هو مدلول اللام ثم انهم قالوا
يشترط فى الاضافة البيانية الاصطلاحية اى النحوية العموم والخصوص

من وجه

من وجه وكون المضاف اليه اصلا للمضاف وفى اللغوية قد يكون بينهما عموم
مطلقا وقد يكون من وجه لكن يشترط على صورة الوجهان لا يكون المضاف اليه
اصلا وفى الاضافة اللامية قد يكون بينهما عموم مطلقا فيجمع مع الاضافة البيانية
كما كان فى هذا المقام وقد يكون عموم من وجه ولا يكون المضاف اليه اصلا للمضاف
فاحفظ هذا الكلام فانه مما ينفعك فى اكثر المقام ويجوز ان يكون اضافته
العدول من قبيل اخلاق ثياب والدمع قد مر تعريفه غير مرة والسقم المرض والالف
واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى سقم القلب ومن قال الالف واللام فى الدمع
ايضا عوض عن المضاف اى دمع العين فقد سهى فافهم ثم ان استعمال صيغة الجمع
اعنى العدول فى المثنى اعنى الدمع والسقم اما للتعظيم كما فى قوله تعالى وانا له
لحافظون او مبنى على ما قيل ان اقل الجمع اثنان مستندا بقوله عليه السلام الاثنان
وما فوقهما جماعة فتأمل ويمكن ان يقال ايراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع
والسقم جمعا باعتبار الافراد والانواع من قبيل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
ثم ان فى الدمع والسقم استعارة بالكناية بان شبه كل واحد من الدمع والسقم القلب
بالشخص الصادق فى اظهار شيء وقع فى نفسه وادعى للشخص الصادق فردان
فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة وغير متعارف وهو الدمع او مرض القلب
ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد المشبه ايضا وهذا الاستعارة
مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو شهادة الدمع والسقم وشبه
بشهادة الشخص الصادق فى افادة الحكم واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة
المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة اى فى شهدت واريد منه الشهادة المخيلة ثم
اثبات العدول ترشيح لهذه الاستعارة وهذا البيت اول الابيات الستة التى

تمايل فيها النبي عليه السلام حين قراءة الامام في رؤياه عليه
عليه السلام وينبغي للقارى لحاجة ان يقرأ هذا البيت ثلثا كذا قاله
شارح هذه القصيدة جعفر باشا الهى لا تجعلنا من زمرة اهل الفسق
والهوى واجعلنا ممن قلبه ملأ بمحبة نبيك المصطفى وعينه في كل
وقت من عشقه جرى وبكى **واثبت الوجد خطى عبرة وضنى**
مثل البهار على خديك والعنم ولما شهد على دعوى الناظم بان
في قلبك محبة وعشق شاهدان صادقان عادلان وحكم القاضي في
دار الحكومة بان دعواه حق وصادق وقال لكاتب دار الحكومة اكتب
دعويهما اى سجلها فسجلها ولذا قال الناظم الفاهم للمخاطب واثبت
الوجد اه عطف على شهدة اى كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين
وبعد اثبات الكاتب دعوى اى بالكتابة والاثبات جعل الشيء ثابتا
مقررا سواء بالخط او بغيره لكن المراد هنا اثباته بالخط بقرينة سباقه والوجد الاثر
ان القلبية والحالات العشقية وهو بالرفع فاعل اثبت واسناده الىه مجازى لانه
سبب لها بنحو اهلكه المرض وفيه استعارة مكنية بان شبه في الذهن الحالات العشقية
والاحزان القلبية بكاتب دار الحكومة في الاعلام والابناء وفي الكتابة على الصحيفة
ثم استعير في الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة اعنى الكاتب مثلا لمفهوم
الحالات والاحزان القلبية ثم ترك هذه الاستعارة في جانب الذهن وذكر في
خارج اللفظ الدال على المشبه اعنى الوجد واريد ايضا معنى الوجد وهذه للاستعارة
مكنية ثم اسناد الاثبات الذى هو من ملايم الكاتب الى الوجد تخييل وايقاعه
على الخط ترشيح والخط اما خط عربي وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه

واما حكمى

واما حكمى وهو ماله طول فقط وقيل هو الذى يقبل الانقسام طولا لا عرضا
ولا عمقا وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالاضافة والعبرة بفتح العين
الماء الجارى من العين على الوجه وضنا بالفتح مجرور تقديرا معطوف على عبرة
وهو الهزل والضعف الذى يلازمه عادة صفرة الوجه والمراد به ههنا
واضافة الخط الى العبرة من اضافة المشبه به الى المشبه كما في لجين الماء يعنى اثبت الحزن
عبرة وصفرة كالخط لان الناظم الفاهم لما بكى طويلا ومزج الدمع بالدم ظهر على
خده الشريف خطان دقيقان كالف احدهما احمر وهو من اثر الماء الجارى
من عينه وثانيهما اصفر وهو من حزن قلبه ومثل بالنصب على انه حال
او مفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل ويجوز ان يكون صفة الخطى
والبهار على وزن النهار اسم لورد اصفر ينبت في اول الربيع والتشبيه
في صفرة اللون فقط لا في الجرم والصورة وعلى خديك متعلق بمقدار
حال عن خطى والعنم بفتحتين اسم شجر احمر لين الاغصان يشبه
البنان قيل هو الحناء وقيل هو البقم ويرجح الاول قوله النشر مسك
والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم واياما كان فالمماثلة في الاحمرار
فقط وفي هذا البيت من صنايع البديع لف ونشر معكوس حيث
ذكر الحمرة ثم الصفرة في المصراع الاول وعكس الحال في هذا المصراع
ونكتته للوزن والنظم وحاصل المعنى كيف تنكر المحبة بعد ان يشهد بها
شاهدا عدل ما استطعت على جرحهما وحكم عليه قاض لا ينقض حكمه
وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين احمرين فكل من رآه
يقرا آية المحبة من خديك فانكارك لا يسمن ولا يغنى من
جوع اغفر لى يا من بسعة مغفرته شوقتنى واعف عنا الفعل الذى

من رضاك فوقني ولا تحرمني بنار الجحيم لان عشق مبتك حرقني

نعم سرى طيف من اهوى فارقني والحب يعترض اللذات بالالم

فلما اثبت العاشق دعواه بان سلطان المحبة في مدينة قلبك وانكر الشخص المجرد من نفسه المخاطب ثم اثبت ثم انكر الى ان يأتي القائم بشاهد من عادلين واثبت دعواه وكتب الكاتب وسجله فلم يبق لذلك المخاطب مجال الى انكار فاقر بتلك الدعوى بالتصديق والا فراد فقال نعم اه فنعم حرف تصديق لمخبر بعد قول القائل قام زيد ولعلام مستخبر بعد قوله أقام زيد ووعد طالب بعد قوله افعل ولا تفعل وهنا من القبيل الثاني والفرق بينه وبين بلى ان نعم حرف تصديق لكن يقع تصديقاً للايجاب والنفي في الخبر والاستفهام جميعاً وبلى يختص بالنفي خبراً واستفهاماً على معنى انها انما تقع تصديقاً للنفي على سبيل الايجاب ولا يقع تصديقاً ولهذا قال قائل مؤمن بلى في جواب الست بربكم لانه في قوة بلى انت ربنا وقال نعم فيه كافر لانه في قوة نعم لست بربنا وقد نظمه بعضهم بعد نفي قل نعم لا بعد ايجاب كذا بعد ايجاب نعم لا بعد ايجاب بلى وجملة سرى كا استينافية لانه لما اقر بالعشق واعترف بالشوق كان سائلاً قال كيف كان احوالك فقال سرى اه وهو من السرى وهو مختص بالسير ليلاً كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً الاية لا يقال لانسلم ان اسرى في الاية السير ليلاً كيف وكونه في الليل ماخوذ من قوله ليلاً والا لكان مستدركاً لانا نقول المفسرون ان هو السير ليلاً وذكر ليلاً بعده في الاية اشارة الى ان السير كان في بعض الليل لا في كلها اذ تنوين

ليلاً

ليلا للتقليل وسيأتي تفصيله والطيف الخيال ومن اسم موصول بمعنى الذي عبارة عن المحبوب ابهم للتفخيم واهوى نفس متكلم من هوى يهوى وظهر المفعول الراجع الى الموصول محذوف اي اهويه واحبه والفساني فارقني جواب شرط محذوف اي لما جاء الي خيال المحبوب ومحبته المعشوق فارقني وفيه التفات من الخطاب الى التكلم على عكس ما في المطلع والارق من التأريق وهو التسهير والايقاظ من النوم والنون فيه وقاية والد يقاظ من النوم اما على حقيقته لانه اذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب والاشواق يسلب النوم من عينه ولا يجيء عليهما ابداً فيكون في اليقظة في كل الحال سرمداً واما المجاز من سلب الغفلة باحوال الدنيا ولذاتها وهو المناسب لسياقه كما ترى والواو في والحب اما حالية او استنافية معانية كانه قيل هل شغلت في اثناء عشقك باللذات فقال كيف والحب يعترض اللذات بالالم ويقول الفقير يمكن ان يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها اذ هو علة لما قبله فكان الناظم الفاهم قال اذ الحب يعترض فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا الحب سالب النوم ودافعه لان الحب يعترض اللذات بالالم وكل شيء شانه كذلك وهو سالب النوم ودافعه نتيج الحب سالب النوم ودافعه ويعترض من اعترض له بسهم اذا قبل به فرماه فقتله فيعترض بمعنى يقتل فحينئذ اسناده الى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل بالاعتراض في شدة التأثير والتبديل اذ كان القتل تبديل الشكل فكذا في الاعتراض ثم استعير الاعتراض لمفهوم القتل فذكر الاعتراض واريد القتل وتبعيته هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة يعترض ومن القتل صيغة يقتل وشبه هيئة القتل

الهيئة بعترض بواسطة العلاقة التى فى مصدرها ثم ذكر يعترض
واريد بقتل على مذهب السكاكى فالحب استعارة مكنية كما لا يخفى
واللذات جمع لذة بالنصب مفعول بعترض وبالالم متعلق بيعترض
واللام كالمكان لفظاً ومعنى لكن هنا مجاز واستعارة من السهم حيث
شبه الالم بالسهم فى كونه مهلكاً ويحتمل ان يكون فى هذا المصراع استعارة
تمثيلية بان يشبه الهيئة الماخوذة من الامور المعقولة وهو كون الحب
قاتلاً وكون الالم الحاصل منه مهلكاً وكون اللذات مهلكا به وكون الحب
راميا بالالم الى جانب اللذات بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة
وهو كون الشخص مرميا وكون السهم مرمى به وكون شخص آخر
وحيوان مرميا اليه وكون السهم مهلكا ثم استعير الهيئة المنتزعة من
الامور المحسوسة لمفهوم الهيئة الماخوذة من الامور المعقولة ثم ذكر
الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة واريد الهيئة المنتزعة من الا
المعقولة تدبر وحاصل المعنى ان العشق والمحبة يعرض ويهلك اللذات
لسبب الالم كما ان الشخص المرمى يهلك الشخص المرمى اليه بالسهم
لان العشق الحقيقى اذا دخل قلب احد يقطعه من لذايذ الدنيا ونعيمها
فلا يبقى له الذوق شئ من الاشيا لان العشق الحقيقى والالتذاذ بنعيم
الدنيا ضدان والضدان لا يجتمعان كما ان الدنيا والاخرة ضدان لا يجتمعان
فى شخص كما روى ان هارون الرشيد نظر يوما فى نفسه انى اجمع الدنيا
مع الاخرة بغير تركهما فاطلع البهلول الولى على ما فى قلب الهارون بالكشف
وجاء الى بيت هارون الرشيد وكان فى بيته امام قصره عمود عظيم متروك
من سنين حتى لو جمع اهل البلد كلهم لا يرفعونه بل لا يحركونه فاخذ البهلول

راس العمود

مطلب مكالمة بهلول [illegible] على هارون الرشيد

راس العمود فرفعه ثم ترك ذلك الطرف وجاء الى الطرف الاخر فرفعه
ايضاً وتركه ثم جاء الى وسطه فاخذه فما رفعه لعدم قدرته والملك
الرشيد ينظر الى ما فعله البهلول فطلبا للملك البهلول الولى فجاء البهلول فقال الملك
ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول قال توبيخا الى الملك انى اردت ان اجمع الدنيا
فقدرت عليه لكن لم يكن معه الاخرة ثم تركت الدنيا واردت الاخرة فقدرت
عليه لكن تركت الدنيا ثم اخذت الوسط لاجمع الدنيا والاخرة فما حصل لى
ذلك ففهمت ان تفكرك بان تجمع الدنيا والاخرة باطل وخاصة هذا البيت
انك اذا كنت تتهم امرأة فلتكتب هذا البيت على ورق ترنج وضعها على
ثديها اليسرى وهى نائمة فانها تنطق فى حال النوم بجميع ما فعلت من مليح
او قبيح وهذا مجرب صحيح وكذا اذا كنت شككت فى احد انه هل اخذ شيئا
من مالك فاكتب هذا البيت فى جلد ضفدع مدبوغ وعلقه فى عنقك
فان السارق يندهش ويقر من ساعته باذن الله تعالى يا لائمى
فى الهوى العذرى معذرة منى اليك ولو انصفت لم تلم
لما كان المخاطب فيما قبل منكرا بالدعوى بانه مبتلى بالهوى كان المكالمة
والخطاب بينهما بالكاف والضمير ثم لما اقر المخاطب تلك الدعوى بعد منه
المتكلم قليلا اذ الخصم اذا اقر بالدعوى التى انكرها فيما مضى يرخى له العنان
ويوسع عليه فى ذلك الزمان ويتفرق عنه خصمه برهة من الاوان فعدل
عن الخطاب بالكاف والضمير الى الخطاب بصيغة النداء فقال يا لائمى
اذ صيغة النداء تدل على البعد ويجوز ان يكون عدوله الى الخطاب بصيغة
النداء لامالة المقصود بالنداء الى الاداء كما ذكره سعد چلبى فى تفسير قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الاية والمقصود بالنداء هنا
الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم واللائم اسم فاعل
من اللوم كما في قوله تعالى ولا يخافون لومة لائم وهو مضاف الى ضمير المتكلم
والمعنى يا من يلومني بلومه ويعاتبني بعتابه وفي الهوى ظرف للملامة
وانما كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها اذ من وقع في الهوى يلام في كل
صباح ومساء اذ المحب يكون في كل حالة انينا ويبكي في جميع وقته
بكاء شديدا ويقع في ملامة ومذلة جدا ولذا قيل نون الهوان من الهوى
مسروقة فصريع كل هوى صريع هوانه والعذري بالجر صفة الهوى
وهو بضم العين بمعنى المنسوب الى قبيلة بني عذرة وهي قبيلة في اليمن
مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق وكثير شبابهم يموت بهذا
الداء لعدم وجدانهم لمرضهم دواء لان في قلوب رجالهم خفة اي ليس
غش فيهم ولا دناءة وفي نسائهم عفة اي ليس فيهن فحش ولا خباثة
والمعنى يا من يلومني في وقوعي الى الهوى التي مثل هوى قبيلة بني عذرة
في الحب الشديد والعشق المديد او المعنى في وقوعي للحب المستولي الذي من شانه
ان يقبل العذر من صاحبه كل احد لان ذلك الحب مستولي بالاضطرار فلا يلام
من ابتلي عند الصغار والكبار ويمكن ان يرتب فيه قياس لطيف من الشكل الاول
بان يقال هواي عذري لان هوى عذري وهوى العذري عذري ينتج هواي
عذري اي مقبول حكي ان الاصمعي اراد ان يذهب الى قبيلة من الاعراب مشهورة
بالفصاحة والبلاغة عند اولي الالباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب
من لسانه الركاكة ففتش القبائل فسمع ان قبيلة بني العذرة مشهورة

بالفصحة

بالفصاحة فيما بين العرب فذهب الى تلك القبيلة في اليمن فاضافه بعضهم
وكان صاحب البيت بنتا رشيقة القلب صبيحة الخد فصيحة الكلام مليح الملام فجر
الاصمعي منها المحبة لكونه مضافا لها والمشهور ان الجر من عمل الاضافة ويقول
الاصمعي ثم خرجت من بيت المضيف للتفرج واطوف في هذه القبيلة فرأيت
شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخيال مصفر اللون من الشوق كالغنم وعلامة
المحبة في وجهه كالشمس على العلم في قلبه اتقاد واشتعال كانه مرتحل الى
الاخرى بارتحال فسألت عنه الحال وما في جسمه من الملال فاجاب بالرعشة
والاضطراب للحبيبة التي كنت في منزلها ضيفا بنت عمي ذلك المصاب من
نيران هواها في قلبي اشتعال والتهاب وما رآها منذ سنين وله من فراقها
زفرة وانين يقول الاصمعي فمضيت الى بيت عمه لاحصل مرام هذا الفتى
وارجو منهم بلعل وليت ومتى وقلت يا راحة جراحة كل قلب كئيب
ارى فيكم حرمة وزماما لكل غريب فجئت اليكم مستشفعا في امر هذا الشاب
فتعطفي عليه باستمالة قلبه المصاب قالت صلاحه وفلاحه في فراقنا
وفوزه في الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد التمنا والتي قبلنا النجاح مني فذهبت
الى ذلك الشاب وقلت سنعد بمشاهدة المحبوب وكن مراقبا بمواصلة المطلوب
فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب فغشي عليه ووقعت في النار التي
كانت بين يديه فاحترقت بعض اعضائه فمشيت الى الحبيبة وحكيت الحال
فقالت يا سليم القلب انه لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا فكيف يطيق مشاهدة
انوار جمالنا كذا ذكره شيخ زاده قال الشارح الشوجيني وحكي ايضا ان الاصمعي
في اثناء طوافه في هذه القبيلة رأى حجارة كتب عليه هذه البيت ايا معشر العشاق
بالله اخبروا اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع فكتب الاصمعي على الحجر بعد

هذا البيت بيتا وهو يداری هواه ثم يكتم سره ويصبر فی كل الامور ويخشع
فلما جاء الاصمعی فرای مكتوبا بعد بيته هذا البيت فكيف يداری والهوی
قاتل الفتی وفی كل يوم روحه يتقطع فكتب الاصمعی بعده هذا البيت اذا لم
يطق صبرا وكتمان سره فليس له شیء سوی الموت انفع فلما جاء الاصمعی فی اليوم
الثالث رای شابا واضعا راسه علی الحجر ميتا وقد كتب علی الحجر هذا البيت سمعنا
اطعنا ثم متنا فبلغوا سلامی الی من كان للوصل يمنع وقد ذكر هذه الحكاية
قره باغی فی محاضراته ايضا ومعذرة مصدر من العذر منصوب بفعل
المقدر ای اقبل بصيغة الخطاب او اعتذر ومنی متعلق به واليك صلة معذرة
وقال الشيخ زاده رح يجوز ان يكون معذرة مفعولا له من اللوم واليك اسم فعل
ای يا لائمی اطلب معذرة ابعد فانك ظالم وقوله ولو انصفت الواو ابتدائية
او حالية ولو لانتفاء الثانی لانتفاء الاول نحو لو جئتنی لاكرمتك والانصاف
العدل ای لو عدلت لما هجوتنی بالملام ولعذرتنی من ابتلائی بهذا البلا
الالام ولم تلم فعل مجرد مطلق من الملامة وياء المتكلم مفعول له ای لم تنف الملامة
عنی ففی هذا المقام قياس استثنائی تقريره هكذا انك لم تنصف لانك
لو انصفت لا تلومنی لكن التالی باطل لانك تلومنی كما فهم من قوله يا لائمی
فالمقدم مثله لانك لم تنصف فثبت انك غير منصف **عدتك حالی لا سری**
بمستتر عن الوشاة ولا دائی بمنحسم لما كان العاشق ارتجی من اللائم
ان يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختياری بل هو عذری
ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله عدتك
حالی الخ كلمة عدی ان تعدی بالی يكون بمعنی سری وان تعدی بعلی يكون بمعنی ظلم
وان تعدی بعن يكون للبعد والمجاوزة وهنا اما متعد بالی ای عدت اليك
فيكون

فيكون من قبيل الحذف والايصال كما فی قوله تعالی واختار موسی قومه
فعلی جملة عدت اما دعاء علی اللائم او دعاء له اما كونه دعاء علی اللائم فلكونه
لا محالة صورة فيكون فيه اشارة الی قوله عليه السلام من عير اخاه المسلم
بذنب لم يمت حتی ابتلاه الله به واما كونه دعاء له فاما لكونه ناصحا له ع
حقيقة واما عملا بقوله عليه السلام صل من قطعك واعف عن ظلمك
واحسن من اساء اليك واما متعد بعن ای عدت عنك والجملة ايضا اما دعاء
عليه بالحرمان عن الوصول الی مرتبة العشاق الی رسول الله فيكون المعنی تجاوز عنك
حالی ولم يبق فيك واما دعاء له بانی ادعو الله بتجاوز عنك حالی ای سقم القلب
وبكاء العين واكون ملوما وعلی كل تقدير جملة عدت اخبارية مستعملة فی معنی الانشاء
مجازا واستعارة بان شبه النسبة الانشائية الكائنة فی تعد بالنسبة الاخبارية
الكائنة فی عدت ثم استعير النسبة الاخبارية بمفهوم النسبة الانشائية فكانه
ذكر النسبة الاخبارية واريد النسبة الانشائية وتبعيته هذه الاستعارة استعملت
الصيغة الموضوعة للنسبة الاخبارية اعنی عدت حالی فی النسبة الانشائية
اعنی لتعد حالی ونظرها كثيرة فی الحديث والقران كما لا يخفی علی اهل البيان ونكتة
المجاز التفاؤل كانه دعا واستجيب واما الاظهار شدة حرصه ورغبته علی وقوعه
كانه لكمال حرصه تخيل وقوعه فعبر بالماضی وقوله حالی بالرفع علی انه فاعل عدت
وهی مؤنث سماعی وقد تذكر والحال فی اللغة نهاية الماضی وبداية المستقبل
وفی اصطلاح النحويين ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به لفظا نحو ضربت
زيدا قائما او معنی نحو زيد فی الدار قائما وفی اصطلاح الحكماء كيفية فی النفس
غير راسخة فيها لانهم قسموا الكيفيات النفسانية الی قسمين لانها ان كانت

مطلب فی بيان معانی الحال

راسخة في النفس فهي ملكة وان لم تكن راسخة فهو حال فالحال بهذا المعنى
ما لا يكون معدوما ولا موجودا ولا دائما كالحزن والسرور الغير الدائمين والحال
في اصطلاح اهل الحق والتصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب
ولا اكتساب من طرب او حزن او قبض او بسط او هيبة او خيفة ويزول بظهور
صفات النفس سواء يعقبه المثل اولا فاذا دام وصار ملكة يسمى مقاما فالاحوال
مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تاتي من عين الجود والمقامات تحصل
ببذل المجهود والمراد ههنا الحال التصوفي فيكون المعنى سرى البكاء ما كان في قلبي من
الحب الحقيقي لانك وان لمتني صورة لكن ما لمتني حقيقة او ابتلاك الله بمثل
ما ابتليت به ثم كان سائلا قال كيف كان حالك فاجاب بقوله لا سرى الي فيكون
جملة لا سرى بمستتر عندنا فيه معاينة ولا شبهة بلبس وسرى مضاف الى يا
المتكلم وهو الامر الخفي وهو بالرفع محلا اسم فان قلت ان اسم لا المشبهة بليس
لا يكون معرفة فكيف يكون قوله سرى اسمها مع كونه معرفة لكونه مضافا الى المعرفة
قلت هذا مبني على مذهب الاخفش فانه وان لم يجوزه الجمهور لكن الاخفش
جوزه والباء في بمستتر زائدة وهو خبر لا وعني متعلق بمستتر والوشاة جمع واشي
كالنماة والغزاة والواشي بمعنى الغماز والمنافق الذي يسعى بالفساد بين العاشق
والمعشوق ليفرق بينهما قال الشاعر لئن كنت قد بلغت عني جناية لمبلغك
الواشي اغش واكذب وقال اصرفوا الوشاة فقد اتى بكي نسبة حزنت لما خلت
قد صدقته وقوله ولا دائي عطف على لا سرى واعادة حرف النفي للتاكيد
والداء المرض مضاف الى ياء المتكلم والمنحسم اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع
اي ولا مرضي بمنقطع بالوصول الى المحبوب ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره
هكذا دائي ليس بمنحسم لان دائي لو كان منحسما لوجد له الاطباء ولو وجد
له الاطباء لوجد وصلة الاحباء ينتج انه لو كان دائي منحسما لوجد له وصلة

الاحباب

الاحباب لكن التالي باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه اعني ان دائي ليس بمنحسم
فحاصل معنى البيت يا لائمي اني رجوت الاعتذار منك كثيرا فما قبلت وما تركت
الملامة فانا ارجوا الله تعالى ان يبتليك مثل ابتلائي فكان السائل سئل عن ابتلائه
بانه كيف الحال في ابتلائك فقال كنت ملابسا بحال لم يكن سري بمستتر عن
الغمازين بين المحب والمحبوب لانه سلب عني الاختيار وكان سري مكشوفا بالاضطرار
اذ ورد من المكمل والكبار العشق هتك الاستار وكشف الاسرار وكان ايضا
مرضي اعني العشق بالنبي المختار وغير منقطع عني في كل يوم ونهار ولا ينفع
لها البعد عنه والفرار الا الوصلة الى جنابه الذي كلمه الاحجار والاشجار والى جماله
الذي طلعت منه الانوار محضتني النصح لكن لست اسمعه
ان المحب عن العذال في صمم ولما فهم الناظم العاجم ان لوم اللائم
وان كان لوما له صورة لانه حمل عشقه على المجازي وقال ان عشقك لفلان
ابن فلان لا تلبثني ولا تلزمني لكنه في الحقيقة نصح له بان العشق المجازي
ليس كما ينبغي لانه تضييع الاوقات فيما لا يعني وبذل النفس فيما لا يسمن
ولا يغني فقال هضما لنفسه وانكارا لمحبته الحقيقي احترازا عن العجب الذي هو
اعظم الذنوب واقبحها ولذا قال عليه السلام لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو
اعظم من ذلك العجب قوله محضتني النصح اه وهو بصيغة الخطاب خطاب
لمن يلومه من العشق المجازي وهو من التمحيض والتمحيض كالامحاض جعل الشيء
محضا اي خالصا وصافيا عما لا ينبغي والنصح منصوب على انه مفعول ثان
له اي جعلت لي نصيحة محضا خالصا بحيث لا يشوب فيه غرض من الاغراض
الفاسدة والاراء الكاسدة والنصح من النصيحة وهو ارادة الخير الى الغير وكلمة
لكن للاستدراك وهو دفع توهم نشا من الكلام السابق لانه لما قال محضتني
النصح اه تولد منه توهم بانك هل نصحت بنصحه فدفعه فقال لكن لست

حضما النفس والا فلم يكن في الناظم الفاهم عشق مجازي حتى يتركه بنصح ناصح
لان عشقه حقيقي لانه للنبي عليه السلام وقوله لست اسمعه بمعنى لم التفته
بطريق المجاز التبعي بان يشبه الالتفات بالاسماع في توجه القلب فذكر الاسماع
واريد الالتفات ثم اشتق من الالتفات التفت ومن الاسماع اسمع فشبه التفت
بالعلاقة التي في مصدرهما باسمع فذكر اسمع واريد التفت وقوله ان المحب الخ
علة لعدم السماع فالتقدير لان المحب فحذف الجار لكونه قياسيا كقوله تعالى
عبس وتولى ان جاءه الاعمى والالف واللام في المحب للاستغراق اي كل المحب
فان قلت الالف واللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذي فكيف يكون
اللام ههنا للاستغراق قلت الالف واللام الداخلة عليهما ليست بمعنى
الذي مطلقا بل انما يكون بمعناه اذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب
والمضروب بمعنى الذي ضرب واما اذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن ونحوهما
فلا يكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة والالف واللام فيه للتعريف
وما وقع ههنا من هذا القبيل فاحفظ هذا والمحب منصوب على انه اسم ان فان قلت
ما النكتة في نصب اسمه ورفعه خبره ولم يجعل الامر بالعكس قلت تفصيله انه لما
صار عاملا فلا يخلو اما برفع المبتداء والخبر معا او بنصبهما معا او برفع المبتداء
وبنصب الخبر او بنصب المبتدأ وبرفع الخبر والاول بط لان الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول
ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كذلك بعد دخول ان عليهما لما ظهر له اثر ولانه اخذ العمل
من المشابهة بالفعل والفعل لا يرفع الاسمين وكذلك ما يشابهه لان الفرع لا يكون اقوى
من الاصل والثاني ايضا بط لانه اخذه من الفعل وهو لا ينصب شيئين مع خلوه عن
رفعه والثالث ايضا بط لانه لو رفع المبتدأ ونصب الخبر لكان بين الاصل والفرع تساويا
وهو بط ولما بطلت الاقسام الثلثة بقي القسم الرابع وكذا الكلام في اخوات ان
وان مع اسمه وخبره جملة والجملة مستانفة كأن قائلا قال لم لم تسمع النصيحة فاجاب

بقوله

بقوله ان المحب الخ وعن في عن العذال متعلق بالصم المؤخر فان قلت ان تقديم ما
في حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول ما في حيز حرف الجر لان المعمول لا يقع
الا حيث يصح وقوع العامل فيه قلت تقديمه هنا للاتساع في الظرف لان الظروف
يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها او لضرورة الشعر كما قال الكرخي بان ضرورة الشعر
وقد جاء في التركيب بعض التصرف كفصل وتقديم ومثل زيادة والعذال جمع عاذل
بمعنى اللائم ويجوز ان يكون العذال هنا بمعنى المتكلم مطلقا لائما كان او ناصحا من قبيل
ذكر الخاص وارادة العام كما يشير اليه التعميم في الحديث وفي صمم اي في وقر عن سماع كلامهم
وهو ظرف مستقر خبر ان والصمم بفتحتين ضد السمع والظرفية مجازية واستعارة
تبعية بان يشبه الشمول العموم المطلق بالشمول الظرفية المطلقة في الاحاطة المطلقة
فاستعير الشمول الظرفية المطلقة بمفهوم الشمول العموم المطلق فذكر شمول الظرفية المطلقة
فاريد شمول العموم المطلق وتبعته بهذه الاستعارة شبه الشمول العموم الجزئي بشمول
الظرفية الجزئية في الاحاطة الجزئية ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية
الجزئية اعني في لمفهوم الشمول العموم الجزئي ثم ذكر كلمة في الموضوعة لشمول الظرفية
الجزئية واريد الشمول العموم الجزئي ونكتة المجاز المبالغة ويمكن ان يكون الاستعارة
مكنية في مدخول في اعني صمم بان شبه الصمم بالكوز في الاشتمال واثبت له ما هو في
خواص المشبه به اعني الاداة الدالة على الحلول الحقيقي وفي هذا البيت تلميح الى
قوله عليه السلام فيما رواه البخاري حبك الشيء يعمي ويصم فاعلم انه يمكن ان يكون
في هذا البيت قياسا فنذكر ترتيبه هكذا اني لم اسمع نصحك لاني محب والمحب
في صمم عن العذال ينتج اني في صمم عن العذال وكل من في صمم عن العذال لا يسمع
نصحك ينتج اني لم اسمع نصحك وصغرى القياس الاول مسلمة عند الخصم ودليل
كبراه الحديث السابق وتقريره بان يقال كل محب في صمم عن العذال لانه لما قال

صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم وكان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى فكان كل المحب في صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالي مثله وخاصة هذا البيت انك اذا كنت تخاف من شر احد او مكره فاكتب هذا البيت في كاغذ ويكون كاغد دائمة واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فانك تكون باذن الله تعالى محفوظا من شره ومكره

الى اتهمت نصيح الشيب في عذلي والشيب ابعد في نصح عن التهم

ولما ورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بانه لا نسلم ان عدم قبولك وسماعك النصح من كونك محبا لم لا يجوز ان يكون من حملك نصيحة الناصح على الحقد والطمع اثبت دعواه السابقة بقوله الى اتهمت اه بتقدير الى لانى حذف الجار لكونه قياسيا فهو في الحقيقة علة واتهمت نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت الى التهمة يقال اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى شيء يورث العار والتهمة اسم منه وتاؤه بدل من الواو اذ اصله وهمة كما في تخمة ونصيح الشيب منصوب على انه مفعول لاتهمت والنصيح فعيل بمعنى فاعل اى الناصح مضاف الى الشيب والاضافة اما من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى حملت الشيب الناصح على التهمة واما من قبيل اضافة المشبه الى المشبه به اى الناصح كالشيب في الاخبار عن قرب الموت او النصيح مصدر فاضافة الى الشيب من اضافة المصدر الى فاعله ويحتمل ان يكون الاضافة بيانية والشيب كون الشعر بياضا وقيل هو الشعر الابيض والمراد بنصيحة الشيب كون الشيب قائلا بلسان الحال قد قرب الارتحال وجاء الزوال فهذا ادنى التوبة من شيء الاحوال كما قال الشاعر الفارسي موى سپيد از كفن آورد پيام پشت خم از مرگ رساند سلام

وورد في الجنان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الملك الوهاب لما كان خليفة بيّنه اعرابيا ان ينادي في كل صباح وراء داره يا عمر انتبه من نومك واعمل في الدنيا بقدر مقامك فيها فلما وجد عمر رضي الله عنه في لحيته بياضا قال

للاعرابي اترك النداء لان مخبري ومذكري حصل في لحيتي فلم يبق لندائك حاجة وقوله في عذلي متعلق باتهمت والعذل بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حركة الذال لضرورة الشعر وللخفة وقال المحقق العصام هو بالتحريك على الاصل واضافته الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى مفعوله اى في لومه اياى والمعنى الى حملت على التهمة النصيح الذي كالشيب او ناصح شيب اى شيخ في لومه اياى لان الناصح يلوم ويعاتب لمن يلقى اليه النصح وقرئ ايضا في عدلي بالدال المهملة فيكون مصدرا بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق في بنصيح واضافته اضافة المصدر الى فاعله اى نصيح الشيب في حق عدولي عن الاحوال السيئة وهذه القراءة احسن من جهة انه على هذا يكون اضافته الى الياء من اضافة المصدر الى فاعله فهو الاصل في المصدر والواو في والشيب حالية والشيب مبتدأ وابعد خبره وهو اسم تفضيل ويلزم في استعماله ولو بتقدير احد الشروط الثلثة اعني الاستعمال باللام او بمن او بالاضافة وهنا استعمل بمن المقدرة لان المعنى ان الشيب ابعد من كل شيء ناصح وفي نصح متعلق بابعد وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى في نصحه وعن التهم متعلق بابعد وفي بعض الرواية من التهم فان قيل فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع انه غير جائز قلت فعلى هذا يكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لا بصفة افعل التفضيل كما في قولهم الانسان الاعم من زيد كذا فان قولهم من زيد متعلقة بمادة العموم لا بالصيغة والا لزم استعمال افعل التفضيل بمجموع الامرين اعني اللام وكلمة من وهو باطل كما تقرر في النحو كذا قاله الكلنبوي في حاشية التهذيب ثم اعلم انه لما كان هذا البيت علة لما قبله يمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال انى لم اسمع لومك ونصحك لانى اتهمت نصيح الشيب في عذلي مع ان الشيب ابعد في نصح عن التهم وكل من شانه كذا فلا يسمع نصحك ولومك ينتج انى لم اسمع

لومك ونصحك ويمكن ان يرتب بترتيب اخر احسن من الاول بان يقال الذي اتهمت
نصيح الشيب في عذلي والشيب ابعد في نصح عن التهم ينتج من غير متعارف الكل الذي
اتهمت النصيح الابعد في نصح عن التهم فنضم اليه الكبرى لينتج الدعوى بان يقال
وكل من اتهم النصيح الابعد في نصح عن التهم لا يسمع لومك ونصحك ينتج من المتعارف
الذي لم يسمع لومك ونصحك **فان امارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها**
بنذير الشيب والهرم لما فرغ من كلام كتب بها لذته في العشق والهوى انتقل
الى الكلام الذي في ذم النفس وردائها بانتقال حسن بان جعل قوله فان امارتي آه
علة لما سبق اي لقوله الذي اتهمت له وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لا يخفى
فالفاء في فان للتعليل ويمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بان يقال
الذي اتهمت نصيح الشيب في عذلي لان نفسي الامارة بالسوء ما اتعظت من جهلها
بنذير الشيب والهرم وكل من شانه كذا يتهم نصيح الشيب في عذله ينتج الذي اتهمت
نصيح الشيب في عذلي والامارة مبالغة اسم الفاعل بمعنى الامر بالسوء مبالغة ه
واضافته الى ياء المتكلم للعهد اي لامارة المعهودة وهي النفس ويجوز ان يكون من حذف
الموصوف وذكر الصفة وارادته منها فان الامر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة
تخصيصه تعالى بالنفس في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ان النفس
لامارة بالسوء فيكون في هذه البيت صنعة تلميح الى هذه الآية وقوله بالسوء
صلة لامارة والسوء بالضم اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء وبالفتح مصدر يقال
رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم رجل عدل وقوله ما اتعظت
ما نافية واتعظت من الاتعاظ بمعنى قبول الوعظ وجملة جزائه ومن جهلها متعلق
بالنفي ومن اما على معناه الاصلي اي عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها او بمعنى لام
التعليل فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا نفسي الامارة بالسوء ما اتعظت

لان نفسي

لان نفسي الامارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم وكل نفس شانها كذا
فلا تتعظ ينتج نفسي الامارة بالسوء ما اتعظت وقوله بنذير يجوز ان يكون
متعلقا باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل
لعدم جريه على موجب العلم والنذير بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار او بمعنى المنذر
كالبديع بمعنى المبدع فعلى الاول يكون اضافته من اضافة المصدر الى فاعله وعلى
الثاني يكون من قبيل الاضافة البيانية ويجوز ان يكون اضافته من قبيل اضافة الصفة
الى موصوفها وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء
والهرم عطف على الشيب وهو بفتحتين او بكسر الراء تناهي الشيب وقال الخادمي
والمراد لازمه اعني الخرافة الفاسدة ثم اعلم ان هذا المقام يقتضي بسط الكلام
حتى يفهم المراد فنقول اولا اختلفوا في ان النفس ما هي فذهب من المتكلمين
الى انها الجسد والهيكل المحسوس وبعضهم ذهبوا الى انها الاجسام الاصلية
باقية من اول العمر الى اخره وقال ابن الراوندي انها اجزاء لا تتجزأ في القلب
والنظام ذهب الى انها جسم لطيف نوراني يسري في البدن كسريان النار في الفحم
وبعض الاطباء ذهب الى انها هي القوة المودعة في الجانب الايسر من القلب وتسمى
الروح الحيواني وعند بعض اخر منهم هي القوة المودعة في الدماغ وتسمى بالنفس
الانسانية وعند الحكماء جوهر مجرد لا يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف
والمراد هنا النفس الانسانية وهي التي قد خاطبها الله اليها وجعلها موضع الامر
والنهي وهي معدن الاخلاق الذميمة مودعة في جميع جسد الانسان وهي مجبولة
على ضد الروح التي في اعلى العليين فانها تأمر بالخير وتنهى عن الشر فتلك النفس
تابعة للارواح التي في اسفل السافلين كالشياطين الذين لا يأمرون الا بالشر
ولا ينهون الا عن الخير وانما منشأ خلق النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح

المخلوق في العهد والميثاق في جسد ادم عليه السلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد
ولدين ذكرا وهو القلب اللطيف المشبه بوالده الذي هو الروح العلوي فيأمر بالخير
وينهى عن الشر وكان ذلك منتظر ربنا الغفران وبين اصبعي الرحمة وولدا انثى
وهو النفس الكثيف المشبه بوالدتها التي هي الجسد السفلي فيأمر بالشر وينهى عن الخير
وجعل موضعها جميع الجسد ثم ان المتصوفين قالوا النفس سبعة الاولى النفس
الامارة وهي التي تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية
وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة لانها
مبدا الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد والثانية النفس
اللوامة وهي التي تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصي اخرى ثم تندم
فتلوم نفسها وهي منبع الندامة لانها مبدا الهوس والعثرة والحرص والثالث
النفس المطمئنة وهي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفتها الذميمة
وتخلقت بالاخلاق الحميدة والرابع النفس الملهمة وهي التي الهم الله تعالى اليها
العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر
والخامس النفس الراضية وهي التي رضي الله تعالى عنها ويظهر فيها اثر رضائه
وهو الكرامة والاخلاص والذكر والسادسة النفس المرضية وهي التي رضيت
تلك عن الله تعالى كما قال الله ورضوا عنه ويترك فيها الكرامات ويعرف فيها
الله تعالى بكنه ذاته والسابعة النفس الصالحة وهي التي مقام الاسرار بين الله
تعالى وبينها ثم ان الاولى نفس الكافرين والشياطين والفاسقين والثانية
نفس الغبيا الفاسقين من المؤمنين والثالثة نفس المتقلبين العاملين والرابعة
نفس المعلمين العاملين والخامسة نفس الاولياء الكرام والسادسة نفس
العارفين والسابعة نفس الانبياء والمرسلين ونفس الناظم الفاخر من قبيل
الخامس

الخامسة لانه ولي كامل ذو الكرامة والفخامة وعدم نفسه من الفاسقين
لهاظم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضما لنفسه وما ابرئ نفسي ان
النفس لامارة ولان فيه سلوكه الى طريق المتقشف كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون ‹بالسوء› لكن هذه الطريقة عجيبة اللطف في البلاغة لانه يكون اكذ ايقاظا
لا صفاء السامعين واقوى ورتبة لقلوبهم من حيث انه لا يخاطب بالنصح عنه سمعهم
وينفر عنه طباعهم اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية وقلوبهم وجلة وارحمنا
حين وصلت الروح الى الحلقوم وصعد بها الى الحي القيوم **ولا اعددت من الفعل**
الجميل قرى ضيف الم براسي غير محتشم لما بين ان نفس الامارة
بالسوء لم تجتنب عن شيء من القبائح ولم تنته بالنهي عنها اراد ان يبين كونها
غير مؤتمرة بالامر بالافعال الجميلة والاخلاق الحميدة فقال ولا اعددت منه ا
فعلى هذا يكون هذه الجملة معطوفة على جملة اتعظت على ان يكون الاتعاظ عبارة عن
الاجتناب عن القبائح والاعداد عبارة عن الاتيان بالافعال الحميدة فيكون البيت
الاول اشارة الى ان نفسه لم تنته بنهي العاقلة والبيت الثاني الى انها لم تأتمر بامرها
ويحتمل ان يكون من قبيل عطف الخاص على العام على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الا
جتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن ويكون الاعداد عبارة عن الاتيان بالمحاسن
فيكون اخص من الاتعاظ ثم ان تكريرلا للتاكيد واعددت من الاعداد وهو
التهيؤ كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين اي احضرت وهيئت وقوله من الفعل متعلق باعددت ويجوز
ان يكون من الفعل الجميل بيانا لقرى ضيف قدم عليه للوزن والفعل الجميل ما يستحسن شرعا
لا ما يستحسن مطلقا لان بعض الافعال يستحسنه العقل مع انه في الشرع مذموم
وفي الفعل الجميل استعارة مكنية تقييدها ههنا اشبه الفعل الجميل في الذهن بالقرى
في تحصيل اللذة والسرور وادعى الفعل الجميل من جنس القرى ثم استعير القرى في الذهن

لمفهوم الفعل الجميل ثم ذكر القرى الذهنى واريد منه الفعل الجميل وفى الخارج ذكر الفعل الجميل
واريد لغيره واثبات الاعداد للفعل الجميل يكون تخييلية وقرا بكسر القاف والقصر مصدر
قولهم قريت الضيف اذا احسنته بالطعام فالقرى يجئ فى اللغة الى معنيين احدهما
المعنى المصدرى وهو الاطعام وثانيهما الحاصل بالمصدر وهو الطعام والمراد به
ههنا التوبة والاعمال الصالحة واضافته الى الضيف لامية والمراد بالضيف الشيب
مجازا واستعارة تقديرها هكذا شبه الشيب بالضيف فى المجيئة فجاءة من غير جبر
ولا مقدمة ولا زائد فاستعير الضيف للشيب فذكر الضيف واريد منه الشيب
فيكون قوله الم قرينة لهذه الاستعارة وقرا ترشيحا لها ويكون المراد بالقرى
الفعل الجميل مجازا واستعارة تقديرها هكذا شبه الفعل الجميل والعمل الصالح
بالقرى فى ايراث المنفعة لصاحبه فاستعير القرى للفعل الجميل فذكره القرى
واريد الفعل الجميل العمل الصالح لا يقال لا يجوز الاستعارة فى هذا المقام لانه قد
فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلا يجوز الاستعارة
فيه لانا نقول ان اردتم من ذكر المشبه والمشبه به معا ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه
فلا نسلم الصغرى كيف وفى هذا المقام لم يكن ما ينبئ عن التشبيه وان اردتم ذكرهما
مطلقا فلا نسلم الكبرى كيف وان البيانيين صرحوا بان ذكرهما انما يضر الا
ستعارة لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه والا فلا كما فى قوله لا تعجبوا من بلا غلالته
قد زر ازراره على القمر ثم ان قوله الم ماض من الالمام بمعنى النزول كما فى قوله
الممت فحييت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت الروح تزهق وجملة الم مجرور
محلا صفة ضيف وقوله براسى متعلق به فان قيل لم خصص الراس من بين الاعضاء
قلنا لانه اول ما يظهر فيه الشعر البياض وقوله غير محتشم بالنصب حال من
المضاف اليه اعنى الضيف لان المضاف مصدر لان بعض المحققين صرحوا بان الحال
من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف مصدرا او يكون جزءا من المضاف اليه او بمنزلة
جزئه

جزئه ومنهم ابن مالك فى الفيته ولا تجز حالا من المضاف اليه الا اذا اقتضى المضاف
عمله او كان جزء ماله اضيفا او مثل جزئه فلا تحيفا وما قيل انه من قبيل قوله
تعالى واتبعت ملة ابرهيم حنيفا لا يستقيم لانه مشروط بكون العامل فى الحال عاملا
فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد وههنا لا يجوز ان يكون اعنى
عاملا فى غير محتشم كما لا يخفى ويجوز ان يكون حالا من فاعل الم ويمكن ان يكون حالا
من ياء المتكلم فى الراس وهو المناسب لو قرا محتشم على صيغة اسم الفاعل ويمكن ان يكون
غير بالجر على انه صفة عن الضيف لكن فيه ما فيه فقوله محتشم اما على صيغة الفاعل
من الاحتشام بمعنى الاحترام وهو المناسب للاول واما على صيغة اسم المفعول من الا
حتشام بمعنى التوقير اى غير موقر او من الاحتشام بمعنى الحشامة والعكر اى غير مقارن
بالعكر بل جاء وحدانا وهو مناسب لكونه حالا من الضيف او من فاعل الم فان قيل
لو كان محتشم على صيغة المفعول لورد عليه ان باب الافتعال لا يأتى منه صيغة اسم
المفعول قلنا وان لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه اتى مقارنا بالحرف الجر
وهنا مقدار غير محتشم فيه تحذ ما ابيتك وكن من الشاكرين لو كنت اعلم انى
ما اوقره كتمت سرا بدالى منه بالكتم فكانه لما لم تتعظ نفس الناظم
الفاهم بنصيح الشيب اى نصيحة الناصح الكامل ولا اعدت الضيافة من الفعل الجميل
مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم فى نفسه
ندمت من هذه الافعال السيئة واظهر ندامته فقال لو كنت اه اعلم انه لو صح بجملة
لامتناع الثانى لامتناع الاول فالتقدير لكن لم اعلم فلم اكتم سرا بدالى اه وكنت
بجزه اعنى اعلم فعل شرط للو وما فى اوقره نافية واوقر على صيغة المتكلم من التوقير
بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام وضمير المفعول راجع الى الضيف المراد منه الشيب
وكتمت جزاء الشرط والكتم الاخفاء كما فى قوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها

فانه اثم قلبه والمراد من السر هنا انذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال وجملة بدا صفة
للستر وبدا بمعنى ظهر كما فى قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى وبه متعلق ببدا
وضميره للشيب اى عن طرفه والكتم نبت يختضب به كالحناء وفى هذا البيت من
صنايع البديع رد العجز على الصدر وهو فى البيت ان يكون احد اللفظين فى آخر البيت
والآخر فى صدر المصراع الاول او يكون احدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى
كقوله وقد كانت البيض القواضب فى الوغى بواتر فهى الآن من بعدها بتر
وحصل المعنى البيت لو كنت باقيا ما اعظم وما اكرم وما اوقر الضيف اعنى الشيب بالاطعام
بالفعل الجميل لكنت كاتما وساترا اولا وبهلة للامر الذى ظهر لى من ذلك الضيف اعنى الشيب
بالخضاب بالحناء لانه سنة من نزل عليه الوحى فى جبل حرى فلا يعرف احد امرى ولا
يظهر سرى ويرفع عنى الفضاحة ويقطع منى الهجو والشناعة وتلخيصه انى لو كنت
عالما بالحق لا اكون عاملا فى حال الاختيار والشيخوخة وزاهدا وتاركا للسيئات
والاشرار لكتمت شيبى بالخضاب بالحناء حتى لا يهجو فى الناس بانه كان شيخا وشيبا
وهو فى هذا السن لا يكون عاملا وزاهدا بل يكون تاركا للاوامر والسنن لكن ما عملت
عدم علمى فلا كتمت فقد هجونى بهذا ما ظهر للحافظ الفقير ونعم ما قيل لمعنى الشعر فى بعض

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

فكأنه لما عجز عن نفس الامارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح الكامل فكأنه
قيل له صحح نفسك بالمرشد الكامل لان المرشد له ارشاد كل من استغرق فى الهوى
ولو لم يعلم النبى والولى وقد يكون اكثر الفاسقين صالحا واكثر العاصين زاهدا
بل كل رجل يلزم له ان ينتسب الى مرشد كامل ولذا قال ابا يزيد البسطامى من لم يكن له
شيخ فشيخه شيطان وقال غيره لو ان الرجل يوحى اليه ولم يكن له شيخ لا يجيء منه شيء
والى ما قلنا يشير قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فقال مجيبا لذلك القائل من لى اه

الاستفهام

الاستفهام اما انكارى اى هل يوجد كفيل يتضمن لى برده اى لا يوجد
كفيل متضمن ذلك المذكور لان نفسى فى الضلالة والطغيان فلا هادى له الا
الله الملك المنان نعم قد ورد ولكل قوم هاد لكن وجود مثل هذا الشخص انما هو بمحض
عناية الله تعالى وتوفيقه كيف قد آل الامر فى هذا الزمان الى ان من لم يكن مريدا قط
يدعى الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريده وقد جعلوا
هذه الشأن التعظيم لعب الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه كلما مات
واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا او يلبسون عليه الخرقة
ويتبركون به ويتداولون منازل الشيوخ فهذه مصيبة قد عمت ولعل هذه الطريقة
قد تمت واندرست آثارها والله اعلم باخبارها ويجوز ان يكون الاستفهام
للتمنى والاستعطاف والاستغاثة بكل احد ثم ان قوله لى وبرد ظرفان متعلقان
بالمقدر اعنى يتضمن او يتكفل والرد الصرف والمنع مصدر مضاف الى مفعوله
والجماح جمع جموح وهو الجمل السمين الشديد الذى لا يضبط لشدة رأسه وعلى هذا
فيه تشبيه واستعارة حيث شبه النفس بالجمل فى صعوبة ضبطه وشدة امساكه
واهلاك صاحبه ثم استعير الجمل للنفس ثم ذكر ما يدل على المشبه به واريد المشبه وهذه
الاستعارة ماخوذة من لسان الشرع كما جاء فى الحديث الشريف نفسك مطيتك
فارفق بها وكما قال امام الغزالى انت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك
بهيمة كالفرس وباعتبار عقلك ملك وانت مامور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم
والاستعانة لهم لتقتبض بمعونتهم شرف الدارين وسعادتهما فان ارضيت
الفرس واذبت الكلب وسخرتهما للملك تيسر لك الظفر بما طلبت والا
فانت هلكت ويجوز ان يكون الجماح مصدرا بمعنى الشدة فح يكون التنوين فيه
عوضا عن المضاف اليه اى جماح نفسى فيكون على حقيقته فقد بدء من غوايتها

متعلق بردّ وقيل صفة جماح ناشئ من غوايتها والغواية الضلالة والضمير للنفس
وحذف فى هذا المصراع الثانى ردّ النفس عن الضلالة ولم يذكر كما فى المصراع الثالث
لضرورة الشعر وهى وعظ المرشد ونفوسه وهمته وقوله كما يردّ صفة مصدر
محذوف اى ردّا مثل ردّ جماح فما مصدرية وانما اتى بهذا التمثيل لبيان لغلبه
لانه استصعب وجود ردّها عن المعاصى فردّه بانه يوجد لان له نظيرا
والجماح الثانى بكسر الجيم مصدر جمح جموحا بمعنى الشدّة والغلظة وعلى هذا يكون
الردّ بمعنى الازالة ويجوز ان يكون جمعا فتكون اضافته بيانية او من قبيل اضافة
الموصوف الى صفتها اى الخيل الجماح فافهم وباللجم متعلق بردّ وهى جمع لجام ككتب
وكتاب واللجام معرّب لكام الفارسى وقال قوم انه عربى لا تعريب فيه كذا ذكره
الجواليقى فى كتابه المعرّب وهو الذى يضرب بفم الفرس ليكون حاجبه وقائده
لتوجهه نحو المطلوب وفى هذه البيت من صنايع البديع جناس بين من ومن
وبين ردّ وردّ وبين الجماح والجماح وتناسب بين الخيل واللجم وحاصل معنى
البيت ظاهر مما ذكرنا ظهورا لا حاجة الى اعادته فلا ترم بالمعاصى
كسر شهوتها ان الطعام يقوى شهوة النهم فلما عدّ فى الابيات السابقة
انغماس النفس فى رواية المعاصى والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالانذار بقرب
الوقت كالغروب وعجز عن اصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم
يجد ذلك المرشد فكانه قيل ان مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة الى
الطلب وتبعيد وجوده وهو استغناؤها بالمعاصى لان النفس اذا استوفت
وشبعت من شيء كمال الشبع تسأم منه فلا يرغب اليه بعده ابدا فانت اذا
استوفيتها بالمعاصى كلها كسر شهوتها ولا تميل اليها بعده ابدا فقال ردّ الذلك
القائل فلا ترم بالمعاصى اه بتغيير الاسلوب من المتكلم الى الخطاب وهو التفات

عند جمهور

جمهور اولى الالباب ونكتة الشروع فى ردّ جماح النفس وبيان كيفيته •
ولا ترم نهى حاضر من رام بمعنى طلب وصيغة النهى دالة على كون المنهى عنه
قبيحا كما ان الامر بالشيء يدل على حسنه والفاء فيه جزائية اى اذا اكرمت
النفس واشبعته باضافة الذنوب فلا ترم اه والباء فى بالمعاصى للاستعانة
كما فى كتبت بالقلم والمعاصى جمع معصية وهى الذنوب صغيرا كان او كبيرا وكسر
بالنصب مفعول لقوله ترم والكسر بمعنى القطع والانكسار اى فلا تطلب انقطاع
اشتهاء النفس بالمعاصى وانكسارها وفى قوله بالمعاصى استعارة مكنية بتقريرها
هكذا شبه المعاصى للنفس بالطعام لتساويهما فى كونهما مشتهيات وملذات
وذكر المشبه كما فى قوله انشبت المنية اظفارها وقوله ان الطعام علة لما قبله
حذف حرف التعليل اى لان لكون حذف حرف الجر من ان وان قياسيا ففى هذا
المقام قياس اقترانى تقريره هكذا المعاصى لا تطلب بها كسر شهوة النفس
لان المعاصى بمنزلة الطعام والطعام يقوى شهوة النهم ينتج المعاصى بمنزلة
ما يقوى النهم ونضم اليه كبرى ينتج عين الدعوى فنقول وما هو بمنزلة ما يقوى
شهوة النهم لا تطلب بها كسر الشهوة ينتج المعاصى لا تطلب كسر الشهوة
ويمكن ترتيبه من الاستثنائى وهو سهل فلا حاجة الى ذكره وقوله يقوى من
التقوية خبر ان والشهوة بالنصب مفعوله والنهم بفتح النون وكسر الهاء صفة
مشبهة على وزن حذر اى الحريص على كثرة الاكل والشرب ومن جعله مصدرا وقع
فى تكلف وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم اى الاكثر
فى عدم الشبع لان النهم كما لا يشبع من كثرة الاكل كذلك النفس لا تشبع من كثرة المعاصى
بل يألف بها وينهمك فيها ثم استعير النهم للنفس فذكر النهم واريد النفس فعلى هذا
يكون الطعام ايضا مجازا واستعارة عن المعاصى كما سبق استعارة عكسه فتذكر

وحاصل المعنى يا من زين نفسه بحب الشهوات الى النساء والبنين وكان حاله
من العشق والبكاء والانين لا تطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصي
والذنوب اذ من المقرر والشهير بين الصغير والكبير ان المعاصي تقوي شهوة
النفس والنفس لا تسأم ولا تشبع منها اللهم لا تكلنا الى انفسنا في زمن يسير
ولا تجعل مصيرنا دار السعير واجعل امورنا موافقة لمرضاتك انت كاشف كل
عسير وميسر كل عسير وعنايتك لعبادك كثير ويسير **والنفس كالطفل
ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم** لما فهم من الابيات
السابقة ان النفس في يد صاحبها جواب لما اتى به قصيدا مع تشبيه المعقول اعني
النفس بالمحسوس اعني الطفل فقال والنفس كالطفل في الواو اما عاطفة واما
استئنافية والنفس ظاهر في مقام الاضمار اهتماما بشأنه لان النفس مطية
الانسان كما ورد نفسك مطيتك فارفق بها واما لضرورة الشعر والالف
واللام فيها للعهد او للاستغراق لكن الاول اولى اي النفس المعهودة
الامارة وقوله كالطفل الكاف بمعنى المثل رفع محلا على الخبرية اي النفس الامارة
كائنة مثل الطفل والطفل ولد لم يمض عليه بعد ولادته زمان قليل الانسان
في الرحم يسمى جنينا واذا ولد وليدا واذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلا
وبعده يسمى صبيا وبعده مراهقا وبعده غلاما الى ان يبلغ تسع عشر سنة
ثم منه شابا الى اربع وثلثين ثم منه كهلا الى احدى وخمسين ثم منه شيخا
الى اخر العمر وقيل الطفل من مضى عليه بعد ولادته حولان كاملان وفيه اقوال
اخر لكن المناسب بهذا المقام المعنيان المذكوران وانما قال كالطفل ولم يقل
كالصبي لان الصبي العاقل كالبالغ الكامل في كون ايمانه وردته وصومه
وصلوته وغير ذلك معتبرا فاذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلا يطيع

امر غيره

امر غيره فلا يناسب التمثيل والمقام وقوله ان تهمله اثر ان الدالة على الشك دون اذا
الدالة على القطع لكون مدخولها مشكوكا وتهمله مضارع من الاهمال على صيغة الخطاب
وشب الصبي اذا بلغ اوان شبابه وعلى اما بمعنى الى متعلق بشب واما بمعناه متعلقا
بمحذوف اي حريصا او ملازما عليه واما بمعنى مع كما في قوله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا والحب معلوم والرضاع بالفتح والكسر
شرب الولد لبن امه وفي كلام السلف كثرة الرضاع يفسد الطباع وان تفطمه
عطف على ان تهمله وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب اي ان قطعته عن
الرضاع ينفطم وهو مضارع من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع
الى الطفل والمعنى يقبل الانقطاع بسهولة وحاصله انه لو لم يقطع الرجل ولده
عن ثدي امه لغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلث سنة مثلا كما هو مذهب بعض
الفقهاء ثم ترك على حاله شب ذلك الطفل على حبه الى بلوغه ثم دام الى شيخوخته حتى
لو لم تقطع امه ثديها لطم امه لطما شديدا لان الله تعالى خلق في لبن ثدي الام
لذة جميع الاطعمة فاذا لم تقطعه لم يلطم امه حتى يهلكها معاذ الله تعالى فالنفس
كذلك حتى لو لم تقطع عن المعاصي شب على المعاصي والف بها ويكون ملذة بها فيزداد
كل يوم لذته بازدياد المعاصي فيهلك صاحبه حتى يكون سببا لسلب الايمان
معاذ الله تعالى فان قلت ان ما في هذا البيت من التشبيه ادنى التشبيهات
وارذلها لانهم قالوا اذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شيء ينبئ عن التشبيه
يكون استعارة وهي احسن التشبيه بلاغة وفصاحة واذا كان على وجه ذكر المشبه
والمشبه به فقط يكون تشبيها بليغا فهو ادنى من الاستعارة واذا ذكر فيه المشبه
والمشبه به واداة التشبيه ووجه التشبيه يكون ادنى وارذل من التشبيه البليغ فهو عند
البلغاء كهدير حمام وضرير باب مخل بالفصاحة فما وقع ههنا من هذا القبيل

لانه ذكر فيه المشبه وهو النفس والمشبه به وهو الطفل واداة التشبيه وهو الكاف
ووجه التشبيه وهو الكبت على حب شيء على التقدير الاهمال وقبول الانفطام على تقدير
الفطم والناظم الفاضل مع كونه افصح الفصحاء اذهب هنا الى هذا التشبيه فما وجهه
قلت ذهابه الى هذا الطريق لكون المقام اقرب الى الفهم المرام لشدة حرصه
على طريق الافهام كما لا يخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام ...

فاصرف هواها وحاذر ان توليه ان الهوى ما تولى يصم او يصم

لما كانت النفس كالطفل في قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الان في الامر
بتربيتها فقال فاصرف والفاء فصيحة اي اذا عرفت حال النفس الامارة بانك
ان تركت على حالها تأمر بالسوء والفحشاء وان ربيته يقبل التربية كالطفل
فاصرف ولا تترك على حالها اصرف امر من صرف يصرف بمعنى امنع وقيل
بمعنى غير فعلى الاول الهوى مصدر هوي يهوى من باب علم بمعنى الميل والالتذاذ
بالشهوات اذ النفس اذا خلي وطبعه تميل الى الشهوات الى الخير لانها امارة بالسوء
وعلى الثاني المصدر بمعنى المفعول اي محبوبها كما في قوله هواي مع الركب اليمانين مصعد
جنيب وجثماني بمكة موثق فالمعنى غير محبوب النفس السيئ الى المحبوب الحسن في الشرع
وتقدير الكلام اصرفها عن هويها او اصرف عن النفس هواها وحاذر امر بمعنى
احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة وان توليه ان مصدرية وتوليه بالنصب
مضارع من ولاه بالتضعيف اذا جعله واليا او بمعنى التقلد والالتزام او بمعنى
الغلبة وهي بصيغة الخطاب للمخاطب الذي جرده من نفسه في المطلع وضمير المفعول
فيه راجع الى الهوى لكونه مصدرا والمصدر يجوز فيه التانيث والتذكير وقوله ان الهوى
علة الامر بالحذر اي لان الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا الهوى يلزم لك
الحذر من توليه لان الهوى ما تولى يصم او يصم وكل شيء شانه كذا فيلزم لك الحذر

من ان

من ان توليه فينتج الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه وما في تولى شرطية زمانية
بمعنى كلما او بمعنى ان الشرطية وتولى فعل ماض والضمير راجع الى الهوى اي كلما كان
هوى نفسك واليا عليك او ان كان هوى النفس غالبا وواليا عليك يصم من اصمى
يصمي اذا صمى الصيد قتله في مكانه اي يهلك ويقتل حذف عنه الياء علامة للجزم
لانها مجزوم على الشرطية وقوله يصم كلمة او للعطف وهو يجيء لمعان كما
قاله الاصوليون انه في الاكثر يجيء للتشكيك وقد يجيء للاباحة والتخيير
نحو جالس الفقهاء او المحدثين وقد يجيء بمعنى بل كقوله تعالى فهي كالحجارة او
اشد قسوة وقد يجيء بمعنى حتى نحو كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
وقد يجيء بمعنى الى نحو لالزمنك او تقضي حقي وقد يجيء بمعنى الا ان اذا وقع بعدها
مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرئ القيس فقلت
له لا تبك عينيك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا وما وقع ههنا
فهو بمعنى الشك كما لا يخفى وقوله يصم مضارع من وصمه اذا جعله ذا عيب
حذف مفعولهما للضرورة اي يصمك ويجعلك ذا عيب في الناس ثم ان بين
الفعلين اعني يصم ويصم جناس تام كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ايها المخاطب
اذا عرفت كون النفس قابلة للانفطام فاصرفها عن الهوى وعللها بالاثم
واحذر عن ان يأمر الهوى على مملكة عقلك ولا تجعل عقلك مغلوبا للهوى فانه
سبب البعد عن المولى فانه اذا استولى مهلك في الحال او يجعلك ذا عيب بالاضلال
كما قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الاية وفي اية اخرى
ومن اضل ممن اتبع هواه وقال عليه السلام ما عبد اله في الارض ابغض
على الله من الهوى وفي حديث اخر طويل واما المهلكات فشح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه حكي عن ابراهيم بن شيبة انه قال ما بت
تحت سقف اربعين سنة وكنت اشتهي عدسا ولم يتفق فوقفنا نو

[illegible]

حمل الى عدس فتناولت فخرجت فرأيت فوار فطننته خلا فبقل خمر وهذه
الدنان ايضا خمر فاحببت والحماد يتوهم ان فعلى بامر السلطان فعند معرفة حالى
حملني الى ابن طولون فضربني مائتى خشبة وطرحني في السجن فبعد مدة شفع
الى ابو عبد الله المغربي فلما وقع بصره على قال ايش فعلت فقلت شبعة
عدس ومائتى خشبة فقال نجوت مجانا وعن السترى ان النفس تطالبنى منذ ثلثين
سنة او اربعين ان اغمس جرزة في دبس فما اطعمتها . في رسالة القشيري
عن ابى تراب النخشبي ما تمنت نفسي من الشهوات الا مرة تمنت خبزا وبيضا
وانا في السفر فعدلت الى قرية فاخذني اهل القرية انه من اللصوص فضربوني
سبعين درة ثم عرفوني واعتذروا لي فحملني واحد الى منزله فقدم الى خبزا
وبيضا فقلت لنفسي كلي بعد اكل سبعين درة كذا في الخادمي على الطريقة
وحكى ايضا انه كان ملك عظيم السلطنة وكان عادته اذا جاء شهر رمضان
يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير في كل يوم بعد العصر
الى المغرب لينتهي عليه هذا الوقت بالسرور ولا يجد الم الجوع والعطش لان الصائم يجد
في ذلك الوقت اثر الصوم من الجوع والعطش ويتمكنان في قلبه فلو مضى وقته بهذا السرور
والغرور لا يجد الم الجوع والعطش فمر عليه شيخ كامل واطلع الحال فقال في نفسه
انى اذهب وادفع هذا المنكر واوقظ الملك من الغفلة لان هذا الوقت وقت
الافطار وهو وقت الرحمة والمغفرة فلا ينبغي للمسلم ان يشتغل فيه بالفعل الحرام مع
ان دفع المنكر واجب على الانام فدخل الشيخ الى بيت الملك فضرب الملاحين وكسر
مزاميرهم وطنابيرهم والملك كان على قصره ينظرهم فغضب من فعل الشيخ فامر
لخادمه باخذه فاخذوه وجاؤا به امامه فقال ايها الشيخ لم فعلت هذا الفعل القبيح فاجاب
فقال الشيخ هذا منكر ونحن مأمورون بدفع المنكر فقال الملك الم تخف مني فقال
الشيخ

[illegible]

الشيخ اصبر على ما اصابني منك كما قال الله تعالى واصبر على ما اصابك بل لا اخاف
منك اصلا لانك عبد عبدى فقال ما في حول الملك من الاكابر هيهات ضيع الشيخ
عقله فقال انى ما ضيعت عقلي بل هو عبد عبدى في الحقيقة لان الانسان على نوعين
نوع جعل نفسه مغلوبا وكان غالبا على نفسه ويصرفها على اى عبادة شاء ونوع جعل نفسه
غالبا عليه ووليا على مملكة بدنه فانت ايها الملك من اى قسم فتفكر الملك فقال
من الثاني فقال الشيخ فالنفس عبدى وانت عبد النفس فانت عبد عبدى فسلم
الملك كلام الشيخ فتاب وارشد وراعها وهي في الاعمال سائمة وان هي استحلت
المرعى فلا تسم لما فرغ عن بيان منع النفس عن الهوى شرع في بيان التخلية
الموصوفة بالرياضة وقد تحقق في موضعها ان رياضة النفس منعها عن هويها
وجبرها على طاعة مولاها فقال وراعها الواو عاطفة من عطف الانشاء
على الانشاء اعني على جملة حاذر وراع امر من راعى يراعي مراعاة من الرعي وهو ارسال
الدابة الى موضع الكلاء لكن مع ترافق وانتظار اليه لئلا يدخل ملك الغير وضمير المؤنث
راجع الى النفس ففيه استعارة بالكناية كانه شبه النفس في الذهن بالدابة
في لزوم الترقيب لهما في رعيه في الكلاء واستعمالها في العبادة ثم استعير الدابة في الذهن
للنفس فذكر الدابة في الذهن واريد النفس وفي الخارج ذكر المشبه واريد عينه واثبات الرعي
للنفس تخييلية وقوله وهي اى النفس اسكن الهاء لضرورة الشعر وقيل اسكان الهاء
في هو وهي جائز في السعة كما في قراءة قالون والكسائي وغيرهما والواو حالية
وفي الاعمال متعلق بسائمة والمراد من الاعمال الاعمال الصالحات لان السيئات لخلوها
عن النفع ليست باعمال وقوله سائمة خبر المبتدأ وهي من سامت الماشية اذا رعيت
واخرجت الى المرعى فالسائمة حيوان مرسل الى المرعى يسير ويروح ويأكل ويشرب
فقوله وهي في الاعمال سائمة تشبيه بليغ عند الجمهور واستعارة على مذهب البعض

والمعنى ان النفس مثل السائمة فى الاعمال الصالحات ان ترعيها وتسقيها تروح الى ما
تشتهيه من العبادة ولن لم ترع تبق فيما اعتاده وقوله وان هى استحلت اه الواو للاستيناف
والجملة جواب لسوال مقدر وهو هل نترك النفس فى رعيها فى الاعمال فى كل الاوقات
والاحوال فقال لا بل ان هى استحلت اه ويجوز ان يكون الواو عاطفة وتكون الجملة الشرطية ٥
معطوفة على جملة راعيها فان قيل على هذا يلزم عطف الاخبار على الانشاء وهو فاسد
قلنا لا يلزم هذا وانما يلزم لو لم يكن الجزاء انشائية لانهم صرحوا ان خبرية الشرطية
وانشائيتها تابعة للجزاء والجزاء هنا انشائية كما لا يخفى وان هى استحلت من قبيل قوله
تعالى وان احد من المشركين استجارك وان استحلت هى استحلت واستحلت اصله احلت
من استحلى الشئ اى عده ووجدانه حلوا والمرعى بفتح الميم موضع الرعى والمراد منه النوافل
لا الواجبات والمستحبات فانهما لا يستوجبان الترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزبدة
ففى المرعى مجاز واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال الصالحة والعبادات الفالحة
بالمرعى فى الانتفاع به واستعير المرعى لمفهوم الاعمال الصالحة ثم ذكر المرعى واريد الاعمال
الصالحة وقوله فلا تسم نهى حاضر من اسام اذا اخرج الدابة الى المرعى فحذف منه الياء للجزم
والمعنى فلا تبق نفسك فى ذلك بل ازجرها وامنعها ويجوز ان يكون فى هذا البيت
استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من الامور المعقولة فى النفس من كون صاحبها
راعيا وكونها سائمة بين الاعمال ووجدانها لذة فى عبادة وكون الاعمال مرعى لها
وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة من كون الحيوان سائمة فى المرعى
ووجدانها لذة فيها وكون صاحبه راعيا له فى كون كل واحد منهما دائرا بين الامرين
هو الحفظ ان حفظت وعدم الحفظ والضرر ان لم تحفظ ثم استعير الهيئة المنتزعة
من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به
وحاصل معنى البيت وراع النفس ولازمها والحال انها مثل السائمة فى الاعمال الصالحة

فان ترعيها

فان ترعيها وتحفظ فى رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحا وان تتركها تروح
الى ما اعتاده وتضر صاحبها بفعلها ضررا وسيئا وان النفس اذا الفت
ببعض النوافل وعدها حلوا واعتادت فلا تسم تلك النفس ولا ترسلها
على حالها وازجرها وامنعها لان النفس لو وجدت فى عبادة من العبادات لذة
فى غاية اللذات يكون فيها معصية من العجب والريا والفخر بين القوم والورى
فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لا تجد فيه حلاوة لانها لو جعلت العبادة عادة لا يكون
فيها نفع ولا فائدة حكى عن بعض الصالحين انه قال حججت كذا وكذا مرة فبان لى
ان جميع ذلك مشوب بحظى وذلك ان والدتى سالتنى يوما ان اسقى لها جرعة ماء
نثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشرف
لنفس اذ لو كانت نفسى على خلوص لم يصعب عليها ما هو حق الشرع كذا فى البريقة
والمعنى التصوفى لهذا البيت ايها العارف بالله اجعل نفسك فانيا وتحصل رضاء
الله فلا تبق فى الاعمال فان البقاء فى الاعمال مرتبة الصلحاء والزهاد ومع الرجال
وكن مستغرقا فى ملاحظة الواجب الوجود واترك القعود والسجود فان بقيت
فيها تكون محجوبا وان تركتها وبلغت الى ما فوقها تكون مطلوبا فان وراء الاعمال
والاستدلال او صول الكمال وهو حقيقة الوصال فان النفس لخباثتها تقتضى ان تبقى
فى الذكر والفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر ان السم فى الدسم لما ذكر فيما سبق قبول النفس للاتعاظ
والصرف عن الهوى وامر بالرعى فى الاعمال ونهى عن الاسامة لو وجدت لذة
فى المرعى وكان سبب النهى عنها نظريا بينها بقوله كم حسنت اه وتقريره
هكذا لما ثبت ان النفس كثيرا ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر كما
ان السم لا يدرى فى الدسم فان للنفس ان وجدت لذة فى المرعى فلا تسمها

لكون المقدم حق والتالي مثله ثم اعلم ان كم خبرية لا استفهامية والفرق
بينهما ان قائل كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية مستخبر وان ما بعد
كم الخبرية يكون اخبارية واما بعد كم الاستفهامية يكون انشائية
وان مميز كم الخبرية يكون مجرورا في الاكثر ومميز كم الاستفهامية يكون منصوبا
غالبا وكم هنا منصوبة المحل على المصدرية اي كثير بمعنى كم مرة وحسنت ماض
من التحسين على صيغة التانيث وضمير راجع الى النفس ومعنى حسنت جعلت
حسنا في الظاهر فيكون المعنى كم مرة جعلت النفس حسنا في الظاهر شيئا لذيذا
بالعجب والغرور فعلى هذا يكون لذة مفعول حسنت ويكون صفة موصوف
محذوف اي شيئا لذيذا والمراد منه العمل والنفل ويجوز ان يكون المراد من الشيء اللذيذ
الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضي في قوله تعالى ما غرك بربك الكريم
فاعل المعاصي بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتمادا لطبيعته
فعلى هذا التقدير يكون السم استعارة عن العذاب الاليم والدسم استعارة من الا
غترار بكرم الكريم فلا تغفل عن ترتيب استعارتها او معنى حسنت عدت حسنا
ويكون مفعوله محذوفا اعني المرعى ويكون اصل لذة بلذة ثم حذف الجار وانتصب
المجرور ويكون تنوينه عوضا عن المضاف اليه اي العجب والغرور فعلى هذا يكون المعنى
كم مرة عدت النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب والغرور وقوله للمرء متعلق
بقاتلة قدم لضرورة الشعر واللام لتقوية العمل او متعلق بحسنت والمرأ
قال العاصم في ترجمة القاموس المسمى بالاوقيانوس بالحركات الثلثة في الميم
وسكون الراء الانسان مطلقا ذكرا كان او انثى وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا
اعم ولم يوجد له جمع من لفظه وانما جمعه رجال وعلى قول جاء جمعه مرؤون
ويقال في مؤنثه مرأت بتاء التانيث وقد جاء مرة بترك الهمزة وفتح الراء

وقد

مطلب معاني لفظ المرء

وقد يدخل على اولها همزة الوصل وكذا لام التعريف وكذلك يدخل همزة الوصل
على اول المرء فح ان لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلث لغات الاولى
فتح الراء دائما في الرفع والنصب والجر والثانية ضمها دائما في الحالات الثلثة
والثالثة كونه معربا اعني تبعيتها للحرف الاخير في الاعراب فان كان اخره مرفوعا
يكون الراء ايضا مرفوعا وان منصوبا يكون الراء منصوبا وان مجرورا يكون الراء
مجرورا وان كان مقارنا بحرف التعريف يكون الراء ايضا ساكنا البتة هذا وقوله قاتلة
منصوب على انه حال من لذة او صفة له والمراد من القتل ههنا الاهلاك
بذكر الملزوم وارادة اللازم لان القتل لا يكون الا بالة جارحة او ثقيلة وهنا
ليس بالة كذلك وقوله من حيث متعلق بقاتلة وقيد الحيثية يستعمل
لمعان ثلثة الاطلاق والتقييد والتعليل اما الاطلاق فكما في قولهم الماهية
من حيث هي هي والتقييد كقولهم علم الطب ما يبحث عن بدن الانسان
من حيث الصحة والمرض اي لا مطلق بل من هذه الحيثية والتعليل كقول
السائح الماء يبرد وجود الانسان من حيث انه بارد وههنا للتقييد
او للتعليل وحيث في الاصل للمكان واستعير ههنا لمعنى الجهة وقال الاخفش
ترد للزمان ويلزمها الاضافة الى الجملة اسمية كانت او فعلية واضافتها الى
الفعلية اكثر واضافتها الى المفرد نادر ولذا اضيف ههنا الى جملة لم يدر
ولم يدر على صيغة المبني للمفعول او للفاعل بمعنى لم يعلم والسم بالحركات
الثلثة في السين لكن الرواية ههنا بالفتح للمناسبة دواء يهلك الانسان
بسرعة وهو بالفارسي زهر والمراد منه ههنا المعصية من العجب والريا على
سبيل المجاز والاستعارة بان شبه العجب والريا بالسم في الاهلاك لانه كما
ان السم يهلك للانسان كذلك الرياء والعجب مهلك للاعمال كما ورد في الحديث

ان اخاف ما اخاف على امتى الاشراك بالله اما انى لست اقول تعبدون شمسا ولا قمرا
ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله الحديث ثم شبه السم للعجب والرياء فذكر السم واريد
العجب والرياء وقوله فى الدسم ظرف مستقر خبر ان وجملة نائب فاعل لقوله لم يدر
او مفعول له وهو طعام فيه دسومة كثيرة والمراد منه الاعمال والطاعات مجازا واستعارة
تقريرها هكذا شبه الاعمال والطاعات بطعام فيه دسومة فى كونه لذيذا او مشتهيا
بحيث لا يدرى فيه السم ثم شبه الطعام الذى فيه دسومة لمفهوم الطاعات والاعمال
فذكر السم الدال على الطعام واريد منه الاعمال والعبادات ثم اعلم ان فى هذا البيت
ايهام حسن الحالة كما ان السم فى الدسم فى المعنى كذلك لفظ السم فى الدسم كما قيل مثل
فى قوله عليه السلام السفر قطعة من السقر كما لا يخفى وقال الشاعر • النار آخر دينار
نطقت به والهم آخر هذا الدرهم الجارى • وحاصل معنى البيتان ان النفس امارة
غدارة خداعة مكارة فكثيرا ما خدعت المرء وحسنت فى باصرته ما يفسد باطنه
اذ هى كالاعداء لان الاعداء يدخلون السم فى الطعام اللذيذ ويهلكون المرء
لانه لا يعلم السم بسبب لذة الطعام وكذلك النفس تدخل الرياء والعجب فى العبادة
وتهلك صاحبها لانه لا يعلم شرها الخفى بسبب لذة العجب والرياء فان العجب يضر
فى كل الاحوال ولو كان فى غير العبادة والاعمال الا ترى الى ما روى انه لما نظر بعض
من اصحاب • رسول الله عليه السلام الى كثرة العسكر وسلحتهم فى غزوة حنين
قيل ان الصديق الاعظم رضى الله عنه اعجابا من الكثرة والشوكة لا انهزام لنا فيما بعد
ولما وصل الى سمعه صلى الله عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة فى اول تلك
الغزوة تأديبا لهم بان الكثرة لا يغنى شيئا بدون نصرة الله تعالى قال الله تعالى
لقد نصركم الله ببدر ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الاية واما الرياء فانظر
الى ما فى الاسرائيليات ان حكيما صنف ثلثمائة وستين كتابا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم

الى نبيهم قل له قد ملأت الارض نفاقا ورون ولم تردنى بشئ من ذلك
ولا اقبل منه شيئا فندم وترك وخلط العامة وتواضع فاوحى الله اليه
قل له الآن قد وافقت رضائى انتهى وايضا الحديث ان اخوف ما اخاف
عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول
الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن
لهم فى الدنيا وفى حديث آخر طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله
فاجعلوه فى سجين **واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم** لما بين ان النفس يلزم حفظها وتراقبها فى العبادات
لئلا تقع فى الفسادات شرع فى بيان لزوم ترافقها وحفظها بين المباحات التى
لا بد للسالك منها فى الحالات فقال واخش الواو عاطفة ويحتمل ان يكون
استئنافية معانية ويكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فباى شئ تشتغل النفس
حتى تصلح فقال المجيب واخش الدسائس اى اجعلها بين الجوع والشبع واخش
امر من خشى يخشى من الباب الرابع وصيغة الامر ههنا للتادب او للارشاد
لانهم بينوا ان الامر يطلب على ستة عشر وجها الاول الايجاب كقوله تعالى اقيموا
الصلوة والثانى الندب كقوله تعالى وكاتبوهم والثالث التادب كقوله عليه
السلام كل مما يليك والرابع الارشاد كقوله تعالى واستشهدوا والخامس
الاباحة كقوله تعالى كلوا واشربوا والسادس التهديد نحو اعملوا ما شئتم
والسابع الامتنان نحو كلوا مما رزقكم الله والثامن الاكرام نحو ادخلوها بسلام
والتاسع التعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله والعاشر التسخير نحو كونوا قردة
خاسئين والحادى عشر الاهانة نحو ذق انك انت العزيز الكريم والثانى
عشر التسوية نحو اصبروا او لا تصبروا والثالث عشر الدعاء نحو اللهم اغفر لى

معانى الامر

والرابع عشر التمني نحو قول الشاعر الا ايها الليل الطويل الا انجلي والخامس عشر
الاعتقاد نحو قوله تعالى القوا ما انتم ملقون والسادس عشر التكوين نحو
كن فيكون والدسايس جمع دسيسة كالكتايب جمع كتيبة والدسيسة الكيد والحيلة
الخفية والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اعني النفس وهي بالنصب
على انها مفعول اخشى وقوله من جوع ظرف مستقر اما حال من الدسايس
او صفة لها اي احذر من الدسايس او صفة لها اي احذر من الدسايس
حال كونها ناشية وصادرة من جوع ومن شبع او الدسايس الناشية
والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع والجوع الانسان في حال اشتهائه الاكل
بها لاكل الخبز بلا ادام وقيل علامة جوع الانسان ان شم الذباب ريقه وعدم وقوفه
عليه كما قال الشاعر في حق جوع الفتى قولان قيل بان يشهى به الخبز قردا
حالة الاكل وقيل ان وقعت في الاريق دلقة شر الذباب وجد اليه من عجل
والشبع عكس الجوع ونقيضه والمراد من الدسايس الحاصلة منهما الافات المتولدة
منهما اما الافات الحاصلة من الجوع فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال
وملال النفس في تحصيل الكمال والخيالات الفاسدة والاوهام الكاسدة
واما الافات الحاصلة من الشبع فكثرة النوم المقتضية الكسل وقساوة القلب
وغفلته وموته بطول الامل واطفاء نور العلم وكثرة الشهوات وغير ذلك
من المفسدات ويحتمل ان يراد بالجوع الفقر مجازا لانه ملزوم الجوع فعلى هذا يكون
المراد من الدسايس المهالك فان الفقر يلقي الانسان الى المهالك ولذا استعاذ منه
عليه السلام وقال في حديث اخر كاد الفقر ان يكون كفرا وفي اخر الفقر سواد الوجوه
يوم القيمة وهي مثل السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر كم عالم عالم اعيت
مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا هذا الذي ترك الاوهام حايرة وصير

العالم

العالم النحرير زنديقا ويراد ايضا بالشبع الغناء وان يراد بالدسايس
المهالك الغنى وهي حب الدنيا مع انه راس كل خطيئة وطول الامل والكسل
عن الطاعة ونسيان الاخرة وقسوة القلب والكبر والعجب والحرص والطمع
والبخل وغير ذلك ويجوز ان يراد من الجوع الجهل ومن الشبع العلم ويجوز ايضا
ان يراد من الجوع عدم العمل ومن الشبع العمل ويجوز ايضا ان يراد من الجوع السكوت
ومن الشبع الكلام ويجوز ايضا ان يراد من الجوع سهر الليل ومن الشبع نومه ويجوز
ايضا ان يراد من الجوع العزلة ومن الشبع الخلطة ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة
ومن الشبع التزوج ويجوز في لفظي الجوع والشبع على هذا التقادير مجاز واستعارة
ويكون وجه الشبه في كل منهما خلو الغذاء للنفس وحصوله ويكون الدسايس عبارة
عن مهلك كل منها كما لا يخفى على اهل البصيرة وقوله فرب مخمصة ان الفاء للتعليل
لانه علة لدعوى مقدرة مفهومة مما سبق وهو ان الخفية من دسايس الجوع لازمة
كما لا يخفى ورب حرف جر لا يدخل الا على النكرة وهو للتقليل وعند البعض للتكثير وفي
كلمة رب لغات عديدة لانها قد يكون مشددا ومخففا ويلحق اخره التاء وكلمة ما
والتاء مع ما مخففا ومشددا وبالجملة قال الشيخ الاسلام ذكريا الانصاري في كلمة
رب سبعون لغة وعدها في شرحه على القصيدة المنفرجة وان اردت فارجع اليه
فان قلت لم خص التقليل بالخفية من الجوع دون الشبع قلت لانه ضد الشبع بدليل
بين الاثم كما بينه كثير من الائمة وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات في الشبع
فقال من شبع لم يجد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحصل حرمان الشفقة
على الخلق وثقل العبادة وحصل زيادة الشهوة وان سائر المؤمنين يدورون
حول المساجد والشبعان حول المزابل وان اردت التفصيل فعليك التعويل الى
كتب مفصلة ومطولة واما ضد الجوع فخفي بل يترتب عليه فوائد عديدة

بلغ مقابلة

ومنافع كثيرة منها صفاء القلب ومنها دفع النوم السهر ومنها تيسر المواظبة
على العبادة ومنها خفة المؤنة ومنها التمكن بذلك على الايثار والتصدق وغير
ذلك مما لا يتناهى ولذلك قاله ثم ان المخمصة شدة الجوع المفرط وشرا اصله اشرر
فخفف باسقاط الهمزة وقد يجيء ابو قلابة في قرائته سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
على صيغة التفضيل ولم يطابقه احد عليها قال الحريري وشر فيه معنى التفضيل لا يثنى
ولا يجمع ولا يؤنث ولا يقال اشر الا في لغة ردية والتخم جمع تخمة وهو مصدر بمعنى عدم
هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه وتعفنه في معدته وانما كان المخمصة شرا
من التخم مع ان اتفاق العقلاء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع لان المخمصة وشدة
الجوع يورث المزيان ضعفا حتى لا يقدر على اداء العبادة قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ
ان نفسك مطيتك فارفق بها من الرفق ان تجيعها وتذيبها وقد قرر في الفقهية
ان الاكل اما فرض مقدار ما يدفع به الهلاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليوجر في كل لقمة يرفعها العبد الى فمه واما مندوب ان زاد على ذلك
ليتمكن من اداء الصلوة قائما ويسهل الصوم قال عليه السلام المومن القوي احب
الى الله تعالى من المومن الضعيف واما مباح لا اجر ولا وزر زاد على ذلك
لمجرد تقوي البدن فيحاسب حسابا يسيرا واما حرام ان فوق الشبع لاضاعة
المال والاسراف واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم
لما بين طريق استعمال النفس في هذه الحال وفيما سيأتي اراد ان يبين سبب
المغفرة عن الذنوب التي قد اكتسبها فيما مضى فقال تحريضا على التوبة وتحضيضا
على الاوبة واستفرغ الدمع له الواو عاطفة ويجوز ان يكون استئنافية جوابا
لسؤال مقدر كانه قيل هل يكون طريق الى عفو الذنوب التي فعلها فيما مضى
فقال واستفرغ اي نعم استفرغ واستفرغ امر من استفرغ وهو طلب الفرغ وهو

جعل

جعل ثماء او نحوه خاليا عما فيه باخراج ما فيه واراقته والمعنى اجر وارق واخرج
والدمع ماء مالح يجري من العين وتقييد استفرغ الدمع بقوله من عين ظاهر
بما علم ضمنا لا للاحتراز وقوله قد امتلأت صفة العين وضمير المؤنث راجع الى
العين لكن بطريق الاستخدام بان يراد من العين المذكور الباصرة وبالضمير العين
بمعنى الذات المتلئ بالمحارم القلب والمعدة فعلى هذا لا حاجة الى جعل امتلاء
العين كناية عن كثرة الذنوب كما لا يخفى على ذوي القلوب وقوله من المحارم متعلق
بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال ذو رحم محرم اذا لم يحل للرجل نكاحها
والمعنى اذا امتلأت قلبك ومعدتك بالمحارم والافعال السيئة فافرغ عينك
الحية لان البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران
كما قال عليه السلام لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن الضرع
وقيل اذا كان يوم القيمة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد فيجتهد
الرسول عليه السلام دفعها فلم يقدر فينادي لجبرائيل الحق الحق فان النار
قد قصدت امتي لتحرقهم فيأتي جبرائيل بقدح من الماء فينادي الرسول
فيقول خذ هذا ورشه عليها فيرشه فتنطفئ في الحال ويقول يا جبرائيل ما هذه
الماء لم ار مثله في اطفاء النار فيقول جبرائيل ما هذا الا دموع امتك الذين
بكوا من خشية الله في الخلوات امرني ربي ان آخذه واحفظه الى وقت احتياجك
اليه لتطفئ به النار التي قصدت امتك وقوله والزم دفع سؤال نشأ مما قبله
وهو انه هل يكون البكاء مطلقا مذهبا للعصيان ومطهرا للانسان
اي لا بل يلزم ان تلزم حمية الندم مع البكاء والحمية بمعنى الاحتماء والحفظ وهو
بالنصب مفعول الزم والندم بمعنى الندامة على ما مضى او بمعنى من الاحتماء الحاصل
من الندم لانه لو ندم حفظ من العصيان واما من اضافة المشبه الى المشبه به

مطلب في خاصة البيت

كما في لجين الماء اي ندامة كالاحتماء في عدم السلوك الى المعصية فان قلت
استفيد من هذا البيت اي علاج جميع المعاصي هو البكاء والندامة مع ان المظالم وحفظ
حق الغير لا يغفر بالبكاء والندامة بل برد هما والاستحلال عنها قلت رد المظالم والاستحلال
عن الخصوم ونحوهما داخل في الندامة كما لا يخفى وحاصل معنى البيت يا امتلاء عينه
بالمحرمات واتهم قلبه بمرض الغفلات فعليك باخراج الدموع والبكاء لانه يذهب
كل ما اكتسب من الهوى كما قالوا صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات
وكما في بعض الاخبار المروية انه اوقف العبد يوم القيمة وشهد عليه اعضاؤه
بالذلة والعصيان فيستحق ان يدخل النيران فيتطاير شعرة من جفن عينه فتستاذن
تلك الشعرة من الله بالشهادة فيقول الله عز وجل تكلمي يا شعرة واحتجي
من عبدي فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بانه قد بكى في الدنيا من خوف ربه
فيغفر وينادي منادي هذا عتيق الله تعالى بشعرة وكما سئل عن حجة الاسلام من
العينان المذكور فيما عينان تجريان هما لمن فقال عينان تجريان لمن له اليوم و
عينان تجريان هذا ما قرر في التفسير وروح البيان ثم اعلم ان من خواص هذا
البيت انه لو عسر عليك في مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرا
هذا البيت مائة وتسعة عشر مرة فانه يكشف عليك باذن الله تعالى
وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم
لما بين ولوع النفس في هواها وبلوغ الهوى في المعرفة منتهيها وكون النفس
في يد صاحبها شرع الى بيان المخالفة التامة لها فقال وخالف الواو عاطفة
من قبيل عطف الانشاء على الانشاء وخالف امر من المخالفة اثر صيغة المخالفة
للمبالغة والنفس بالنصب مفعول لخالف والالف واللام فيها للعهد اي النفس
الامارة المكارة والشيطان بالنصب عطف على النفس واختار من الحروف العاطفة

الواو

مطلب في بيان امر الشيطان

مطلب في بيان الشيطان

الواو يدل على اجتماعهما واشتراكهما في الامر بالسوء والفحشاء كما في قوله تعالى
ان النفس لامارة بالسوء وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
فان قلت فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركا لان الامر
بمخالفة النفس مغن عن الامر بمخالفة الشيطان لانهما شريكان ومتحدان في الامر
بالسوء فالامر بالمخالفة لاحدهما امر بالمخالفة للاخر فلا فرق بينهما قلت الفرق
بينهما بين لان النفس اذا امر بمعصية تكون مصرا عليه حتى لو فعل معصية اخرى غيرها
امرها النفس لا تسكن الا بفعل المعصية التي امر بها لان النفس فيها نفسانية
بخلاف الشيطان ثم ان الشيطان اما فيعال على ان يكون نونه اصلية من شطن اذا
بعد لبعده عن الخير والرحمة او فعلان على ان يكون نونه زائدة من شاط اذا هلك
او اذا سرع في السير لسرعة سيره في باطن الادمي او اذا احترق لكون اصله نارا
او لكونه اوله نارا فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه اذا جعل علما قال الجعبري الشيطان
ابليس وجنوده والمراد الجنس وقيل عن تفسير الخازن جنس للمردة من الشياطين
ثم اختلف ان الشيطان والجن هل هما موجودان او معدومان والاصح هو الاول
فعلى الاول اختلف ايضا هل هما مجردان اولا واكثر المتكلمين على الثاني فعلى
الثاني اختلف ايضا في انهما هل يختلفان بمعنى ان الشيطان جسم لطيف ناري قادر
على التشكل باشكال مختلفة والجن هوائي قادر على التشكل كذلك ايضا الملك
جسم لطيف نوري كذلك او متحدان جنسا قد يكون منهم خير سعيد جني
وشريرة شقية شيطان فان قيل هل للشيطان نسل قال ابو المعين النسفي
في بحر الكلام قيل ان الشيطان تبيض بيضات ويخرج منها الولد وفي الخبر
ان في احدى فخذيه فرجا وفي الاخر ذكرا فيجامع نفسه فيخرج منه الولد وهذا رواية
شاذة وقيل يدخل ذنبه في دبره فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح فالصحيح

هو الاول ثم اعلم ان المراد من الشيطان هيهنا اعم من الانس والجن لان الشيطان
الذى من الانس يأمر ايضا بالسوء فيلزم المخالفة لامره بل يجوز المعاونة به لان الطبيعة
سارية الا ترى ان العلماء امروا بالمباعدة عن الكسلان اى عن اهل العصيان فان قلت لم قدم
النفس على الشيطان مع ان عداوة الشيطان ثابتة فى كل الزمان قلت اما لان النفس
عدو فى الداخل لا يفارق من الانسان فى كل حالاته حتى الذكر والعبادة فيكون عداوته
اشد من الشيطان لانه عدو من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى
الى جنابه لان كلب الله فيشتكى من شره الى الله فيتخلص منه باذن الله بخلاف النفس
واما لان النفس وان كان عدوا لكنه محبوب والانسان عن عيب محبوبه عمى كما قال الشاعر شعر
وعين الرضا من كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا فيلزم فى النفس
عدم القهر بالكلية لانه مطية المرء فى الايصال الى المقصد فمن قهرها يذل فى السبيل
وعدم الموافقة لها بالكلية فمن وافقها يضله عن سبيله فالخلاص الاعتدال بينهما
واما الشيطان فعداوته خالصة لا يشوب بها محبة اصلا لانه عدو قديم حيث بدا
العداوة من ابينا ادم عليه السلام فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى لانه عدو الاب لا يكون لابنه محبا وقوله واعصهما عطف على خالف
فان قلت هذا القول اى واعصهما مستدرك لان الامر بالمخالفة لهما يستلزم
لعصيانهما قلت ان العصيان اعم من المخالفة لان العصيان ترك الانقياد سواء
امر بفعل او نهى عنه فتركه او لم يؤمر ولم ينه فتركه والمخالفة انما تكون بترك الفعل
الذى امر به او بفعل الفعل الذى نهى عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام
على الخاص فلا استدراك ويجوز الجواب بان يكون كل واحد من المخالفة والعصيان
بالنظر الى كل واحد من الامر والنهى يعنى ان يكون خالف مختصا بالمخالفة
لامرهما ويكون واعص مختصا بالعصيان لنهيهما فيصح العطف لكون فيه
ما فيه وقوله وان هما ان شرطية وضمير التثنية راجع الى النفس والشيطان

ومحضاك

[illegible]

ومحضاك ماض من التمحيض او من المحض بمعنى التخليص اى اخلصك والنصح
بالنصب مفعول ثان لمحضا والنصح ارادة الخير الى الغير وقوله فاتهم الفاء
للجزائية واتهم امر من التهمة اى احمل نصحهما على التكذيب فان قلت هل يكون
للنفس والشيطان نصيحة حتى يتهم على الكذب قلت نعم اما نصيحة النفس
فكما نقله الخادمى عن المنهاج من انه روى عن بعض يقال له احمد بن ارقم البلخى
انه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول
ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير قلت مرادها الخلاص
من جنس الوحدة وتصل الى الخلطة والاستراحة بالالفة واكرام الخلق فقلت لها
اذا كان مرامك ذلك لا انزلك العمران ابدا ولا على معرفة احد فاجابت اسأت
الظن وقلت الله اصدق فقلت اقاتل العدو مقدما على الكل فتقتل فاجابت
ثم عددت شيئا فاجابت عن كلها ثم قلت يا رب نبهنى بها فالقى منهم لها ومصدق
لك فكوشفت كان النفس تقول يا احمد انت تقتلنى كل يوم مرات بمنع شهواتى
وبمخالفة مولاى فان قاتلت قتلت مرة واحدة فنجوت من قتلاتك ويشيع
الناس شهادتى فيكون لى ذكرا وشرفا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو واما
نصيحة الشيطان فما حكاه المولوى فى كتاب المثنوى ان معاوية كان نائما عند
الصباح فجاء الشيطان وقال حى على الفلاح ففطن معاوية بمكره وغدره
فى ظهوره وامره فقال انت يا شيطان ما تأمر الا بمعصية فكيف امرتنى بالطاعة
فما سبب هذا الامر العجيب فانه من مثلك غريب فقال سببه انه قد فاتك الصبح
يوما من الايام بسبب النوم عن صلوة الجماعة مع سيد الانام فندمت على ما فات
وتحزنت عليه فى الاوقات فكتبت لك اضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات
فخفت ان تنام عن الصلوة مرة اخرى فيحصل لك زيادة المثوبة فى الاخرى

فلزم الحذر عن شرهما كما تشيرها في وقت كانا فيه خصمين ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فانت تعرف كيد الخصم والحكم لما اظهر انكار المخاطب اتهام نصحهما او النصيحة
بالخير لا يحمل على الشر اكده بما قبله لكونه امرا مهما واجب الامتثال فقال ولا تطع منهما
لا تطع نهي من الاطاعة وهي قبول الامر الامر ومنهما ظرف مستقر حال من الخصم
والحكم قدمت على ذي الحال لضرورة الشعر كما قال ابن عربي في بيان مواضع يجري فيه
الضرورة وقد جاء في التركيب بعض تصرف كفصل وتقديم مثل زيادة والخصم العدو
الذي ظهر عداوته والحكم بمعنى الحاكم في الدعوى يقال القاضي الحكم والمعنى لا تطع
الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئان من النفس والشيطان يعني ان النفس لو كان
خصما او كان حكما وكذا الشيطان لو كان خصما او حكما فلا تطعهما بل جانبهما
قال الشارح الزركشي ان هذا البيت من اصعب الابيات في القصيدة
من جهة معرفة ان خصم النفس وحكمها ما هو ولذا قالت الشراح ههنا
كلمات لا تسمن ولا تغني بل كلها من قبيل ما لا يعني واما انا فقد تحيرت فيه
برهة من الزمان ثم رايت في المكاشفة الناظم الفاهم اعني محمد البوصيري فقلت
له ما مرادك من هذا البيت يا امام فقال لو تاملت دواعي الانسان لعرفت
المرام فقلت له ارجو منك التفصيل فقال ان الدواعي في الانسان ثلثة وهي القلب
والنفس والشيطان فاذا اراد القلب ان يعمل خيرا تكون النفس له مدعيا فتطلب
تركه ومنعه فيختصمان ويريدان يحكما نفسا الشيطان حكما وهو يامر
بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكما والنفس خصما ولو اراد الشيطان ان يعمل
عمل الشر يقول القلب له فلا تفعل فانه شر ويقول الشيطان لا بل هو خير
فاختصما واحتاجا الى الحكم فاحتكما النفس وهي تامر بالسوء فعلى هذا
كانت النفس حكما والشيطان خصما فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة

اخرى

اخرى انتهى تقرير عبارته وتفصيله والفاء في فانت للتعليل لما قبله فيمكن
يرتب ههنا قياس تقريره هكذا انك يلزم لك عدم اطاعة كل منهما
خصما ولا حكما لانك تعرف كيد الخصم والحكم وكل من يعرف كيد الخصم والحكم
فيلزم له عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما ينتج انك يلزم لك عدم اطاعة
كل منهما خصما ولا حكما والكيد المكر والخيانة ويجيء بمعنى الحيلة والمراد من الخصم
والحكم الثاني ما يتولدان لانهما للعهد فان قلت ما كيفية الوسوسة
مع انا لا ندرك الشيطان بواحد مشاعرنا فكيف يكون لما في قلبنا مدعيا
وحكما وموسوسا قلنا نقل عن الاحيا في كيفيتها ان القلب كالقبة لها ابواب
تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف ترمى اليها سهام من كل
جانب فكلما ادرك شيئا من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال
والشهوة والغضب حدث فيه اي القلب اثر وكذا عند هيجان الشيء من نحو الشهوة
والغضب وهذه الخواطر وهي محركات للارادة التي تحرك الاعضاء فانها
محمودة فالالهام وان مذمومة فوساوس انتهى وفي حديث انس ان الشيطان
واضع خرطومه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فان قلت
باي شيء يخلص من وسوسته قلت قالوا سلاح المؤمن على الشيطان ستة
الاستعاذة وكلمة الشهادة والبسملة وترك الطمع وترك الامل وترك الدنيا
وروى ان قوما شكوا الى الحسن البصري عن الشيطان فقال انه خرج من عندي
الان ويشكو منكم وقال قل للناس دعوا دنياي حتى ادع دينهم والنافع الكبير
في دفع وسوسته الاشتكاء الى الله والرجاء منه تعالى بحفظه وعدم اخراجه عليه
لانه كلب صيد والكلب يلتجي من شره الى صاحبه فان قلت انه وان لم يجب عليه تعالى
شيء في افعاله لكن لا يخلو فعله عن حكمة ولا شك ان النفس والشيطان شر

فاجاب الملوك الكبار ومن في شرح الطريقة انه يشكل بنبينا
شيخ الاسلام زكريا الانصاري جل ذكره الكاتب
والشيطان الاطلاع على ما يحضر بالقلب ام لا
فاجاب لهم الاطلاع على ما يخطر بالقلب منه
باطلاع الله تعالى انتهى

بد بينى فى الحكمة فى خلقهما وتسليطهما على الانسان قلت اما الحكمة فى خلق النفس
فى الانسان وعدم جعله مجردا كملائكة الرحمن فتفضيلهم على عامة الملائكة
لان النفس فيها عوائق وموانع كالشهوة والغضب كسنوح الحاجات
الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال
مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص وكل شئ شانه كذا فهو افضل وان
اردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات واما الحكمة فى خلق الشيطان
ففيه مسلكان اما المسلك الاول فالقول بان لا اطلاع لنا فى حكمة جميع فعله
تعالى لانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لانهما وان لم تظهر علينا فهى ظاهرة على
الراسخين واما المسلك الثانى فبيان حكمة كما قال بعض العلماء من ان الحكمة فى
خلقه اختبار اوليائه عن غيرهم اذ من يتبع عدوه يعنى الشيطان ليس من وليه
تعالى وقال بعضهم الحكمة عدم اغترار العابدين على عباداتهم وبعضهم قال
الحكمة الاعتبار عن حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان واعلام
ضرر الكبر والبغيان على اهل الايمان والتفصيل المطولات وخاصة هذين
البيتين انه اذا كان شخص مصرا على معصيته وتنازعه نفسه على عدم التوبة
فليكتب هذين البيتين فى صحيفة بعد صلوة الجمعة وليمحها بماء الورد وليشربه
وليستمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم
على الابتهال والتضرع الى الله والصلوة على النبى عليه السلام ويسئل الله
التوبة فانه لا يقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه ويلهمه الله الى التوبة يا اخى
نصحى لك الاجتناب فى العبادات عن ملل والملازمة على مداومتها بلا ذلل

استغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذى عقم

ولما راى الناظم الصادق والناصح الحاذق ان نفسه ملوث بالمناهى وملتبس
بالملاهى

مطلب الحكمة فى خلق الشيطان

مطلب خاصة البيتين

بالملاهى وقد قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون والامر بالمعروف من غير العمل
وان كانت حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة اناب الى الله وتاب عما سواه فقال
استغفر الله اه اعلم ان الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو ههنا بمعنى تبت
الى الله واطلب الستر من الله ورجعت الى الله عما فعلته وقوله من قول متعلق باستغفر الله
فان قيل لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد لانه فى تقرير استغفر الله
قلت لا نسلم انه فى ذلك التقدير ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون من قبيل المطلق والمقيد
ولو سلم فلا نسلم انهما متعلقان بفعل واحد كيف وان من الاولى متعلق بالطلب
المستفاد من السين ومن الثانى بمادة المغفرة والمراد من القول اللفظى وقوله بلا عمل
ظرف مستقر صفة لقول اى قول ملتبس بترك العمل والتنوين فى كل من القول والعمل
عوض عن المضاف اليه اى من قولى الملتبس بترك عملى وقوله لقد نسبت جملة
استئنافية معاينة كانه قيل لم استغفر من القول الفصيح المشتمل على المصالح العارى
عن المفاسد والقبائح فقال مجيبا لقد نسبت اللام لتوطئة القسم والنسبة
بمعنى الاضافة والباء فى به للسببية وضميره راجع الى قول بلا عمل والنسل الولد كما فى
الحديث تناكحوا تناسلوا وهو مفعول نسبت والمراد بالولد والنسل العمل مجازا
واستعارة حيث شبه العمل بالولد فى كونهما منتفعا بهما فكما ان الولد ينتفع به
فى الاخرة واستعير العمل بمفهوم الولد فذكر الولد واريد العمل والذى متعلق بنسبت
والعقم بالضم داء لا دواء له وهو قبول الرحم او صلبا الولد واراد بذى عقم نفسه
حيث شبه نفسه الفاقد العمل برجل ذى عقم فى عدم انتاج شيئا ثم استعار رجل الذى
له عقم لنفسه فذكر ذو عقم واريد نفسه وحاصل معنى البيت استغفر الله تعالى

من قولی آمرا وناهیا بلا عمل لان الظاهر ان الآمر بالخیر والناهی عن الشر مؤتمر به
ومنتهٍ عنه فلما لم یکن مؤتمرا به ومنتهیا عنه فی نفس الامر کان ذلک کنسبة الفقر
الی الغنی اهله وکنسبة الولد الی رجل ذی عقم وهو معصیة وعصیان لانه زور وبهتان
مع ان مثل هذا الکلام الذی لا یعمل به صاحبه لا یفضی الی نیل المرام کما قیل ان
القول الذی یخرج عن اللسان لا یبلغ الآذان والذی یخرج عن الجنان وقع علیه الجنان
وفی حدیث روی عن اسامة بن زید انه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم
یقول مررت لیلة اسری بی الی السماء باقوام یقرض شفاههم بمقاریض من نار
فقلت من هؤلاء یا جبرائیل قال خطباء امتک الذین یقولون ما لا یفعلون
وههنا حکایة لطیفة اوردها اسمعیل الحقی فی تفسیره وهی ما روی انه کان
عالم من العلماء مؤثر الکلام قوی التصرف فی القلوب وکان کثیرا یموت من اهل مجلسه
واحد او اثنان من شدة تأثیر وعظه وکان فی بلدة ذلک العالم عجوز لها ابن صالح
رقیق القلب سریع الانفعال وکانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ
فحضر یوما علی حین غفلة منها فوقع من امر الله ما وقع ثم ان العجوز لقیت الواعظ یوما
فی الطریق فقالت اتهدی الانام ولا تهتدی الآن ان ذلک لا ینفع فیا حجر الشحذ انت متی
تسن الحدید ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشیا علیه
فحملوه الی بیته فمات فیلزم لک العمل بکل ما تکلمت به امرتک الخیر لکن ما ائتمرت به
وما استقمت فما قولی لک استقم لما کان عدم عمله فی قوله غیر معلوم بینه بقوله
امرتک الخیر الخ قال شیخ زاده انما ترک العاطف بین قوله امرتک وبین قوله فبینت
لان بینهما کمال الانقطاع لانه تغیره وبیانه والامر صیغة یدل علی طلب الفعل
استعلاء فان قیل لم خص الامر بالذکر دون النهی وقد سبق منه امر ونهی قلنا اراد بالامر
ما یعمهما کما یقال امر السلطان ان لا یؤذی احد احدا والخیر بالنصب من قبیل الحذف

والایصال

والایصال ای بالخیر والخیر ما له عاقبة حمیدة ولما کان قوله امرتک بالخیر
موهما انه عمل به لانه لازم له فی الشرع استدرکه وقال لکن ما ائتمرت به والائتمار
لازم وهو قبول الامر ای ما قبلت الامر وما استقمت عطف علی ما ائتمرت
والاستقامة دوام قیام العلم والعمل بلا ترک وانما نفی الاستقامة لانها امر عظیم
ولذا قال علیه السلام شیبتنی سورة هود کما روی عن بعض الصلحاء انه قال رأیت
رسول الله صلی الله علیه وسلم فی النوم فقلت له روی عنک انک قلت شیبتنی
سورة هود فقال نعم فقلت فما الذی شیبک منها اقصص الانبیاء ام هلاک
الامم قال علیه السلام لا ولکن قوله فاستقم کما امرت وذلک لان حقیقة الاستقامة
هی الوفاء بالعهود کلها وملازمة الصراط برعایة التوسط فی کل الامور من الطعام
والشرب واللباس وفی کل امر دینی ودنیاوی ترغیب وترهیب وذلک
هو الصراط المستقیم فی الآخرة والتمشی علی هذه الصراط التی یقال لها
الاستقامة الاعتدالیة عسیر جدا کما قال فی بحر العلوم الاستقامة علی جمیع حدود الله
علی وجه التمام امر الله بالاستقامة علیه مما یکاد یخرج من طوق البشر ولذلک
قال علیه السلام شیبتنی سورة هود فکل من کان اتم معرفة کان اتم استقامة
وقال ابو علی الجرجانی کن طالب الاستقامة لا طالب الکرامة فان نفسک متحرکة
فی طلب الکرامة وربک یطلب منک الاستقامة فالکرامة الکبری الاستقامة فی خدمة
الخالق لا باظهار الخوارق وقیل لبعض الاولیاء فلان یمشی علی الماء فقال وکذلک
الضفدع والسمک ثم قیل فلان یطیر علی الهوی فقال وکذلک الذباب ثم قیل
فلان یذهب من المشرق الی المغرب فی ساعة فقال وکذلک الشیطان فقیل له
ما المقبول عندک قال الاستقامة فی الدین وقوله فما قولی الفاء للعطف وهو
معطوف علی قوله امرتک عطف الانشائیة علی الخبریة لفظا وعطف الانشائیة

مطلب فی الاستقامة [illegible]

على الانشائية نظراً الى المعنى المقصود لان قوله امرتك فى الصورة اخبار وفى المعنى
انشاء تحسر و تأسف على حاله كما فى قوله هواى مع الركب اليمانين مصعد او من
عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولك ما ينبغى ان اقول لك وما فى قوله
فما استفهامية يتولد منه معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور
ومثل الانكار وقوله لك متعلق بالقول فالقول هنا بمعنى الخطاب لانه متعد باللام
وقوله استقم امر من استقام وجملة مقول قول لقولى اى فما خطابى لك باستقم فان
قلت انى امرنى باستقم بل هو غير موجود فلا يستقيم هذا القول لانه لم يسبق منه هذا القول
قلنا وان لم يسبق هذا القول تصريحاً لكنه قد سبق تلويحاً وضمناً اذ المفهوم مما قبله تطويع
النفس الامارة واطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر بامرها وتنتهى بنهيها
وذلك لا يحصل الا بالاطاعة لها حتى يستقيم وبالجملة انه وان لم يسبق لفظ استقم
لكن سبق معناه والمراد ههنا معناه لا لفظه وحاصل المعنى انى مسيئ وعاص
لا فى امرتك ونصحتك بالخير الى ما نصحت وما استقمت به وقلت لك استقم
فحينئذ ما فائدته اذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر فى السامع كما قيل وكيف يستقيم الظل
والعود اعوج وكقول ابن عمر وغير تقى الناس يأمر بالتقى طبيب يداوى الناس
وهو مريض ولذا قيل لبعض الواعظين عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحى من الله تعالى ولكن يلزم للمؤمن ان يقبل قول كل واعظ ولا ينظر اليه لان
الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها اى فمن شد نفسى حيث لم احصل بها
راحة ولم ادرك بسببها رفيقا وقافلة ولا تزودت قبل الموت بنافلة
ولم اصل سوى فرض ولم اصم لما كان قوله فيما سبق لكن ما تزودت به نظراً خفياً
بينه وكشفه فقال ولا تزودت الواو عاطفة وتكرر لا لتأكيد النفى والتزود
من باب التفعل من الزاد وهو الطعام الذى اتخذ للسفر والمراد منه ههنا الطاعات

والعبادات

والعبادات ففيه استعارة مكنية شبه نفسه فى الذهن بالرجل الذى يريد السفر
فى كونهما محتاجين لاتخاذ ما يلزم لهما فكما ان مريد السفر من مكانه يلزم له اتخاذ الزاد
والراحلة فكذلك يلزم النفس التى يريد السفر من الدنيا الى الاخرة اتخاذ زاد وهو
تقوى الله والاعمال الصالحة ثم استعير فى الذهن الرجل الذى يريد السفر لنفسه
ثم فى الخارج ذكر المشبه اعنى لنفسه حيث ذكر بضمير التكلم واريد المشبه نفسه والرمز
والاشارة الى هذه الاستعارة التى فى الذهن اثبت التزود الذى من لوازم المشبه به
الى المشبه وهذا الاثبات تخييلية ويحتمل ان يكون فى تزودت استعارة مصرحة تبعية
بان يشبه كسب العبادات والاتقاء الى الله باتخاذ الزاد للسفر فى كونهما منتفعاً
ثم استعير التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر واريد منه كسب العبادات والاتقاء
لله وتبعية هذه الاستعارة اشتق صيغة تزودت من المصدر الذى هو التزود
وصيغة اتقيت لله من المصدر الذى هو الاتقاء وشبه اتقيت بصيغة تزودت
ثم ذكر هيئة تزودت واريد اتقيت ونكتة المجاز اى التعبير بتزودت دون
اتقيت وتنفلت اشارة الى ان الدنيا دار رحلة والناس عابر سبيل فلا بد من الزاد
واثاث السفر كما قال عليه السلام كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك
من اصحاب القبور فكما ان الزاد وصلة الى قرب الحق كذلك النافلة وصلة الى
قرب الله تعالى كما قال تعالى فى حديث القدسى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل
حتى احبه وقوله نافلة بالنصب مفعول تزودت والمراد من النافلة قربة ليست
بواجب ولا بفرض وقوله ولم اصل عطف تفسير لما قبله ودفع لتوهم انه لم يصل
الفرائض ولم يصمها وهو بمعنى ولم اقم الصلوة والفرض فى اللغة التقدير والقطع
وفى الشرع ما يثبت بدليل قطعى لا شبهة فيه وقوله ولم اصم عطف على لم اصل
ومفعوله محذوف بقرينة سابقة اى لم اصم سوى فرض والصوم فى اللغة

الامساك وفي الشرع عبارة عن امساك مخصوص من الاكل والشرب والجماع من الصبح
الى المغرب والفرضان في الموضعين صفة موصوف محذوف اي صلوة فرض وصوم فرض
فان قلت الاقامة بالفرض خير وثواب وله عاقبة حميدة فهذا ينافي هذا القول
بقوله لكن ما تمرت بالخير قلت تنوين فرض للتقليل والمراد الى ما اتيت بحق العبودية
حق القيام بزيادة النوافل في الليالي والايام والصلوة والصوم المفروضة دينا
كانه لم يجعلها معتدا بها في جنب الامتثال بقوله تعالى وما خلقت الجن والا
نس الا ليعبدون وحاصل معنى البيت ما جعلت شيئا من النوافل زاد السفر
قبل الموت ولا تهيأت للوصول الى مراتب الكمال قبل الموت واقتصرت من قصور همتي
على فرض الصلوة والصيام وما قمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد
السلف كما نقل ان جنيدا كان يدخل كل يوم حانوته ويرسل الستر ويصلي اربعمائة
ركعة ثم يعود الى بيته وعن ابي عبد الله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ
في ابتداء امري في ركعة واحدة عشرة الاف مرة قل هو الله احد وربما كنت
اقرأ في ركعة القران كله وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة وفي بعض الكتب
قال شريك كنت مع ابي حنيفة رحمه الله سنة فما رايت وضع جنبه على الارض وكان
اصحابه يشهد انه كان يصلي صلوة الغداء بوضوء العشاء وقال مسعر جسست
ابا حنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل
الصلوة فلم افتد بالسهر والقيت حصيات في نعله ورجعت فعند قرب الصبح
رجعت فوجدته في مكانه يدعو ويبكي ونظرت نعله والحصيات باقية والتفصيل
في المطولات واما الصوم فما ذكر في رسالة القشيرية كان سهل ابن عبد الله يفطر
في خمسة عشر يوما وفي رمضان الى رؤية الهلال وكان في كل ليلة يفطر بالماء
القراح وابو تراب النخشبي اكل اكلتين من بصرة الى مكة وابو عثمان المغربي يقول

الرباني

الرباني ياكل مرة في اربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما وروي ان سهل اقتات
بثلث درهم في ثلث سنوات كذا ذكره في شرح الطريقة وخالفت امر روشانه
قدعي ولم اطع قوله في كل امر جلي ظلمت سنة من احيا الظلام الى ان اشتكت
قدماه الضر عن ورم لما فرغ من الفصل الثاني الكائن في بيان معرفة النفس
من كونها امارة بالسوء وكونها غير معتدة عملا صالحا وكونها مشتغلة بالهوى
وكونها قابلة للتربية كالطفل وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم
شرع في الفصل الثالث الكائن في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم فقال ظلمت
سنة اه بترك الواو الوصلية اشارة الى ربط ولطافة فان قلت وما المناسبة بين
الفصلين قلت انه لما بين في الفصل المقدم معرفة النفس اراد ان يبين في هذا الفصل
معرفة الرب عملا بما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعرفة الرب انما يكون بمعرفة النبي
فيكون مدحه صلى الله عليه وسلم راجعا الى مدح الله تعالى كما ان مدح النقش راجع الى مدح
كما لا يخفى وانما اختار صيغة المتكلم وحده اظهارا للتذلل في مقام مدح النبي
واعلاما لاستقلال مدحه بانه لا يشوبه مدحه مدح غيره وظلمت مشتق من الظلم
وهو في اللغة وضع الشيء في غير موضعه وفي الشرع التجاوز عن الحق الى الباطل والتصرف
في ملك الغير بغير اذنه والمراد هنا الترك مجازا من معناه اللغوي لانه يلزم لوضع الشيء
في غير موضعه ترك موضعه الاصلي فيكون من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم وسنة
بالنصب مفعول لظلمت وهي في اللغة الطريقة وفي الشرع الطريقة المسلوكة في الدين
غير فرض ولا واجب فالسنة ان واظب النبي عليها يكون مؤكدا وان لم يواظب يكون
سنن الهدى وههنا اعم من السنة المؤكدة وسنة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة
الحنيفية المنسوبة الى النبي عليه الصلوة والسلام التي من سلك فيها يصل الى مقصوده
ومن موصوله والمراد به النبي عليه السلام وانما ابهم للتفخيم اي سنة الذات الفخيم العظيم

ه ـ عطف على مقدر اعني ان زيادة السنة في الصوم
ويمكن ان يجعل اه انما الصوم فاذكر منه

الكريم الحليم النبي المخلص الرحيم الذي احيى وهو بمعنى ترك النوم للعبادة مجازا لان
النوم يشبه الموت في انتفاء الادراك وانتفاء الانتفاع وكذلك اليقظة تشبه الحيوة
ففي احيى استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالاحياء في الانتفاع
والسرور فاستعير الاحيا لترك النوم للعبادة فذكر الاحياء واريد ترك النوم
للعبادة وتبعية بهذه الاستعارة اشتق من الاحياء صيغة احيى ومن ترك النوم
للعبادة صيغة ترك او سهر وشبه ترك باحيى بواسطة العلاقة في مصدريهما فذكر احيى
واريد ترك النوم للعبادة وانما قيدنا ترك النوم بقولنا للعبادة لان ترك النوم
للفسق والمعاصي لا يعد احياء بل اماتة وخسرانا والظلام بالفتح ذهاب النور والمراد
به الليل مجازا من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم وايقاع احيى على الظلام مجاز كما كان
الطرفان مجازين فمعنى احيى الظلام يعني ترك مناما للطيفة الشريفة المباركة التي يكون
فيها خير الانام مشتغلا بالوحي والالهام في الليالي المظلمة الخالية عن الاغيار والرقباء
المبالغة وقوله الى ان اشتكت الى للانتهاء متعلق باحيى وان مصدرية واشتكى من الاشتكاء
وهو اخبار المظلوم عن ظلم من لا يستطيع الى دفع ظلمه فاشتكت بمعنى اظهرت الشكوى
كما في قوله شكوت وما الشكوى بمثلي عادة ولكن يفيض الكأس عند امتلائها وههنا
ليس بمعناه الاصلي بل هو الاظهار والدلالة على الوجع الناشي من العوارض البشرية
والامور الحسية اي اظهرت ودلت قدماه اي رجلاه المكرمان المحترمان اللتان تراب
نعلهما كحل اعين العالمين والضر بالفتح او الضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول
اشتكت وقوله من ورم حال من الضر او بيان له والورم بالفتحتين الانتفاخ يعني
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة وكان يصلي الليل
كله ويقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى لطول القيام ويتعب نفسه
كل الاتعاب حتى ورمت قدماه المحترمان المكرمان وانتقلنا من الحالة الاولى

الى الاخرى

الى الحالة الاخرى فانزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفا له عليه السلام
ولامته الضعيفة طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اي يا محمد قدميك
المكرمين على الارض ولا تهلك نفسك فان لها عليك حقا الا انا ما انزلنا
عليك القران العظيم لتتعب نفسك وتجعلها في حالة تقرب الهلاك ثم كان عادته
عليه السلام بعد هذه الاية انه يقوم بعد ثلثي الليل ويتهجد ثم اعلم ان المفسرين
قالوا كانت صلوة التهجد فرضا له عليه السلام لا لامته بقوله تعالى فتهجد به نافلة
لك الاية فكان هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم ثم انهم قالوا ان التهجد سنة
لامته عليه السلام كيف وقد قال عليه الصلوة والسلام ركعتان يركعهما العبد في جوف
الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما وفي حديث
اخر ما زال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لا ينامون ثم انهم
قالوا ان التهجد من اربعة الى ثنتي عشر وقال بعضهم من اثنين الى اثني عشر ثم انهم
اختلفوا في ان التهجد هل يطلق على قيام الليل كله ام لا والاصح عند الخادمي على
ما ذكره في شرح الطريقة ما يكون بعد النوم فان قيل لم قدم الناظم العالم بهذا المدح
من مدايحه عليه السلام على غيره قلت اشارة الى ان هذه الخصلة الحسنة اشرف الخصال
واكرم الفعال مع ما في هذا المدح من التوبيخ لامته من انه عليه السلام كان يعبد ربه
غاية العبادة ويطيع له غاية الاطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل
له حين ورمت قدماه المحترمان اتتكلف وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا اي على ما انعم من المغفرة مع ايمائه
عليه السلام في ذكر لفظ العبد الى انه لا بد له من القيام بوظايف العبودية
والمبالغة في اداء شكر حقوق الربوبية انكم ايها الامة مع كونكم مختلطين بالمعاصي
والذنوب بل بترك اوامر علام الغيوب تعبدون الله وتنامون من المساء

الى الصباح كانكم مبشرون بالجنة والفلاح (والكوثر) فهيهات ما تظنون والله خلقتكم
للعبادة وانكم لا تعلمون فان قيل لم قدم من بين عبادات عليه السلام احياء الليالى
قلت اقتداء للنظم الكريم لانه تعالى كلما ذكر فى القران الصوم قدم عليه الصلوة ولان
قيام الليالى افضل العبادات لانه فى الليل يكون بين العابد والمعبود خاليا من الاغيار
ويكون فيها الدعوات اسرع اجابة اذ هو وقت الاخيار ولذا قيل ان العابد فى الليالى
يستحق اجرين اجرا لترك النوم واجر العبادة مع ان ترك فى الليالى الكثيرة المتوالية
احياء جميعها بالصلوة لا يقدر عليه الا رسول الله الوهاب الهى لا تجعلنا ممن ضل
وغوى فاخذته بذنوبه فتوى واحشرنا فى زمرة من لا ينطق عن الهوى ٥٥

وشد من سغب احشائه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم

لما بين عبادته صلى الله عليه وسلم التى هى الوسيلة الى الدرجات العليا فى العقبا شرع
فى بيان مقام زهده فى الدنيا واخبار الرياضة فى مرضاة المولى تعالى وشد من سغب الخ
الواو عاطفة لجملة شد معطوفة على احيى ومعنى شد عقد وكلمة من منشائية اى بسبب
سغب والسغب بفتحتين الجوع مطلقا وقيل السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب
والمعنى هنا عقد من اظهار سغب ليستتر به عن غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان
الملك العلام والا فهو صلى الله عليه وسلم لا يجوع اصلا لان قلبه مملو بنور مولاه
لا يحتاج الى الاكل وشرب المياه مع انه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد فى حديثه عليه
السلام ان ربى يطعمنى ويسقينى واحشائه بالنصب مفعول شد وضميره
راجع الى الموصول والاحشاء جمع حشى بمعنى القلب وانما جمع مع انه ما جعل الله لرجل
من قلبين فى جوفه للتعظيم والتفخيم كما فى قوله تعالى فنعم الماهدون فيكون مجازا
واستعارة بان شبه قلبه عليه السلام بالقلوب الكثيرة فى العظم والكثرة ثم استعير القلوب
لقلبه عليه السلام وذكر القلوب واريد منه قلبه عليه السلام وقوله وطوى عطف على شد

عطف

عطف تفسيرى لحرف العطف بمعنى حرف التفسير او من قبيل عطف العلة على المعلول فحرف
العطف بمعنى اذ ومعنى طوى لف وقال الشهاب فى شرح الشفاء فى حديث انه انه قال
ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله فى الليالى المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء الطوى بمعنى الجوع لكن الانسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف
كما لا يخفى واذا كان بمعنى اللف يكون المراد ههنا تداخل الجلد بعضها بعضا لانتهاء
الجوع الى حد الكمال وقوله تحت الحجارة ظرف لطوى بتضمين معنى الوضع وكشحا بالنصب
مفعول طوى والكشح بالفتح والسكون ما بين الخاصرة والضلع ومترف بالنصب
حال من الكشح وهو اسم مفعول من الاتراف بمعنى النعومة فالمراد من المترف
المطرف فى النعومة واللطافة والادم بفتحتين جمع اديم وهو بمعنى الجلد واضافة
المترف اليه من اضافة الصفة الى موصوفها اى جلد الناعم اللين وحاصل المعنى
انه سهوت وركتمت الذات الفخيم والنبى الحليم المخلص الصفى الذى عقد بطنه
الشريفة اللطيف لاظهار رجوعه الى الاصحاب ليستتر به ووضع خاصرته اللطيفة
الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة ليدفع برودة الحجر عنه عليه السلام حرارة
الجوع وحاصل معنى البيت اما كناية عن مبالغة رياضة عليه السلام لانه عليه
السلام كان فى اكثر اوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضى الله عنها بكيت
لما رايت به من الجوع وشدة السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت
ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن
اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها
يا عائشة ان الدنيا لا ينبغى لمحمد ولا لآل محمد الحديث وفى حديث اخر قالت عائشة
قال رسول الله عليه الصلوة والسلام عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب اجوع يوما واشبع فاما اليوم الذى اجوع فاتضرع اليك وادعوك

واما اليوم الذى شبع فاحمدك واثنى عليك وفى رسالة القشيرية ان فاطمة رضى الله
تعالى عنها جائت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة
قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام
دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام واما اشارة الى ماوقع فى غزوة خندق وبيانه انه
عليه السلام لما اخرج بنى النضير من اليهود ومن اطراف المدينة ذهبا بو عمرو الراهب منهم
الى مكة لتحريك المشركين لمحاربته فجاء الى بيت ابى سفيان فاخبر الحال فاكرمه ابو سفيان
وشرع الى جمع عسكر فجمع مقدار عشرة الاف على القعود وخرجوا الى جانب المدينة فوصل هذا الخبر
الى سمعه عليه السلام فاستشار مع الاصحاب فقال سلمان الفارسى يا رسول الله ان فى بلاد العجم
اذا غلب العدو فى بلدة ولم يقدر اهل البلدة الى محاربتهم يحفرون اطراف تلك البلدة
ويجعلونها خندقا ويحفظونها فاستصوب رسول الله عليه السلام هذا الرأى فشرعوا
لحفر الخندق خمس يوما ثم جاء العدو فحاصرهم تسع عشرين يوما فوصل للمسلمين
فيه مشقة كثيرة فاستولى خمسة انواع من المشقة الاول القحط والثانى كثرة الاعداء والثالث
خوف القتل والرابع الجوع والخامس شدة البرد حتى رحم النبى عليه السلام لحال الصحابة ونادى
من يأتينى باخبار العدو فهو رفيقى فى الجنة ولم يجيبوا له عليه السلام لشدة جوعهم
وعدم طاقتهم الى الذهاب ثم صرح باسامى اربعة من الصحابة فقالوا يا رسول الله و
لا تحركنا من موضعنا فالله معنا ثم دعى لحذيفة اليمانى وارسل الى الاخبار فذهب
فجاء بخبر فرارهم وهلاك اكثرهم من شدة البرد وروى انه عليه السلام ربط على بطنه
الشريفة حجرا حجيما دفعا لثقل الجوع وتعليما للاصحاب ولذا انه سنة لمن كان جائعا
ولم يجد خبزا ان يعقد حجرا على بطنه لانه يسكن الم الجوع وهذا من هدايا النبى عليه السلام
اللهم لا تعط لنا فى الدنيا من كرب واجعل مرتبتنا فى الدارين ارفع الرتب بحرمة النبى الامية
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم

فلما

فلما توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريفة اللطيفة المملوة بالحكم الالهية
الحجارة المباركة لاجل السغب الظاهرى ان رياضته عليه السلام وشدة الجوع لفقره ودنه
واحتياجه دفع الناظم الفاهم ذلك المقال فقال وراودته الجبال اه الواو عاطفة
والجملة معطوفة على القريب او البعيد والمراودة المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة
المفاعلة اذا لم يكن للمغالبة فهى للمبالغة وضمير المفعول راجع اليه صلى الله عليه وسلم
او المراودة بمعنى المجيئة والجبال بالرفع فاعل راودت وهى جمع جبل والشم بضم الشين
جمع اشم بمعنى الرفيع غاية الرفع وهى صفة للجبال اى جاء الجبال الرفيعة او طلبت الجبال
الرفيعة ومن ذهب صفة للجبال او حال عنها والالف واللام فى الجبال للعهد
اذ الجبال التى راودت الرسول عليه السلام خمس جبال فى حوالى المكة المكرمة اعنى
جبل ابى القبيس وجبل حرى وجبل ثور وجبل بطحا وجبل الصفا وعن نفسه
متعلق براودته بتضمين معنى التسليم يعنى ان الجبال الرفيعة المنقلبة الى الذهب
طلبت النبى عليه السلام مالكية لنفسه عليه السلام والفاء للتعقيب بلا تراخ واركى
ماض من الاراءة فاعله راجع الى النبى عليه السلام وضمير المفعول راجع الى الجبال
ومفعوله الثانى محذوف اى ارى رسول الله عليه السلام الى الجبال حين عرض نفسهم
بتزيين اليه شمما واستغناء ايما شمم وما زائدة وقيل صلة للتاكيد واى صفة
موصوف محذوف هو مفعول ثان لارى واى يفيد فى هذا المقام معنى الكمال
لانهم قالوا ان اى ان كان مضافا الى ما هو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية
كما تقول رأيت رجلا اى رجل اى كامل فى الرجولية والمعنى شمما واستغناء غاية
الاستغناء كمال الارتفاع وحاصل المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض
عن الدنيا واقبل الى المولى واثر متاعب الفقر الظاهرى على مناصب الغنى
حتى ان الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه وتزينت بانواع الزينة لديه

دمالت غاية الميل اليه رجاء ان يرفع النظر عليها فترفع عن الالتفات اليها وفى
هذا البيت اشارة الى ما روى ان جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرائك
السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك اينما كنت
فتوقف ساعة فقال يا جبرائيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له فقال له عليه الصلوة والسلام جبرائيل ثبتك الله يا محمد
بالقول الثابت وفى هذا الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر
على الغنى الشاكر كما اجمعت عليه السادة السنية والطائفة الصوفية والى هذا المقام
اشار من قال من ارباب الكمال همة الرجال تهدم الجبال وفى هذا البيت تلميح الى
قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وايماء ملبح الى مزية فضيلة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لان المراودة ليوسف عليه
السلام كان لحسنه لغير الاختيارى ولانها كانت هناك على ما حرم الله تعالى
ولانها كانت هناك من ذى عقل يتصور المراودة عنه ولان يوسف عليه السلام
اختار فى الدنيا ما يزيد فى اللذة واما المراودة لنبينا صلى الله عليه وسلم
فوقعت لخلقه الاختيارى وعلى ما اباحه الله تعالى ومن جماد لا يتصور المراودة
عنه وانه عليه السلام ما اختار لذة الدنيا مع انه تعالى قال له عليه السلام
لا حساب لما اخذته من الدنيا فعلى هذا يكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية
بان شبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله
عليه السلام اليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام
وعدم ميله اليها فى الطلب المطلق فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة
المنتزعة من المشبه فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا واريد مراودة الجبال
وقال الشارح الخربوتى ان الاشم من الشمم وهو الانف ومعناه طلب الجبال التى

ادلى الانف

بلغ كلمة ازا صف

اولى الانف عن نفسه عليه السلام يعنى ان الجبال الخنم واطال انفها اى طرفها الذى
كالانف فخالانا والى النبى عليه الصلوة والسلام فما مال اليها اصلا بل اظهر الترفع ولا الثفنا

واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لا تعدو على العصم

لما توهم المتوهم ان ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعبادته وزهادته فدفعه فقال
واكدت زهده اه الواو عاطفة او ابتدائية واكدت من التاكيد وان التاكيد والتوكيد
هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة الى الشئ وفى الاصطلاح الاعراض عن الدنيا
وتركه واخذه روى ان رسول الله عليه السلام كان مضطجعا على سرير مفروش بشئ
خفيف رطبا اخضر وتحت راسه وسادة من اديم مملو بليف ودخل فيه عمر رضى الله
عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبى عليه السلام فراى عمر اثر الفراش فى جنبه
عليه السلام فبكى فقال عليه السلام ما يبكيك يا عمر فقال فكيف لا ابكى ان كسرى
وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وانت على هذه الحالة فقال عليه السلام
يا عمر اما ترضى ان يكون لهم فى الدنيا ولنا فى الاخرة قال بلى فنزل جبرائيل وقال
سنة الله قد جرت على ان لذة الاخرة تنقص على كل احد بحسب ازدياد لذة الدنيا
فكلما كان لذة الدنيا اكثر كان لذة الاخرة اقل كما فى قوله تعالى اذهبتم طيباتكم
فى حيوتكم الدنيا لكن الله تعالى يقول قل لمحمد عليه السلام خذ من غنائم الدنيا
ما تريد واطلب ما تشاء فانك مجاب لا تنقص من لذتك فى الاخرة بسبب
لذتك فى الدنيا فقال عليه السلام والله خير وابقى ثم ان زهده بالنصب على انه
مفعول اكدت والضمير راجع اليه عليه السلام وفيها متعلق باكدت ايضا
وضميره راجع الى الدنيا المذكورة ضمنا والاولى ان يكون راجعا الى الجبال وضرورته
بالرفع فاعل اكدت والضرورة شدة الاحتياج ومنها الاضطرار ضد الاختيار
والاحتياج وان لم يكن فى نبينا عليه السلام حقيقة لكن المراد منها الضرورة

ماتيسر لطفكم ان اطلاقه حيث كان يتقال البيت الشارح العلم

الظاهري والاحتياج الحسي وقوله ان الضرورة اه استئناف كانه قيل كيف يؤكد الضرورة
الزهد فيها مع ان الضرورة توقع الانسان في المهالك وقد اشار عليه السلام الى
مشقة الضرورة وعدم تحمل كل احد في قوله كاد الفقر ان يكون كفرا فقال مجيبا
ان الضرورة لا تعدو على العصم ويمكن ان يرتب عليه قياس تقريره هكذا ان الضرورة
لا تعدو على النبي لان الضرورة لا تعدو على العصم والنبي عصم ينتج من غير متعارف الشكل
الثاني الضرورة لا تعدو على النبي فان قيل لم اظهر في مقام الاضمار لان المناسب ان يقول
انها قلت لضرورة الشعر ولئلا يختل مرجع الضمير لانه لو قال لانها يتوهم ان ضميره
راجع الى مرجع ضمير فيها كما لا يخفى وتعدو من عدى عليه اذا غلبه واستولى عليه فالمعنى
لا تقدر ان تغلب ولا تستولي والعصم جمع عصمة وهي قوة زاجرة اودعها الله تعالى
في خواص عباده واكابر عباده تمنعهم عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم
والعصمة مصدر هنا بمعنى المفعول اى المعصوم حاصل المعنى قد اكد فقره الظاهري
واحتياجه الحسي زهده واعراضه عن الدنيا وعدم اقباله على الجمال العلمي مع
كونها ذهبا فتعطف نفسا فكيف يكون ضرورته غالبا عليه مع ان ضرورته
تابعة لعصمته الكبرى وتاييداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لا يستولي
على الغالب بخلاف ضرورة سائر الناس فانها غير تابعة لهم فجاز ان يغلب عليهم
وتجذب همتهم الى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى عنها

وكيف تدعوا الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

لما بين رياضته الشديدة ومجاهدته الشديدة اراد ان يشرع الى بيان افضليته
وعيان اشرفيته لكن مع ربط انيق وترتيب شهي حيث كان هذا البيت تاكيدا
لما قبله فقال وكيف تدعواه الواو عاطفة على مقدر اى انه عليه السلام ما يدعو الى الله
فقط وكيف تدعوه الدنيا ونعيمها والجنة ونعيمها وفيه اشارة الى حديث قدسي

الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل
الله والى ان الدنيا والاخرة لا يجتمعان على وجه الكمال ولذا قيل انهما ضرتان
او مثل كفتي الميزان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب
اخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وكيف استفهام انكاري وتدعوا من
الدعوة وفاعله ضرورة ومفعوله محذوف اى كيف تدعوه صلى الله عليه
وسلم ضرورته والدنيا نقيض الاخرة وهي اما ما على الارض من الهوى والجو واما
كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الاخرة والاصل في الدنيا دنوى بدلالة قولهم
دنوت الى الشيء دنوا فقلبت الواو ياء ولم يقلب مثل ذلك في القصوى لانه
ذهب بالدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا والاخرة وان كان اصلها صفة
تخففت لان الاسم احق بها بالتخفيف ثم ان المسموع من العرب في النسبة الى الدنيا
دنيي ودنيوي ومنهم من شبه الفها بالف بيضاء في كونهما علامتي التانيث فقال
فيها دنياوي واما الحاق الهمزة بها فلا وجه له لانه اسم مقصور غير ممدود
والهمزة انما تلحق للممدود المنصرف ثم ان دنيا تجمع بالتنوين غلط لان الدنيا
وما هو على وزنها لا ينون فان قيل لم سمي الدنيا دنيا قلت اما لدنوها اى لقربها
بالنسبة الى الاخرة او لقرب شهواتها في القلب او لدناءتها وخساستها ولذا
تبع الدنيا يكون خسيسا فان قلت لو قبل النبي عليه السلام اموال الدنيا وانفقها
الى الفقراء هلا يكون حسنا من الفقر قلنا لا يكون حسنا لانه لو قبل المال وصرفه
الى الفقراء يكون برا ولو لم يقبل لكان ابر والابر يكون ابر من البر والضمير في لولاه
مرفوع على انه اسم لولا وخبره محذوف وجوبا اى لولاه موجود وقوله لم تخرج جواب
لولا وتخرج اما على المبني للفاعل من الخروج او على المبني للمفعول من الاخراج وعلى كل تقدير
لا يخلو من الاشارة الى انه عليه السلام قد بلغ في السببية الى مرتبة كانه عليه السلام

علم الدنيا دنيا

اخرجنا من العدم ولذا اننا ناظم الفاهم فولم تخرج على فولم تخلق فتامل وفي هذا
البيت تلميح الى ما نقل في الحديث القدسي لولاك لولاك لما خلقت الافلاك والمراد من
الافلاك جميع المكونات اطلاقا لاسم الجزء على الكل واشارة الى ما وقع له عليه السلام
في ليلة الاسرى فانه عليه السلام لما سجد الى الله تعالى في سدرة المنتهى قال الله تعالى له عليه السلام
انا وانت وما سوى ذلك خلقته لاجلك فقال عليه السلام انا وانت وما سوى ذلك
تركته لاجلك واشارة ايضا الى ان الدنيا تابعة له عليه السلام ولا خلقت الا له
ولاصحابه فكيف يكونون تابعين لها او مغلوبين لهواها وحاصل معنى البيت ان
الدنيا محتاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان الرسول محتاجا اليها لدار او
تسلسل وكل منهما باطل كما لا يخفى على اولى الالباب وذوى الاداب والحمد لله ملهم الصواب
واليه المرجع والمآب **محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم**
لما ذكر الرسول الاكرم والنبي المحترم صلى الله عليه وسلم وابهم اسمه الشريف تفخيما
له اراد ان يتبرك بذكر اسمه في قصيدته مع ان الابهام اولا والتفصيل ثانيا اوقع
في النفوس فقال الحمد له محمد بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف هو هو او بالجر على انه
بدل لمن والاظهر انه مبتداء وسيد خبره وهو على صيغة اسم المفعول مبالغة
من كثرة الحمد ثم نقل من الوصفية الى الاسمية فسمي به النبي عليه السلام لانه محمد
وموصوف في خلقه وخلقه قال القاضي عياض في الشفاء اسم محمد لم يسم به
احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده وميلاده عليه السلام ان نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله تعالى يعلم
حيث يجعل رسالته فان قيل لم اختار هذا الاسم من بين اسمائه عليه السلام لانه
ذكر البخاري في شرح الارشاد ان للنبي عليه السلام الف اسماء وقيل ثلثمائة
وقيل تسع وتسعون قلنا لان هذا الاسم اشهرها وافضلها لانه يفيد المبالغة
في المحمودية

في المحمودية وهي تستلزم المبالغة في الحامدية فيكون هو افضل منها هذا وسيد على
وزن جيد اصله سيود وهو صيغة اسم الفاعل من السيادة بمعنى العلو والرفعة
قيل في تعريفه هو الذي يلجأ اليه الناس في حوائجهم والمراد من الكونين الدنيا والاخرة
او عالم الشهادة وعالم الغيب وتفصيل بيان سيادته في الدارين وان ذكر في الكتب
المفصلة لكن لا علينا ان نذكره ههنا ايضا اجمالا فنقول اما سيادته في الدنيا
فلانه عليه السلام كان خاتم جميع الانبياء والمرسلين وكان المعراج مخصوصا له دون
سائر الانبياء ولانه عليه السلام ارسل الى كافة الثقلين دون سائر الانبياء وارسل الى
الجن والملك وبعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب وبلده افضل البلاد
ومسجده افضل المساجد والبقعة التي دفن فيها افضل من الكعبة كما بينا في تفصيله
وكذا سيادته عليه السلام بحسب نوره الروحي على الجميع ثابت بالاثار وتكاثر الاخبار
بل نوره اللطيف اصل انوار جميع الانبياء قال في المواهب في قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا الاية عن علي
وابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق
لئن بعث محمد عليه السلام وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وفي المواهب ايضا
عن عبد الرزاق عن جابر ما اجاله اعلم ان الله تعالى خلق نور محمد نبينا عليه السلام
قبل كل شيء فخلق منه القلم واللوح والعرش وحملته والكرسي وسائر الملائكة
والسموات والارض والجنة والنار وايضا نور ابصار المؤمنين ونور قلوبهم ونور
انفسهم واما سيادته في الاخرة فلما ذكره القرطبي ان الزبانية تجر جهنم يوم القيمة
تمشي على اربعة قوائم وتقاد بسبعين الف زمام في كل زمام سبعون الف حلقة على كل
حلقة سبعون الف ملك فاذا انفلتت من ايديهم لم يقدروا على امساكها لعظم

شأنها فيجث كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابرهيم وموسى وعيسى عليه السلام وهذا نبي الذبيح وهذا قد نسي هارون وهذا قد نسي مريم عليهم السلام قائلين نفسي نفسي لا اهلك اليوم غيرها ومحمد عليه السلام يقول امتي امتي سلمها ونجها يا رب فيقوم عليه السلام ويأخذ بخطامها ويقول ارجعي مدحورة الى خلفك فتقول خل سبيلي فانك يا محمد حرام علي فينادي من سرادقات العرش اسمعي واطيعي له ثم تجذب وتجعل شمال العرش فيخف وجل اهل الموقف وقوله والثقلين عطف على الكونين من قبيل عطف الخاص على العام ونكتته دفع قول من قال انه عليه السلام رسول الى الانس لا الى الجن فالمراد من الثقلين الانس والجن لكونهما ثقيلين في الارض فان قيل ان الجن ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل قلت اطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقيل على الخفيف ثم ان عطف قوله والفريقين مع دخوله فيما سبق مرتين لنكتة الرد على من خص رسالته الى العرب دون العجم وانما بين الفريقين بقوله من عرب ومن عجم دون الكونين والثقلين لان الكونين والثقلين معلوم في عرفنا فلا يحتاج الى البيان بخلاف الفريقين وعرب كقفل بمعنى العرب وهو خلاف العجم والعرب مؤنث بتأويل الطائفة يقال العرب العاربة والعرب العرباء وبعضهم خصص العرب بمن سكن في بلادهم وبعضهم شمل الى البلدي والبدوي وهو المراد هنا قال في البصائر ان الاعراب ليس جمع عرب كما توهم لانه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب في مفرداته انه جمع عرب وفي مصباح اللغة ان عرب يجمع على اعرب كزمن وازمن وعلى عرب كاسد واسد انتهى والمراد من العجم ما سوى العرب فيشمل الترك والكرد والفرس والروم والهند وغير ذلك واعادة حرف الجر لضرورة الوزن

نبينا الامر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم

لما كان معنى السيد مشتبها اراد ان يبينه فقال نبينا الامر الناهي الخ لان المراد من السيد

المولى

المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لا لند لانه والنبي من النبأ بمعنى الخبر ان كان مهموزا او بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا وفي الاصطلاح انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ ما اوحي اليه والنبي مرادف للرسول على ما حكى ابن الهمام عن المحققين وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ من لم يكن قبله سواء كان له كتاب اولا والنبي اعم من ذلك وتفصيل الكلام في كتب الكلام فان قلت لم اثر النبي على الرسول مع عدم الضرر لوزن النظم فيه ايضا وان منصب الرسالة افضل من النبوة قلت اما لان الناظم الفاهم الرسول والنبي مترادفان فلا افضلية لاحدهما على الاخر واما للايهام انه لولا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفى جهة النبوة في الافضلية واما لان في معنى النبي الارتفاع دون الرسول فالنبي اولى للمقام لان المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق فالمناسب تعريفه بما في معناه الارتفاع هذا والامر من يخاطب الى من دونه بأن الصيغة افعل والناهي من يخاطب بصيغة لا تفعل واطلاق الامر والناهي الى الرسول عليه السلام اما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وغير ذلك وهو الاصوب واما مجازي في الاسناد واي في اسناد الامر والناهي الى الرسول عليه السلام لان الامر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ وما قال الرسول من عنده فهو ايضا من عند الله تعالى لانه عليه السلام ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وحذف مفعول امر وناه للتعميم اي كل معروف في الاول وكل منكر في الثاني ومن قال ان حذف مفعوله للتعميم باطل لافادته انه امر بكل شيء فهو يشمل النواهي وناه عن كل شيء فهو يشمل الاوامر فهو غافل عن مادة الامر ومادة النهي لان الامر يقتضي ان يكون مفعوله كل معروف لا كل شيء لان الامر لا يتعلق بالنهي وكذا مادة النهي يقتضي ان يكون مفعوله كل منكر لان النهي لا يتعلق بالامر كما لا يخفى والفاء في قوله فلا احد للجزاء اي اذا كان محمد سيد

الكونين ونبينا الآمر الناهي فلا احد والاحد الذي النجاة واهل اللغة انه مشترك
بين المعنيين احدهما بمعنى الواحد نصف الاثنين والثاني جنس العقلاء من الاقل الى غير
النهاية والاول فاؤه همزة مبدلة من واو والثاني همزته اصلية غير مبدلة منها
وهذا شايع وذايع الا انه يشكل عليهم بان اللفظين صورتهما ومادتهما واحدة
ولفظ الواحد بينا ولهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها
وان يكونا مشتقين من الوحدة اما جعل احدهما مشتقا منها دون الاخر فترجيح من غير
مرجح واجيب بان الفرق المذكور اشار اليه سيبويه في الكتاب وغيره واما قولكم للفظيهما
واحدة مادة وصورة مسلم ولكن لا نم ان اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما
لم لا يجوز ان يكون معناهما متغايرين وله نظائر كثيرة كفلا فهو قال بمعنى البغض وفلا فهو
قال بمعنى مشوى ونضيج وايضا ان الذي بمعنى الواحد ليس بعام ويكون في النفي والاثبات
ويطلق على العقلاء وغيرهم ولا يكون بمعنى الجماعة والثاني يختص بالنفي خلافا للمبرد
ويختص بالعقلاء ويجيء بمعنى الجماعة ويعم والاول لا يعم والتفصيل في رسالة مستقلة
للشهاب في حق كلمة احد فان اردت فارجع اليها وقوله ابر بهم تفضيل من البر بمعنى الصدق
في الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه وفي في قوله في قول لا متعلق بالبر اي في قولكم لا
ولا كناية عن النفي وقوله ولا نعم عطف على لا اي لا ابر واصدق منه ايضا في قول نعم وهو
كناية عن الاثبات ولو لم يكن لا ونعم كناية عن عدم اعطائه عليه السلام واعطائه
لانه عليه السلام ما سئل عن شيء قط الا قال نعم كما قال البعض اهل الكمال في شانه عليه السلام
ما قال لا قط الا في التشهد ولا نعم قط الا جاءت النعم وحاصل معنى البيت سيدنا
ونبينا عليه السلام هو الامر بما هو مامور من عند الله من العقايد المرضية والاعمال
السنية والناهي عن الامور الدينية والافعال الردية وهو في كل اخباره صادق
وفي تكميل الناقصين حاذق فلا احد اصدق منه في النفي والاثبات ولا احق منه

فى الوعد

فى الوعد والوعيد وساير الحالات لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وكان
صدقه بديهيا ومسلما عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اللهم اجعلنا رفيقا للصديقين والشهداء والصالحين

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم

لما كان كونه عليه السلام سيد جميع الانام نظريا عند بعض الاقوام اراد ان يثبته
بدليل في غاية الاحكام فقال هو الحبيب الذي اه اي لانه هو الحبيب الذي فيمكن ان يرتب
ههنا قياس تقريره هكذا محمد سيد الكونين والثقلين فينتج المط ثم اعلم ان جملة
هو الحبيب صفة بعد صفة لمحمد او ان ضمير الفصل ليدل على الحصر وهو مبتدا راجع
اليه عليه السلام والحبيب بالرفع خبره وتعريف الخبر باللام لافادة قصره على المبتدا
فان قلت كيف يجوز حصر الحبيبية اليه عليه السلام مع ان ابرهيم عليه السلام خليل الله تعالى
بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الاية وما اجيب عن هذا السؤال من ان الحصر هنا اضافي
يعني بالنسبة الى بعض الانبياء فيرده المقام اذ هو لا يناسب المقام لانه مقام المدح
فيقتضي المبالغة والحق في الجواب ان الحصر في هذا الباب حقيقي ويجوز ذلك الحصر
اليه عليه السلام وما اوردتم من ان ابرهيم عليه السلام خليله لا يضر الحصر لانه
فرق جلي بين الحبيب والخليل من وجوه لان الخليل فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابرهيم
في قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولا شك
ان نسبة المفعولية اكمل من نسبة الفاعلية في الكرام اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد
ولا يقال الله خليل ابرهيم مع جواز ابرهيم خليل الله لما فيه ابهام ان يكون ماخوذا
من الخلة التي هي الحاجة والثاني ان الخليل يصل الى من اتخذه بالواسطة والحبيب يصل
اليه بذاته بلا واسطة والثالث الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع كما قال ابرهيم

مطلب الفرق بين الخليل والحبيب

عليه السلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والرابع ان الخليل من اعطى
بسؤال والحبيب هو الذى اعطى بلا سؤال فالحبيبية بهذه المعانى المذكورة مقصورة
على نبينا عليه السلام دون غيره من الانبياء وكيف سائر الناس ويمكن الجواب بان يقال
ان حصر الحبيبة حقيقى لكن مع ما بعده اى مع قوله الذى ترجى شفاعته العامة خاصة
بنبينا عليه السلام دون غيره ولذا روى ان الامام الغزالى قال كنت فى ليلة خارج البلد
واطلعت بالمكاشفة على ان اهل تلك البلدة كلهم نائمون فى ذلك الوقت ولم يكن احد
منهم فى عبادة ربه وطاعة خالقه فقلت فى نفسى لو كنت قادرا على احراق اهل
هذه البلدة لاحرقتها كلها لتركهم عبادة ربهم ثم تاملت ان احراق العباد مختص
لله تعالى فندمت ورجعت عن هذا القول فقلت لو كنت شافعا لا شفع كلهم عفة
ثم تاملت ان الشفاعة العامة مقصورة على نبينا عليه السلام فاذا جاء نداء من هاتف
يقول يا شيخ لو لم ترجع من هذا القول ايضا لانزل لك الى قعر الارض ومحونك من
دفاتر الانبياء وقوله الذى ترجى شفاعته صفة الحبيب وترجى من الرجاء بمعنى الطلب
قال بعض الفضلاء الرجاء بالمد الطمع ويرادفه الامل والفرق بينه وبين الرجاء
بمعنى الخوف بالاستعمال اذ الاول يستعمل فى الايجاب والنفى كقوله تعالى ويرجون من الله
ما لا يرجون والثانى فى النفى فقط فان قيل ما الفرق بين الرجاء والتمنى قلت قال
ابن الجوزى الرجاء الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى وقيل الرجاء مختص بالطمع
فى الممكن والتمنى عام وهى على صيغة المبنى للمفعول وانما ترك فاعله ليعم لان الشفاعة
عليه السلام يرجوها كل احد من الانام والشفاعة هى طلب العفو والفضل من الغير للغير
وشفاعة نبينا عليه السلام ثابتة بالاخبار والاحاديث الصحيحة مذكورة فى كتب
الاحاديث قال المحقق الدوانى انه عليه السلام يشفع جميع الانس والجن الا ان الشفاعة

للكفار

للكفار بتعجيل فصل القضاء فتخفف عنهم اهوال يوم القيامة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات
فشفاعته عامة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال فى المواهب الشفاعة
خمس الاول فى الاراحة من هول الموقف وهى اعظمها واعمها والثانى فى ادخال قوم
الى الجنة بغير حساب والثالث فيمن استوجبا النار الرابع فى اخراج من دخل النار والخامس
فى رفع الدرجات وزاد السيوطى سادسة هى فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار
وزاد فى المواهب ايضا سابعة وهى لاهل المدينة خاصة وقوله لكل هول من الاهوال
مقتحم متعلق بترجى او بشفاعته واللام فى لكل بمعنى كما فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت
لحياتى او للتوقيت كما فى قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس او فيه حذف مضاف
اى لدفع كل هول والهول الشدة والمصيبة واضافة الكل اليه يفيد العموم اى كل
البلية والمراد بلايا الاخرة بقرينة الشفاعة او المراد بلايا الدارين كما يفيده قوله
من الاهوال لانه عليه السلام دفع ببركة وجوده فى الدنيا المسخ والخسف والاستيصال
واخر العذاب ومقتحم من الاقتحام اما على صيغة اسم الفاعل اى بلية داخلة بين الناس
واما اسم مفعول اى فى كل بلية مقتحم فيه ثم اعلم ان هذا البيت اول ابيات المناجات
واجابة الدعا لمن كان له حاجة دنيوى او اخروى فليقرأ هذا البيت فى مجلس واحد
الفا وواحدة فان الله يقبل دعائه ويقضى حاجته بلا تخلف ان شاء الله تعالى
قال المولى ابو سعيد الخادمى ان هذا البيت كان ترياق لكل حاجتى وقال استادنا
طول الله بقاه ونال ما تمناه انه كان استادنا الشهير بالحاج عثمان افندى
الاقشهرى مفتيا فى بلدة القيصرى فعزل منه يوما فكان محزونا ومكدرا واشتهى
ان يكون مفتيا ايضا فدعانى مع الاثنين من شريكى الى بيته فقرأنا هذا البيت
الفا وواحدة فى مجلس بلا تكلم فى اثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لافتائه
دعا الى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

لما قصد كمال الحبيبية اليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك
الصغرى نظرية اثبتها بهذا البيت فقال دعا الى الله آه فانه وان لم يكن في صورة الدليل
لكنه دليل حقيقة لان الدليل والعلة اما تصريحي وهو ما كان مصدرا في اللفظ والتقدير
باذ او باللام او بالفاء واما تلويحي بان يكون صفة او حالا او غير ذلك وههنا كذلك
فيمكن ان يرتب هنا قياس تقريره هكذا محمد هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لانه محمدا
دعا الى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم وكل من شانه كذا فهو الحبيب
الذي ترجى شفاعته ينتج المطلوب ثم ان دعا من الدعوة ودعوته عليه السلام كان الى جميع ذي
نطق من العرب والعجم واهل الكتاب والمجوس والوثني والجن وغير ذلك ولاجل هذا التعميم
حذف الناظم الفاهم مفعول دعا وكذا اثر دعا على هدى لاجل هذا التعميم فان قيل
ما الفرق بين الارشاد والدعوة قلت ان الارشاد انما يستعمل في الاولياء والدعوة
في الانبياء وفي الى الله حذف مضاف اي الى دين الله او الى عبادة الله او الى شرع
الله وقوله فالمستمسكون به الفاء تفريعية اي اذا كان داعيا الى الله فالمستمسكون
آه وهو من الاستمساك بمعنى التمسك والاخذ باليد وبه متعلق بمستمسكون والضمير
اليه عليه السلام لكن المراد شرعه عليه السلام او ما يبلغه ففي ضمير به استخدام لانه اريد
بالمرجع معنى وبالضمير الراجع اليه معنى آخر لكن الاول حقيقة والثاني مجاز وبعد هذا
يكون في هذا المقام استعارة مكنية بان شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى
الى العباد في كونه موصلا الى المقصود كما ان ذلك الحبل لو استمسك به احد فذهب
يصل الى الله تعالى كذلك الشرع الشريف ثم استعير الحبل في الذهن لمفهوم الشرع
ثم ذكر الشرع في الخارج اعني تقديرا واريد ايضا وذكر الاستمساك وهو ملايم المشبه به
واريد الشريعة فعلى هذا يكون المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة فيكون باقيا على
حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب آخر بان شبه الاطاعة

بالاستمساك

بالاستمساك في الايصال الى المطلوب ثم استعير الاستمساك لمفهوم الاطاعة فذكر الا
ستمساك واريد الاطاعة ثم اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الاطاعة مطيعون
فشبه مطيعون بمستمسكون فاستعير المستمسكون بمفهوم المطيعون فذكر المستمسكون
واريد المطيعون ثم قوله غير منفصم ترشيح على الترشيح وكلما زاد ترشيح الاستعارة
زاد حسنه ومنفصم اسم فاعل من الانفصام بمعنى القطع بغير فصل واما الانقصام
بالقاف فهو القطع بفرق وفصل ثم اعلم ان في اول هذا البيت تلميح الى قوله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الاية والى قوله
تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وفي المصراع اقتباس من قوله
واعتصموا بحبل الله جميعا وفي هذا البيت اشارة ايضا الى قوله عليه السلام
من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد كما لا يخفى على من
الفهم السليم وهو شهيد فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
فلما ورد النقض على البيت الاول الذي قد كان دليلا لدعوى حصر الحبيبية عليه السلام
من ان دليلك هذا اي قولك دعا الى الله الى آخر البيت جار ايضا في سائر النبيين
مع ان المدعى متخلف عنه اراد ان يثبت دعواه بدليل آخر قوي فانتقل اليه فقال
فاق النبيين آه فتقرير قياسه هكذا محمد هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
دون غيره لان محمدا فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم وكل
من شانه كذا فهو الحبيب الذي ترجى آه ينتج المطلوب ثم ان فاق بمعنى برع وزاد
عليه في الرفعة وهو من الفوق والفوق والتفوق حقيقتهما ان يستعملا في الرفعة
المكانية لكن استعمل ههنا في الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بان شبه علو القدر
ورفعة المرتبة بالتفوق المكاني في الرفعة المطلقة ثم استعير التفوق المكاني للعلو
القدري ثم ذكر التفوق المكاني واريد العلو القدري وتبعيته بهذه الاستعارة

اشتق من العلو القدري علا ومن التفوق المكاني فاق فشبه علا بفاق بواسطة العلاقة
التي في مصدرهما ثم استعير فاق بمفهوم علا فذكر فاق واريد علا ويمكن ان يراد حقيقة
التفوق فتبصر والنبيين جمع نبي وهو بالنصب مفعول فاق والخلق بفتح
الخاء المعجمة وسكون اللام في اللغة بمعنى التقدير والايجاد وهنا بمعنى المفعول
والمراد الكمالات الظاهرة من حسن الصورة وتناسب الاعضاء والاشكال والالوان
والاعتدال الاطراف والخلق بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى الطبيعة الحسنة والمراد
الكمالات الباطنة والاعتدال قوى النفس وانما افرد الاول وجمع الثاني اشارة الى
ان الاخلاق كثيرة والخلق واحد اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفوقه
على سائر الانبياء في ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة بالجلال والكمال وفقك
الله وايانا في كل حال ان نبينا عليه السلام افضل الانبياء بالآيات والاحاديث
اما الآيات فكما قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال اهل التفسير المراد
به محمد عليه السلام وكما قال تعالى في مقام آخر وكان فضل الله عليك عظيما وقال ايضا
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات قال اهل التفسير اراد به محمدا عليه السلام
واما الاحاديث فكقوله عليه السلام انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وقوله عليه السلام
انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله عليه السلام انا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله
ولا فخر وكرواية عائشة انها قالت قال عليه السلام اتاني جبرائيل فقال قلبت مشارق
الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه السلام اما بيان فضيلته في ابتداء
خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقوله عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وقول العلماء في تفسير قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الآية ان الله تعالى اخذ الميثاق والعهد
على كل من النبيين لئن بعث محمد عليه السلام وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

كما سبق

كما سبق فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الانبياء تقديرا واما بيان فضيلته عليه السلام
على سائر الانبياء في الحسن والجمال والبهجة والكمال فيستفاد من اشارة قوله تعالى
والضحى والليل اذا سجى حيث استعير الضحى من وجهه عليه السلام والليل من صدغه
عليه السلام وكفاك شاهدا حديث انس انه قال قال عليه السلام ما بعث الله نبيا
الا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وقوله
عليه السلام حين سئل عن حسن يوسف وحسنه عليه السلام انا املح واما
بيان فضيلته عليه السلام عليهم في الاخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى في شانه
عليه السلام انك لعلى خلق عظيم حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم عليه عليه السلام
دون غيره وقوله عليه السلام فيما رواه احمد ومالك في الموطأ بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وحيث اشار في هذا الحديث ان الانبياء كانوا موصوفين بالاخلاق المرضية لكنه
عليه السلام كان جامعا لجميع الاخلاق العلية ومشتملا على الاحوال السنية بحيث
لا يتصور فوقه كمال فان قلت قد ورد النهي عن تفضيل بعض الانبياء على بعض
وعن تفضيله عليه السلام على غيره من الانبياء حيث قال عليه السلام في حديث
لا تفضلوا بين الانبياء وفي حديث آخر لا تفضلوني على يونس ابن متى وهو والده
يونس عليه السلام فكيف يصح من الناظم الفاهم هذا البيت مع ما بعده قلت
ان للعلماء في هذه الاحاديث تأويلات الاول انه لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
الى تنقيص بعضهم عن بعض الثاني منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر
زائدة عليها ولذلك رسل ومنهم اولو العزم من الرسل قال تعالى ولقد فضلنا
بعضهم على بعض والثالث انه عليه السلام نهى عن تفضيله على غيره قبل ان يعلم انه
سيد ولد آدم والرابع انه نهيه عليه السلام كان على طريق التواضع ونفي التكبر

والعجب والتفصيل فى الكتب المطولة ثم قوله ولم يدانوه فى علم ولا كرم الواو للا
ستئناف كانه قيل فهل فاق عليهم فى اخلاق العلم والكرم مع كونهما اعظمها واشرفها
فقال مبالغة ولم يدانوه اى لم يقارب الانبياء عليهم السلام اليه عليه السلام فى العلم
والكرم ولا تتوهمن من ظاهر هذا الكلام انهم لا يعلمون ويجوز عليهم اطلاق الجهل
لانه يؤدى الى نسبة النقص والبله والغفلة اليهم عليهم السلام وانهم منزهون
عنه وعن الجهل فيما يلزم لهم نعم يجوز ان يقال انه عليه السلام كان اعلم منهم
ببعض الامور كامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء
وعلم ما كان وما يكون ثم اعلم ان بيان علمه ثابت بقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وبقوله عليه السلام انا مدينة العلم الحديث وغير ذلك ثم ان تفوقه فى الكرم
ايضا ثابت بقوله تعالى على ما ذكره بعض المفسرين انه لقول رسول كريم
وبقوله عليه السلام انا اكرم ولد ادم ولا فخر وسيأتى بيان بعض ما وقع
من كرمه عليه السلام وهذا ثانى الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام
عند قراءة الناظم الفاهم فى رؤياه عليه عليه السلام فينبغى لقارئ هذه القصيدة
ان يكرره عند اثناء قراءته لكن يلزم ان يكرره ثلثا

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم

لما توهم ان يرد على البيت الاول لشبهة المجاز او غيره اراد ان يدفعه فقال تأكيدا
وكلهم من رسول الله الخ الواو اما للعطف او للابتداء لكن الثانى اولى كما لا يخفى
ولفظ كل مأخوذة من الاكليل الذى هو المحيط بجوانب الراس فلذلك توجب
الاحاطة وهو من اسماء اللازمة ولهذا لا تدخلها اللام اذ الاضافة من خصايص
الاسم قال الاصوليون ان لفظ كل اذا اضيف الى معرفة توجب احاطة الاجزاء
واذا اضيف الى نكرة توجب احاطة الافراد فيصح قول الرجل كل التفاح حامض

اى جميع

اى جميع اجزائه ولا يصح كل تفاح حامض لحلو البعض منه وضمير الجمع راجع الى النبيين
ومن رسول الله متعلق بملتمس قدم للوزن وللحصر اى منه دون غيره من الا
نبياء فان قلت لم اظهر فى مقام الاضمار قلت للتنبيه على وصف العظيم لان الرسالة
صفة عظيمة فى غاية العظمة لا يقال لا يفاد من قوله من رسول الله ان الانبياء ملتمسون
من نبينا عليه الصلوة والسلام اذ الرسول على ما روى عنه عليه السلام ثلثمائة وثلث عشر
لانا نقول المقام قرينة على ان المراد منه نبينا صلى الله عليه وسلم على انهم قالوا كلما
ذكر رسول الله مطلقا فى كتب هذه الامة فالمراد نبينا دون غيره وله جواب اخر
فتأمل وقوله ملتمس خبر مبتدأ اعنى كلهم والضمير فيه راجع الى الكل باعتبار لفظه
والا لوجب ان يكون العبارة ملتمسون الفرق بين السؤال والالتماس والامر ان الطلب
الادنى من الاعلى سؤال ودعاء وطلب المساوى من المساوى التماس وطلب الاعلى من الا
دنى امر وانما اختار الالتماس لرعاية الادب فى حق الانبياء وقوله غرفا من البحر
او رشفا من الديم غرفا بالنصب مفعول ملتمس والغرف بفتح الغين المعجمة وسكون الراء
اخذ الماء باليد ملء الكف ومن البحر متعلق بغرفا والمراد من البحر اخلاقه عليه السلام
ففيه استعارة مصرحة حيث شبه اخلاقه اللطيفة بالبحر فى الكثرة والوفرة وعدم
الانحطاط بشيء قليل ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام فذكر البحر واريد منه اخلاقه
عليه السلام واثبات الغرف ترشيح لها وفى الترشيح ايضا استعارة بان شبه اخلاق
الانبياء بغرفة من البحر فى القلة بالنسبة اليه عليه السلام فاستعير الغرفة لاخلاقهم
عليهم السلام فذكر الغرفة واريد اخلاقهم واو فى او رشفا بمعنى الواو الواصلة
والرشف اخذ الماء بالفم اى الجرعة من الماء ومن الديم متعلق برشفا ويجوز ان يكون
كل من البحر ومن الديم حالا او صفة والديم جمع ديمة وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد
ولا برق ويدوم واقله ثلثة ايام واكثره اربعين يوما والياء فى لفظ ديمة بدل

طبعه لفظ هو اذا اضيف

قوله وله جواب آخر وجه التأمل ان الاضافة فى الرسول للعهد
لفظ الله للعهد فيصح ان يكون المراد الرسول المعهود وهو محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سبق تحرره

من الولو لان اصله دومة من الدوام فان قلت لم اختص الغرف بالبحر والرشف بالديم
قلت للاشارة الى ان ماء البحر لا يشرب لكونه مرًّا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل
وغير ذلك بخلاف ماء المطر فانه يشرب للطافته بل هو لذيذ من جميع مياه العيون
وفي الديم والرشف استعارة كما في البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه السلام ومن الديم
كرمه فتذكر وانما افرد البحر وجمع الديم اشارة الى ان البحر اسم جنس يطلق على الصغير
والكبير بخلاف الديم وحصل معنى البيت ان جميع الانبياء وكل واحد منهم طلبوا واخذوا
والعلم من علمه عليه السلام الذي كالبحر في السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذي كالديم
لانه عليه السلام مفيض وانهم مستفاضون لانه تعالى خلق ابتداء روحه عليه السلام
ووضع علوم الانبياء وعلم ما كان وما يكون فيه ثم خلقهم فاخذوا علومهم منه
عليه السلام او المراد انه تعالى لما خلق نور محمد قبل الاشياء فخلق اللوح والقلم ٥
والسموات والارضين والعرش والكرسي والملائكة والجنة والنار وارواح الانبياء
والمؤمنين ونور قلوبهم ونورا فيهم من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة
من علمه عليه السلام كما لا يخفى ثم اعلم ان هذا البيت ثالث الابيات التي تماثل
فيها النبي عليه السلام فيلزم لعاقدها ان يكرره لكن بشرط كونه وترا ٥ ع

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم

وهذا البيت تأكيد آخر لما قبله اكد من الاول وابلغ في مدحه عليه السلام وتفوقه
على سائر الانبياء والواو للعطف او للحال وواقفون خبر بعد خبر للمبتداء اعني قوله كلهم
وقد جمع الناظم الفاهم بين اللفظين حيث افرد الخبر اولا وجمعه ثانيا وواقفون بمعنى مطلعون
فمفعوله الثاني محذوف اي مطلعون شيئا ولدى بمعنى عند وخبره راجع اليه عليه السلام
وفي لدى ثمانية لغات الاول لدى بالالف المقصورة والثاني لدن بفتح اللام وضم الدال
وسكون النون والثالث لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون والرابع بفتح اللام

والدال

والدال وسكون النون والخامس لدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون والسادس
لد بفتح اللام وسكون الدال والسابع لُد بضم اللام وسكون الدال والثامن لد بفتح
اللام وضم الدال وكلها بمعنى عند والفرق بينه وبين عند ان لدى مختص بالحضور
دون عند مثلا يقال المال عند زيد فيما يحضر عنده وفي ما في خزائنه وان كان
غائبا عنه ولا يقال المال لدى زيد او لدن زيد الا فيما يحضر عنده ولديه حال من ضمير
واقفون متعلق بمحذوف اي كائنين لديه وعند متعلق بواقفون والحد بفتح الحاء يجيء
على ستة معان الاول بمعنى المرتبة والثاني بمعنى الغاية والنهاية والثالث بمعنى الحاجز
والمانع بين الشيئين والرابع بمعنى تشحيذ السيف والخامس بمعنى العقوبة مقدرة يجب
اقامتها على الامام والسادس بمعنى التعريف المشتمل على ذاتيات والمراد ههنا هو المعنى الاول
وضمير الجمع الى الانبياء عليهم السلام وقوله من نقطة العلم من لبيان المفعول الثاني
لواقفون فيكون زائدة فعلى هذا المعنى يكون حاصل معنى البيت ان الانبياء مطلعون
عند النبي عليه السلام كالنقطة في جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم
في جنب حكمة الله تعالى ولكون علم سائر الانبياء جزءا من ذلك النقطة وحكمهم جزء
من نقطة الحكمة وهذا الاطلاع كان في ليلة المعراج حيث حضروا اجلس عليه السلام
وقعدوا في حضوره على مراتبهم واطلعوا على وحكمته او يكون في القيمة تحت اللواء حيث
روي ان جميع الانبياء يجمع تحت لواء الحمد الذي هو علم النبي عليه الصلوة والسلام ويسكنون
على مراتبهم او يكون في خلق الارواح قبل الاجساد ثم اعلم ان النقط جمع نقطة من نقط نقطا
اي وضع عليه النقطة واظن ان النقط مشترك بين اللغات كالصابون واو بمعنى الواو
وانما قلنا انه بمعنى الواو لانه لو كان بمعناه يلزم ان يكون في بعض الانبياء علم دون حكمة
وفي بعضهم بالعكس وهو مخالف لما ثبت انه تعالى اعطى الانبياء علما وحكما كما قال
تعالى ولما بلغ اشده اتيناه علما وحكما وقال ايضا وكلا اتينا حكما وعلما فتأمل

مطلب لفظة لدى

مطلب الفرق بين لدى وعند

مطلب معاني الحد

والشكلة بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب اعني الرفع والنصب والجر والحكم
جمع حكمة وهي علم باحوال اعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الامر وانما خص النقطة
بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة اولى بمزية الظهور ولذا اضيفا اليه والشكلة امر زائد
خارج عن ماهية المفهوم المتوقف على النقط التي مدار البينة عليها ولذا نسبت الى الحكم
وهي علوم دقيقة على العلوم الشرعية ثم اعلم انه يجوز ان يكون واقفون بمعنى ساكنون
حاضرون في حضور رسول الله عليه السلام على مراتبهم ويكون من متعلقا
بواقفون بتضمين معنى آخذين ويكون اضافة النقطة الى العلم من اضافة المشبه
الى المشبه به اي العلم كالنقطة والحكم كالشكلة فحاصل معنى البيت على هذا ان الانبياء
حاضرون وساكنون في حضور النبي عليه السلام على مراتبهم آخذين العلم كالنقطة
والحكم كالشكلة بالنسبة الى علمه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون في هذا
استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من امور اعني كون النبي عليه السلام رئيسا
ومتبوعا لسائر الانبياء وكونهم متوقفين في حضوره عليه السلام واخذهم العلم
منه عليه السلام وكونهم في امره عليه السلام وشبه هذه الهيئة بالهيئة
التي انتزعت من امور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا في مجلس وكون اتباعه
واقفين على مراتبهم وانتظارهم الى كلام الملك واخذهم الفائدة منه وكونهم في امره
ثم استعير الهيئة المشبه بها الى الهيئة المشبهة فذكر الالفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة
واريد الهيئة الغير المحسوسة لنا ثم اعلم ان في هذا البيت ايماء الى قوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا واشارة الى قول الخضر لموسى عليه السلام حين
ابتاعه لاخذ العلم ما علمك وعلمي وعلم الخلائق الا كما اخذ العصفور بمنقاره
من البحر بالنسبة الى علم الله تعالى والحاصل ان في كل من الانبياء نوعا من العلوم
دون نوع وانه عليه السلام جمع انواع العلوم التي في الانبياء وسائر الخلائق

وفي

وفي الشفاء خص الله تعالى به عليه الصلوة والسلام الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومصالح امته وما كان في الامم وما سيكون في امته من النقير
الى القطمير وعلى جميع فنون المعارف كالطب والفرائض والعبادة والحساب وقد ورد
انه يعرف حروف الخط وحسن تصويرها وفي حديث يروى عن معاوية انه
كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم مع انه
صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من احد اصلا ولم يقرأ من كتب الاولين
قطعا كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه الآية بخلاف سائر الانبياء

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

لما كانت الابيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلوة والسلام حبيبا كاملا وكانت
وكانت تلك ثابتة مبينة انتجت المطلوب فلذا قال فهو الذي تم الخ فالفاء
في فهو للنتيجة وهو بسكون الهاء وهو راجع الى نبينا عليه السلام وتم بمعنى كمل
من تمام الشيء بمعنى كماله والمعنى اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى المفعول او مخفف
معني اسم مفعول من عنيت بكلامي كذا اي قصدته فمعنى الشيء هو المقصود
منه ومعنى الرجل كماله الذي تم به والصورة بمعنى الشكل والهيئة وانما قدم
المعنى على الصورة لكون المعنى اصل الحق والمراد من المعنى والصورة ههنا كماله الباطني
وكماله الظاهري اعني حسن خلقه وعظم خلقه والوحي الباطني والبعث الظاهري
او طريقته وشريعته او روحانيته وجسمانيته او علمه وعمله او عبادته للحق
ومعاملته بالخلق وكلمة ثم اما على اصلها اعني للتراخي الزماني بناء على ان المراد
من اصطفائه حبيبا بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال
وبناء على ان اصطفائه حبيبا كان في المعراج حيث حكى ان الله تعالى قال له

في تلك الليلة يا محمد ان الملوك اذا ارادوا عبداً بأنبأ الملك اباه وجعله ملكا اذا اعتبد
بادروا لاظهار شرفه فاى شئ تريد ان نجعل لك فقال عليه السلام اضفني
اليك يا رب بالعبودية فارسل الله سبحانه الذي اسرى بعبده الاية وقال هذا ما
طلبت ولك احسن من هذا وهو اضافتك الينا بالحبيبة فانت حبيب الله فلا
شك ان المعراج كان بعد البعثة والكمال والابتهاج واما للتراخي الرتبي فيكون في

ثم مجازا واستعارة تبعية لان الحقيقة في التراخي الزماني وذلك بتشبيه التباعد الرتبي
بالتراخي الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد ويكون نكتة المجاز الاشارة الى ان مرتبة
الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال والاصطفا بمعنى الاختيار والانتخاب وحبيباً
حال من ضمير اصطفاه او مفعول ثان له بتضمين معنى الجعل والبارى بمعنى الخالق
كما في قوله يا بارئ البدر ابرئني بمستمل والنسم بفتحتين جمع نسمة وهى النفس وكل
ذي روح وقيل هي الادمي ثم اعلم ان في هذا البيت ايماء الى وجه انتظار الاصطفا الى
المدة الاربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن اعطي النبوة في حال الطفولية
وان كان المتبادر الى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا الى قوله تعالى الله يصطفي
من الملائكة رسلا الاية وتلميحا الى حديث روي عن واثلة بن الاسقع انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ولو تاملت معاني البيت لوجدت فيه اشارة الى شئ كثير
كما لا يخفى **منزه عن شريك في محاسنه ۞ فجوهر الحسن فيه غير منقسم**
لما بين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع في بيان صفاته
السلبية ثم علم مما سبق ان نبينا فائق على جميع الانبياء والاولياء فانهم لم يصلوا الى
خلقه الباطني وخلقه الظاهري فناسب ان يسلب عنه الشريك في محاسنه فقال منزه عن شريك
في محاسنه

في محاسنه اه منزه خبر مبتدأ محذوف وهو على صيغة اسم المفعول من التنزيه بمعنى التبرية
والتبعيد وشريك نكرة وقع في سياق النفي فيفيد العموم فان قيل لم يكن في هذا المقام
نفي حتى يفيد العموم قلنا وان لم يكن في الظاهر لكنه في معنى التنزيه لانه في معنى لم يكن
له شريك وهو فعيل بمعنى فاعل اي معادل والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وهو
متعلق بشريك والناظم يقل في شمايله ليعم الحسن والجمال ولا يخص الخلق والخصال
ولقائل ان يقول ان هذا الحكم اي كونه عليه السلام منزه عن شريك في كل محاسنه
فاسد لانه قد كان سائر الانبياء شريكا له في محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة
لغير الله اللهم الا ان يقال انه ادعائي فليتامل وقوله فجوهر الحسن فيه الفاء للنتيجة
اي لما كان منزها عن شريك في محاسنه فيلزم ان يكون جوهر الحسن الذي فيه غير منقسم
والا اي لو كان جوهر الحسن الذي فيه منقسما للزم ان يكون مشتركا فيه اذ الانقسام انما يكون
بالتقسيم اليه والى غيره لكن التالي باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان جوهر الحسن
الذي فيه غير منقسم والجوهر اختلف فيه هل هو معرب ام لا قال بعضهم انه معرب
كوهر فارسي وقال بعضهم انه مشتق من الجهر او من الجهارة وهو يجئ بمعنى الحجر
المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد وبمعنى اصل الشئ وجبلته
الذي طبع عليه والجوهر عند الحكماء خمسة الاول الهيولى والثاني الصورة
والثالث الجسم والرابع العقل والخامس النفس وعند المتكلمين اثنان الاول الجوهر
الفرد الذي لا يتجزى والثاني النفس وتفصيل الكلام في علم الحكمة والكلام والمراد منه
ههنا هو المعنى الثاني اعني اصل الحسن ومادته الذي خلق عليه الحسن فلا حاجة الى
حمله بمعنى الحجر المنتفع به وجعل الاضافة بيانية او حمله بمعنى الجوهر الفرد الذي
لا يتجزى لان كله تكلف والشارحون وقعوا ههنا في حيص بيص وقوله فيه
ظرف مستقر صفة الحسن اي الكائن فيه او خبر او حال من الحسن فمن جعله متعلقا

الى قوله غير منقسم وقع فى تكلف وقوله غير منقسم خبر او خبر بعد خبر ومعناه غير مشترك
فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الجمال ثم اعلم ان فى هذا البيت
لطافة حيث اثبت الجوهر للحسن الذى هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام وهو بحث طويل
بين اهل الحكمة والكلام والحمد لله الملك المنعام متن

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

لما جعله عليه الصلوة والسلام منزها عن الشريك فى جميع اوصافه ومحاسنه
توهم منه بعض القوم انه يجوز وصفه عليه السلام بما وصف به النصارى نبيهم عيسى عليه السلام
لان ذلك الوصف نهاية الاوصاف وغاية الامداح فدفع ذلك الوهم تعالى دع ما ادعته
النصارى فى نبيهم دع امر من ودع يدع بمعنى اترك وزعمت الصرفية من ان العرب
اماتوا ماضى يدع ومصدره محمول على قلة الاستعمال والا فالنبى عليه الصلوة والسلام
افصح العرب وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال عليه السلام لينتهين
اقوام عن ودعهم الجماعات او ليختمن على قلوبهم اى على تركهم اياها وقال الشاعر
ليت شعرى عن خليلى ما الذى غاله فى الحب حتى ودعه وعن عروة ومجاهد انهما
قرآ ما ودعك بالتخفيف كذا ذكره حسن چلبى فى حاشية المطول وخطاب
دع عام لكل من يصلح ان يكون مخاطبا من مدح النبى عليه السلام وقوله ادعته
عبر بالادعاء لكونه باطلا لان الادعاء يستعمل كثيرا ما فى الباطل كما ان الدعوى
يستعمل فى الحق والنصارى جمع نصران كالندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة
كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا نبيهم عيسى عليه السلام او لانهم كانوا
معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من سميها والمراد من
نبيهم عيسى روح الله ابن مريم عليه السلام والمراد بما ادعته النصارى
ما يفضى الى التوليد والحلول والاتحاد اذ النصارى تفرق بعد عيسى عليه السلام

اثنين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلثة الملكانية والنسطورية واليعقوبية الملكانية
اصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم الملكانية وهم قالوا
ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم
وقالوا ان المسيح قديم ازلى وقد ولدت مريم الها ازليا واطلقوا لفظ الابوة
والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد
والنسطورية اصحاب النسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الانجيل
وقالوا ان الله واحد ذو اقانيم ثلثة الوجود والعلم والحيوة وهذه الاقانيم ليست
زائدة على الذات وحلت هذه الصفات الى بدن عيسى عليه السلام ولذا يحيى الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص واليعقوبية اصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلثة كما
ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر
بجسده وبيانهم على وجه المفصل فى كتاب الملل والنحل وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه
دفع سؤال ناشئ مما قبله اى هل لا يجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من الامداح
فقال واحكم على صيغة الخطاب بما شئت اى احمل عليه ما اردته من المدح وقوله
حال من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى حال
كونك مادحا فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله واحتكم اما بمعنى احكم
فيكون تأكيدا للاول وبمعنى اتقن فى الحكم بالمدح حتى لا تتجاوز عن الحد الانسانى
الى وصف الوصف الصمدانى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى فى هذا قوله ليس
كمثله شيء وقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
وانه عليه السلام وان وصف باكثر ما وصف به الله تعالى لكن صفاته عليه

مطلب فى ... ودون القدر
مطلب فى لفظ النصارى ووجه تسميتهم
مطلب فرق النصارى

السلام حادث وصفاته تعالى قديم فانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم لما كان معنى قوله احكم بما شئت له خفيا اذ لا
يطلق كل شيء على رسول الله عليه السلام فسر بهذا البيت فقال فانسب الى ذاته
الفاء للتفسير والنسبة الاضافة والذات قال صاحب الكشاف ان التاء في الذات ليست
كالتاء في بنت بل جرت مجرى التاء في نحو لات ولهذا جوزوا في الاطلاق على الله تعالى
مع تحاشيهم عن اطلاق علامة التانيث انتهى وقال ابن كسبد على التاء في ذات وشاه ليست
للتانيث لانها غير موقوفة عليها بهاء وتاء التانيث هي التي توقف عليها هاء انتهى
وفي جار بردي اصل ذات ذوة فحذف الياء فبقي ذو وعوض التاء فصارت ذوت
فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ذات وكذلك شاه وجملة
الكلام على ما حققه التفتازاني في سورة ال عمران ان الذات وان كان في الاصل مؤنث
ذو لكن تاءه وقد انسلخ عنها الدلالة على التانيث واجريت مجرى التاء الاصلية
ثم اطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا في النسبة ذاتي باثباتها وجوزوا
اطلاقه على الله تعالى مع امتناع اطلاق علامة عليه تعالى لوجود التاء وقد يطلق
الذات ويراد به ما قام بذاته وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة
وقد يطلق ويراد به الرضى وقد يطلق ويراد به مفهوم الشيء كذا في كليات ابي البقاء
وتنوين شرف للتعظيم والتفخيم اي من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الاعضاء
وجمال الخلق وكرم البلد وطيب العرق وذكاء اللب وصفاء الجنان وبلاغة الكلام
وفصاحة اللسان وسائر كمالات الانسان فانه منبع الاحسان ومبدع وقوله ٭
وانسب الى قدره والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وعظم على وزن كبر جمع عظمة بمعنى
الفخامة فان قيل ما الفرق بين الشرف والعظمة قلنا ان الشرف ينسب الى الذات
والعظمة ينسب الى الصفات كما قال النبي عليه السلام في مكتوبه الى هرقل من محمد
رسول الله

رسول الله الى هرقل عظيم ملك الروم فعظم في مكتوبه بالنسبة الى صفاته لا ذاته
فالمراد بما شئت من عظم علو قدره ومرتبته وجمال ظهره وعظمته والمعجزات
والارهاصات والمعراج والمناجاة والامامة الى الانبياء والدنو الى جنابه الاعلى
والتفضيل في القيمة باللواء والوسيلة والشفاعة العظمة وهذا البيت
اجمال لما سيأتي من الابيات المشتملة على امداح عليه الصلوة والسلام

فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

لما كان في مضمون البيت الثاني شبهة لبعض المشتبهين من انه لا يجوز اطلاق جميع الاوصاف
الكاملة عليه بل انما يقتصر بوصفه بما ورد من الشرف في وصفه في نفس الامر علله
فقال فان فضل رسول الله اه فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس منطقي
بادي تعبيره بان يقال يجوز ان ينسب الى ذات رسول الله ما شئت من شرف وينسب الى
قدره ما شئت من عظم لان رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم وكل
من شانه كذا فيجوز ان ينسب الى ذاته ما شئت من شرف وينسب الى قدره ما شئت
من عظم فينتج المط واما تقريره من الاستثنائي فظاهر بان يقال يجوز ان ينسب
الى ذات رسول الله ما شئت من شرف لانه لما كان فضل رسول الله ليس له حد
فيعرب عنه ناطق بفم فيجوز ان ينسب الى ذاته ما شئت من شرف لكن المقدم حق فالتالي
مثله والفضل بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف الى فاعله والحد ههنا
بمعنى الغاية النهاية او بمعنى الوصف المحيط والفاء في فيعرب جواب للنفي ويعرب
منصوب بان المقدرة وهو من الاعراب وهو يجيء بمعنى الاظهار والابانة ويجيء
بمعنى النحو يقال جارية عروبة اي حسناء وبمعنى التغيير يقال عربت معدة الفصيل
اذا تغيرت والمراد ههنا هو الاول وعنه متعلق بيعرب والناطق بمعنى المتكلم
والباء في بفم للاستعانة متعلق بناطق والنطق لا يكون الا باللسان فالتعبير

عنه بالفم من ذكر المحل وارادة الحال وتقييد النطق بالفم اما للتاكيد على طريقة قوله
تعالى يطير بجناحيه اولان النطق يطلق على ما يجرى على الجنان ايضا كما هو
مذهب بعض العلماء وانما قيد الحد بقوله يعرب عنه ناطق بفم احترازا عن الحد
المعلوم له عليه السلام عند ربه عز وجل فانه تعالى يعلم حده ويولد اذ لو لم يعلم
لزم الجهل والتالى بط وبما قررنا اندفع ما اورده شيخ زاده فتامل وفى هذا البيت
تلميح الى قوله تعالى فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

لو ناسبت قدره اياته عظما احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

لما اراد الناظم الفاهم ان يدفع التوهم الناشى من ايراد اوصافه عليه السلام انه مبين
اوصافه ومورد بكل امداحه فقال معترفا بعجزه عن وصفه على ما يناسب له
عليه السلام لو ناسبت قدره اه كلمة لو حرف شرط وهو لانتفاء الثانى لانتفاء
الاول اى لو ناسبت قدره اياته عظما احيى اسمه لكن ما احيى اسمه حين يدعى
دارس الرمم فلم تكن اياته مناسبا لقدره يعنى ان اياته غير مناسب
لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره ان يعطى له ازيد مما فيه وافضل
الايات التى اعطى له فان قلت الايات صيغة جمع وصيغة الجمع من صيغ العموم فيدل
على جميع الافراد وهو بط قطعا لان من افراد القران والمعراج على قول الرؤية ايضا
فلو كان المراد من الايات جميع الافراد لزم كون القران والمعراج على قول الرؤية
غير لائق بشانه عليه السلام وهو بط قطعا لان القران كلام الله القديم
وكذا المعراج على هذا شىء عظيم لائق بشانه بل فاضل عنه قلت اجيب عنه
بوجوه اما اولا فبانا لا نسلم ان صيغة الجمع باقية ههنا على عمومه كيف وهو
قد خص منه البعض فيكون المراد بالايات غير القران والمعراج واما ثانيا فبانا لو سلمت
على عمومه فلا نسلم ان القران والمعراج داخل فى الايات لان المراد منها ما عداها
بقرينة

بقرينة كون اضافتها للعهد اى الايات التى صدرت عنه عليه السلام بالاختيار
وهما حاصلان بالاضطرار واما ثالثا فبان المراد من الايات الايات السابقة
بقرينة ان الالف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر واما
رابعا فبان يقال ان المراد بالايات الايات الدالة على عظمته اعنى ان المقصود
فى الدلالة على العظمة لا فى الشرافة والقران والمعراج غير ظاهرين فى الدلالة
على العظمة وفيه ما فيه ثم ان ناسبت من المناسبة وهى الاشتراك فى شىء والقدر وقدره
بالنصب مفعول ناسبت وقدر الشىء مبلغه فى الكمال او النقصان وغلبت استعماله
فى الكمال خصوصا عند الاطلاق واياته بالرفع فاعل ناسبت وهى جمع اية بمعنى
العلامة وعظما بالنصب تمييز عن اسناد ناسبت وهو بمعنى العظمة وجملة احيى
جواب لو واحيى من الاحياء وهو ايجاد الحيوة واعطاؤها واسمه بالرفع فاعل احيى
والمراد من الاسم اما ما يراد فى العلم او بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم واسناد احيى
اليه مجاز اذ المحيى هو الله ويدعى على صيغة المجهول من دعاه اذا طلبه ودعا الله سبحانه
وضمير يدعى راجع الى الله تعالى ودارس الرمم بالنصب مفعول احيى والرمم جمع رمة
كالقطع جمع قطعة وهى العظام البالية يقال درس الرسم اذا اعفا فالدرس فيها
زيادة فى البلى واضافة الدارس اليها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الرمم الدارس
وحاصل معنى البيت انه لو كانت اياته العظام مناسبة بمقدار كماله لاحيى الله تعالى
بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والاجساد الفانية لكن ما احيى الله تعالى بعد
وفاته تلك العظام لستر غايات كماله بين الانام فان قلت لم لم يعط صلى الله
عليه وسلم بهذه المعجزة اعنى احياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى
الله كما اعطى سائر المعجزات قلت لو اعطى به ايضا لكان ايمان المؤمنين بعد عصر سعادته
عليه السلام ايمانا بالمشاهدة وايمان الغيب اولى من الايمان بالمشاهدة كما لا يخفى

ومن فهم من هذا البيت ان مراد الناظم ان احياء الموتى لم يعط اليه عليه السلام اصلاً
فقال معترضا على الناظم ان هذا البيت مخالف لما سيأتي من قوله وكل آي اتى الرسل اه
اذ يفهم منه ان احياء الموتى اعطى اليه عليه السلام اذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام
وهذه المعجزة انتقلت الى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلوة والسلام انتهى
فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء اذ ليس مراد الناظم انه لم يعط اليه عليه السلام
هذه المعجزة اصلا بل مراده ان تلك المعجزة لم تعط اليه عليه السلام بعد وفاته الى يوم القيمة
والا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التي ظهرت في ايدي ساير الانبياء مع معجزات
خاصة له عليه السلام وان كنت في ريب مما ذكرناه فانظر الى ما ذكر في دلائل النبوة
من انه مات في زمانه عليه السلام فتى من الانصار فغمضه من في اطرافه فجائت
امه الضعيفة العمياء فاخبرو بها بموته فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك
والى نبيك رجاء ان تغيثني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة بحرمة نبيك
فبعد هذا الدعاء كان ابنه الميت حيا فكشف وجهه فقام واكل الطعام مع الحاضرين
وكذا ما روي ان جابر بن عبد الله دعا رسول الله دعوة فذبح لها غنما فجاء ابنه الكبير
فسأل عن اخيه الصغير قائلا كيف ذبح ابونا الغنم فقال الغلام الصغير اجبني حتى اريه
فاطاعه الغلام الكبير فشد يديه ورجليه فاخذ السكين وذبحه فذهب براسه
الى امه فبكت امه فخاف الغلام منها ففر وصعد الى السطح فرمت امه من خلفه فرمى الغلام
نفسه من السطح فمات فصبرت امهما على هذه المصيبة فالفتهما في حرفة وحفظتهما
في البيت وشرعت الى طبخ الطعام فلما جاء الرسول عليه السلام حضروا الطعام فنزل
جبرائيل فقال له عليه السلام امر الله لك ان تاكل هذا الطعام مع ابني جابر فاعلمه
رسول الله عليه السلام الى جابر فجاء جابر الى زوجته فسئلهما فقالت ليسا بحاضرين
هنا فجاء جابر اليه عليه السلام فقال ليسا بحاضرين يا رسول الله فامر رسول الله

تكرارا

تكرارا باتيانهما فجاء جابر فاقدم على زوجته فاضطرت فاخبرت السر فجاء جابر
اليه عليه السلام باكيا فاخبر القصة فتفكر رسول الله فنزل جبرائيل فقال يامرك
ان تدعو لهما ويقول منك الدعاء ومنا الاجابة فدعا رسول الله لهما فوجد الحيوة
فقاما واكلا معه عليه السلام ومثل هذا كثير ووفير كما لا يخفى على من هو من كتب الاحاديث
خبير ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه لو قرأ على محتضر قد اشتد سكرات موته
في اخر وقته ان تم اجله فيموت والا فيفيق ويخلص من الم ذلك الوقت وشدته
كذا اخبره الاستاد طاب ثراه لم يمتحنا بما تعيي العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم تهم
نهم توهم مما سبق انه عليه الصلوة والسلام في غاية العظمة ونهاية المهابة فلا يبالي
امته الضعيفة كسلاطين الزمان لانهم اذا وصلوا الى مرتبة العليا لم يبالوا الرعايا بل كلما
فاق مراتبهم يحملون رعاياهم على الاعمال الشاقة والافعال التي لا وسع لهم عليها ولا طاقة
تدفعه فقال لم يمتحنا بما تعيي العقول به اه لم يمتحنا من الامتحان بمعنى الاختبار والابتلاء
او من المحنة اي لم يحملنا الى المحنة وبما متعلق بيمتحنا وما عبارة عن الشرع الشريف
وتعيي مضارع من عي لازم اعيى والفرق بين العي والاعياء ان كل عجز حصل بعد حركة
وسكون فهو اعياء وكل عجز حصل في راي وعقل فهو عي وههنا حكاية وهي ان
الكسائي تعلم النحو في كبر سنه وكان سبب تعلمه انه مشى يوما حتى اعيى فجلس عند
قوم ليستريح فقال عييت بالتشديد بغير همزة فقالوا له لا تجالسنا وانت تلحن
قال الكسائي فكيف اقول قالوا ان اردت من التعب والمشقة فقل اعييت وان اردت
من التحير في الامر والراي فقل عييت مخففا فقام الكسائي من فوره وسئل عمن يعلم
النحو فارشدوه الى معاذ فجاء وقرأ منه حتى نفد ما عنده ثم خرج الى البصرة الى
خليل بن احمد كذا ذكره الحقي في تعريفاته والعقول جمع عقل وهو في الاصل بمعنى الحبس
سمي به الادراك الانساني لحبسه عما يقبح ومنعه من الجرح وفي الدرر العقل

مطلب حكاية تعلم الكسائي في كبر سنه

فى الاصل بمعنى الدية سميت به لانها تعقل الدماء من ان تسفك ومنه العقل والعقل
والنفس والذهن واحد بالذات الا انه اذا كان مدركا يسمى عقلا واذا كان متصرفا
يسمى نفسا واذا كان مستعدا للادراك يسمى ذهنا ثم اعلم ان العقل لها معان منها
جوهر مجرد وغير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف فالنفس انا ذاتي هذا ما
قيل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى ومنها قوة للنفس الانسانية بها تتمكن من ادراك
الحقائق ولعل هذا ما قالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات
ومنها الغريزة التى يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم بذلك ومنها قوة
مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان ومنها قوة
للنفس بها تنتقل من الضروريات الى النظريات ومنها جوهر مجرد عن المادة
فى ذاته مقارن لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل احد بقوله انا
ثم اختلف فى محل العقل فقيل نور فى بدن الادمى وقيل فى الراس ونوره فى القلب
وقيل فى القلب واشراقه الى الدماغ ثم اعلم ان الحكماء اثبتوا العقول العشرة
وسموا الجبريل بالعقل العاشر والعقل الفعال وقالوا انه خلق العالم العنصرى
من السطح المقعر لفلك القمر والعناصر الاربعة والمواليد الثلثة وزعموا انه لا يصدر
من الواحد الا واحد وكل كذب وتفصيل قواعدهم فى علم الحكمة وقوله به متعلق
بتعيى والضمير راجع الى الموصول وقوله حرصا بالنصب مفعول له او حال اى
ذا حرص وعلى متعلق بالحرص والحرص شدة الرغبة فى الشيء والميل اليه وصرف التهمة
عليه والفاء فى فلم نرتب نتيجة لما قبلها من المقدمات ينتج هذا المط فترتيب
قياسه هكذا ان نبينا عليه السلام لم نرتب به ولم نهم لانه عليه السلام لم يمتحنا
بما تعيى العقول به نرتاب ونهم به ينتج من الشكل الثانى عين المط وترتيبه من الشكل
الاول سهل لمن هو اسل ونرتب من ارتاب بمعنى شك ونهم مضارع من هام

اذا تحير

مطلب فى تسمية النفس عقلا
مطلب فى تعريف العقل
مطلب فى موضع العقل
ولم يمتحنا بما تعيى العقول به صح

اذا تحير كقوله كل البلابل فى افصاح خصلته سحبان هام به ما فاز بالوصل وحا
وحاصل معنى البيت انه عليه السلام لم يجهدنا ولم يبتلنا او لم يحملنا الى تعب ومحنة
باتيان معجزاته يعجز عنها العقول ولم يكلفنا شيئا من التكاليف الشاقة كما كانت
فى امم قبلنا مثل تعيين القصاص فى العمد والخطا وحرمة الدية وقطع الاعضاء
الخاطئة وفرض موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقطع الثوب المتنجس
بالمقراض وترك العمل فى يوم السبت وعدم جواز الصلاة فى غير الكنائس وفرض
خمسين صلوة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغيرها بل اتانا بالحنيفية
السهلة السمحاء فلم نتحير فى منا بعته ولم نشك فى رسالته قال الحسن فى تفسير
قوله تعالى عزيز عليه اى ان تدخلوا النار حريص عليكم اى ان تدخلوا الجنة وقال
فى تفسير الكبير المراد انه حريص بايصال الخيرات اليكم فى الدنيا والاخرة وقال
الفراء الحريص الشحيح ومعناه انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار انتهى اى كلام
تفسير الكبير قال فى المواهب قال تعالى فى شانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم وبالجملة فى هذا البيت تلميح الى قوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه الاية وايماء الى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين واشارة الى قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم
وتلميح الى قوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء والى قوله عليه السلام
لقد جئتكم بها بيضاء نقية اللهم انت خالق الورى اجعلنا من اهل المغفرة والتقى
بحرمة النبى الذى فى صورته قد بدا اعيى الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد منه غير منفحم لما كان احتمال ان يتوهم من قوله فلم نرتب
ولم نهم انا وصلنا الى فهم حقيقة معناه دفعه فقال اعيى الورى فهم معناه
الاعياء التعجيز والورى بمعنى الخلق والالف واللام فيه للاستغراق فالمعنى اعجز

مطلب اصل ليس

جميع المخلوقات لان استغرق المفرد اشمل وهو بالنصب مفعول اعيى وفهم بالرفع
فاعله وهو مضاف الى مفعوله اى فهمهم معناه ومعنى الرجل كاله الخاص به
والغاوى فى فليس فصيحة اى لما عجز المخلوقات عن فهم معناه فليس دواه وليس
قالوا ان اصل ليس لا ايس والايس اسم للوجود وفاذا قيل لا ايس فمعناه لا (اصله ليس)
موجود ولا وجود ثم كثر استعماله فحذفت الالف فبقى ليس ثم اعلم ان القاعدة
فى كلمة ليس انه اذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان فهيهنا كذلك ويرى مضارع
على صيغة المجهول اما من الرؤية البصرية او من الرؤية القلبية فان كان من الاولى
يكون قوله الا فى مفعولها القائم مقام الفاعل وان كان من الثانية فالمفعول الثانى
احد الجارين مع المجرور وقوله للقرب وقع فى بعض النسخ بفى وبعضها باللام
فاللام بمعنى فى والقرب والبعد اما زمانيان او مكانيان ومنه وقع فى
بعض النسخ بدل منهم فعلى الاول يكون الضمير راجعا الى معناه وعلى الثانى يكون
راجعا الى الورى والانفحام قبول الالزام والمراد به العجز عن اتيان كمال معناه
وحاصل معنى البيت ان فهم معاينة الخفية البهية وكمالات العلية السنية اعجز
الكائنات باسرها والمخلوقات بشراشرها فلا يبصر بل لا يعلم للقرب والبعد
غير عجز عن ادراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه فكان
وصفه عليه السلام اصعب من جميع الجهات بين الانام ولذا قال الشيخ بدر الدين
الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن
الرومى مدحه عليه السلام مع كونهم موصوفين بالفصاحة والبلاغة بين الانام
لان مدحه عليه السلام كان من اصعب ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته
والاوصاف دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه
وقال فى تذكرة القرطبى لم يظهر كمال حسنه عليه السلام والا لما طاقت

اعلى

اعين الصحابة رضى الله عنه النظر اليه انتهى كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من امم لما كان فى مفهوم البيت الاول احتمال انه
ينظر فقال كالشمس تظهر اه الشمس كوكب نهارى مضيئ لجميع العالم
وتظهر من الظهور على صيغة التانيث لان الشمس مؤنث وتظهر ما بعده
اشارة الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا وقد بين عيب التشبيه بها علم الدين
طلاق ابو القاسم حيث قال ان بينه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى وان البدر ينقصه المسير وهذا التشبيه وغيره مما
ورد فى حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب والتمثيل فذاته اعلى واجد
فان قلت المناسب ان يشبه عليه السلام بالقمر والبدر لان القمر يملأ الارض
بنوره ويونس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كل يزعج قلت
نعم كذلك الا ان الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس فى العجز عن
التمكن الى النظر على وجه الكمال الى وجهه عليه السلام وفى تمامية الضياء لان الشمس
اتم ضياء من القمر كما لا يخفى وقوله للعينين على صيغة التثنية متعلق به ايضا
بتظهر والالف واللام فيه للاستغراق اى لكل عين سواء كان عين الاولياء والا
صفيه ومن بعد متعلق به ايضا والبعد بفتحتين لغة فى البعد والبعد ضد
القرب وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء
وقوله صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر وقوله وتكل من الاكلال وهو
العجز عن الادراك والطرف العين ومن امم متعلق بتكل او حال من الطرف والامم
بفتحتين القرب وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم فى وصفه الذى
تقدم من انه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التى تظهر للعينين
من جهة البعد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب

وتصغير نفس الرائي حسية والحاصل ان الشمس على ما قيل انها قدر كرة الارض مائة وبضعا وستين مرة كما انها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة واذا تعرف الشخص ادراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك هو عليه السلام يرى في بادي النظر انه فرد من افراد البشر واذا تامل في اجلال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير وفي هذا البيت اشارة دقيقة الى قوله عليه السلام اللهم اجعلني في عيني صغيرا اي لشاهدة عظمتك وفي اعين الناس كبيرا اي لمكاشفة قدرتك **وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم** لما بين العجز عن ادراك كمالاته عليه السلام بالغ فيه مع الاشارة الى علة ذلك العجز فقال وكيف يدرك في الدنيا اه في بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم وفي بعضها بالواو فيكون عاطفة وكيف ظرف يدرك قدم عليه لصدارته لانه كلمة استفهام والاستفهام لانكار الوقوع ويدرك مضارع معلوم من الادراك والادراك بمعنى مطلق التصور او بمعنى الاحاطة بجوانب المرئي قال بعضهم اول مراتب وصول العلم الى النفس شعور ثم الادراك ثم الحفظ وهو استحكام المعقول في العقل ثم التذكر وهو محاولة النفس في استرجاع ما زال من المعلومات ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة الى الذهن ثم الفهم وهو التعقل ثم الفقه وهو العلم بغرض المخاطب ثم الدراية وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات ثم اليقين ثم الذهن وهو استعداد الذهن لكسب المعلوم الغير الحاصل ثم الفكر ثم الحدس وفي الدنيا متعلق بيدرك وانما قيد عدم الادراك بالدنيا لان استتار حقيقة المحمدية واختفاء كمالاته الاحمدية مخصوص بالدنيا لان في الآخرة يظهر مراتب كل احد ولذا يرى المؤمنون في الآخرة ربهم بغير كيف ومكان لذا قال صاحب الامالي يراه المؤمنون بغير كيف

لان في الآخرة تبدل الاعين الى حالة اخرى ولذا قال بعض العارفين انما امتنع رؤية الله تعالى في الدنيا الفانية لان الباقي لا يرى الا بالعين الباقية وقوله حقيقته بالنصب مفعول يدرك وضميره راجع اليه عليه السلام وحقيقة الشيء كماله الخاص به يقال حقيقة الله ولا يقال ماهية الله لايهامها معنى التجانس وقوله قوم بالرفع فاعل يدرك والقوم اسم لجماعة الرجال خاصة لانهم القوامون بامور النساء فاللفظ مفرد بدليل انه يثنى ويجمع واختصاص القوم بالرجال صريح في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء الآية وقول زهير اقوم آل حصن ام نساء واما في مثل هذا المقام فذكر الذكور وترك النساء لانهن توابع للرجال فيكون تغليبا ثم اعلم ان في القوم ثلثة اقوال احدها انه اسم جمع وثانيها انه جمع لا واحد له من لفظه وثالثها انه جمع له واحد من لفظه كما قال صاحب الكشاف في سورة الحجرات هو في الاصل جمع قائم وقوله نيام بالرفع صفة قوم وهي جمع نائم والنوم ريح يقوم من اغشية الدماغ فاذا وصلت الى العين فترت واذا وصل الى القلب نام والمراد من النيام الغفل اما على طريق الاستعارة او المجاز اما الاول فبان يقال شبه الغفلة بالنوم في عدم ادراك فائدة ما ثم استعير النوم للغفلة وذكر النوم واريد الغفلة ثم اشتق من الغفلة الغفل التي جمع غافل واشتق من النوم نيام وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل فذكر النيام واريد الغفل فعلى هذا يكون قوله تسلوا عنه بالحلم ترشيحا لهذه الاستعارة واما الثاني فبان يكون مجازا مرسلا تبعيا بان يقال ان الغفلة لازمة للنوم فذكر الملزوم واريد اللازم ثم اشتق من الغفلة غفل ومن النوم نيام فذكر النيام واريد الغفل وقوله تسلوا من التسلية بمعنى تلهوا واكتفوا وعنه متعلق بتسلوا والضمير اما راجع اليه عليه السلام واما الى حقيقته والحلم بضمتين ما يراه

النائم في نومه من الخيالات وحاصل معنى البيت كيف يعلم في الدنيا ذاتية
حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات الاحمدية جماعة غافلة كالنيام تسلوا
عن معرفته بالخيالات والاوهام وفي هذا البيت تنبيه الى قوله عليه السلام الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا والحمد لله العلام **فمبلغ العلم فيه انه بشر**
وانه خير خلق الله كلهم فلما كان المراد تسليتهم بالحلم خفيا اراد ان يقرره
فقال فمبلغ العلم اه فالفاء للتفصيل والتفسير والمبلغ بمعنى المنتهى والغاية
والعلم الالف واللام فيه عوض المضاف اليه اي منتهى علم الناس وفيه متعلق
بمبلغ او ظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف مضاف اي في شأنه عليه السلام
وان مع اسمه وخبره خبر المبتدأ والضمير له عليه السلام والبشر هو علم النفس
الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور واما الرجل
فهو اسم لحقيقة معتبرة معها تعينات وصور حقيقة فالمتبادر في الاول
نفس الحقيقة وفي الثاني الصورة وفي القاموس البشر محركة الانسان
ذكرا كان او انثى واحدا كان او جمعا نحو قوله تعالى بشرا سويا فاما ترين
من البشر احدا وقد يثنى ويجمع على ابشار فان قلت هل العلم بكونه صلى
الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية
قلت اجاب عنه الشيخ ولي الدين العراقي بانه شرط في صحة الايمان لانهم قالوا
لو قال شخص اومن برسالة محمد عليه السلام الى جميع الخلق ولكن لا ادري هل هو
من البشر او من الملائكة او من الجن او قال لا ادري هل هو من العرب او من العجم
فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا
عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعرف
في ذلك خلافا ولو كان جاهلا بالقرآن او كان في غيب لا يعرف ذلك

الاتفاق

الاتفاق وجب تعريفه اليه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى وقوله
وانه خير خلق الله كلهم عطف على انه بشر والخير قد سبق تفسيره والخلق بمعنى
المخلوق وضمير كلهم راجع الى الخلق وجمعيته باعتبار المعنى ومبني على ما ذكره
القاضي ان ضمير الجمع قد يرجع الى المفرد وبالعكس وانما اكد بالكل دفعا لخلاف
البعض وحاصل معنى البيت ان نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا في معنى
ذاته انه بشر عظيم وجوهر جسيم من افراد الانسان واحد الاعيان وفي معنى
صفاته انه افضل الكائنات وسيد الموجودات **وكل آي اتى الرسل الكرام بها**
فانما اتصلت من نوره بهم لما كان قوله في المصراع الثاني وانه خير خلق الله
كلهم نظريا اثبته واحكمه فقال وكل آي اتى الرسل اه قالوا من قبيل عطف العلة
على معلولها اي اذ كل آي فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول
بان نعبر بان يقال نبينا خير الانبياء كلهم لان نبينا عليه السلام
كل آي اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم وكل من شانه كذلك
فهو خير الانبياء كلهم فينتج المطلوب وترتيبه من الاستثنائي سهل لمن هو
اهل وكل بالرفع مبتدأ مضاف الى نكرة فيفيد عموم الافراد فيناسب المقام والآي
جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي
وتستعمل في المحسوسات والمعقولات والمراد ههنا المعجزات واتى يجيء
الى معان كمعنى فعل ومعنى حضر يقال اتى المكان اي حضره ومعنى جامع
يقال اتى المرأة اتيانا اي جامعها ومعنى انفذ يقال اتى على الشيء اي انفذه
ومعنى بلغ ومعنى هلك يقال اتى عليهم الدهر اي اهلكهم وافناهم ومعنى
كقوله تعالى وما اتاكم الرسول اي امركم ومعنى انتسب يقال اتى الرجل القوم
اي انتسب اليهم وليس منهم وقد يتعدى الى الثاني بالباء مثل اتيته بالبينة

وذكر الزمخشري انه يجيء بمعنى صار كجاء في قولك جاء البناء محكما اي صار
وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى اي كان والمراد ههنا اما معنى حضر
او معنى جاء والرسل بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول لا يقال المناسب ان يقول
كل النبي بها ليعم ويشمل لانا نقول بنى الناظم هذا القول على ان النبي والرسول
مترادفان او النبي يفهم بطريق الدلالة مع ان في الرسول دخل رسل الملائكة كجبريل
وعزرائيل وميكائيل واسرافيل فظهر افضليته عليه السلام عليهم جميعا كيف
وقد قال جمهور اهل السنة والجماعة ان خواص بني ادم وهم الانبياء افضل
خواص الملائكة وهم الاربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحا
نيون وخواص الملائكة افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع
بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل
من الساجد وفيه بحث مفصل في كتبه والكرام جمع كريم وهو اما من الكرم
لانهم منعمون على امتهم بالشرايع وطرق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة
واما من الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم سادة ونبيا واباء في بها للملابسة
متعلق باتى والضمير راجع الى الاي والفاء في فانما لتضمن المبتدا اعني كل
معنى الشرط وانما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وضمير
اتصلت راجع الى الاي ومن نوره متعلق باتصلت وضمير نوره راجع الى محمد
عليه الصلوة والسلام والنور هو الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوء
النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس في اللطافة ولزوم الحركة لانه
الان كرة النار تتحرك على سند ذاتها بمتابعة الفلك والنفس تتحرك دائما
بحركات مختلفة كذا قالوا وبهم متعلق باتصلت ايضا والضمير للرسل
وحاصل معنى البيت ان جميع ما اتى الرسل والانبياء من خوارق العادات

فانما

فانما اتصلت وحصلت تلك الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نوره الا
صلي فمعجزات السابقين معجزة له كما ان كرامات اللاحقين كرامة له فالسا
بقون واللاحقون انما هم في الحقيقة له نائبون كالمقدمة والسابقة للامد
ومعنى البيت لا يظهر الا بنقل ما روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله
الانصاري وهو انه قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول
شيء خلق الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك
من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في
ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس
ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور
اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني
الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول
السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء
فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثالث نور قلوبهم وهي المعرفة بالله
ومن الثالث نور انفسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله فالعرش
والكرسي من نوري والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة
السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر
والكواكب من نوري والعقل والعلم والتوحيد من نوري وارواح الانبياء والرسل
من نوري والشهداء والسعداء من نوري فاقام النور وهو الجزء الرابع في
كل حجاب الف سنة وهي مقام العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة
والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين

والنبيين فلما خرج النور من الحجب ركبه فى الارض فكانه يضيء منه ما بين المشرق
والمغرب كالسراج فى الليل ثم خلق الله ادم من الارض وركب فيه النور فى
جنبه ثم انتقل الى شيث الحديث فمن هذا الحديث علم ان كل ما وصل الى سائر الانبيا
فهو من نوره عليه السلام لان كل ما فى الكونين فانه شمس فضلهم كواكبها
يظهرن انوارها للناس فى الظلم فلما كان صغرى القياس التى هى البيت الاول
غير بينة اراد ان يبينه ويثبته فقال فانه شمس فضل اه فترتيب قياسه هكذا نبينا
اتصلت من نوره الايات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم لان نبينا شمس فضلهم
كواكبها وكل من شانه كذا فانما اتصلت من نوره الايات التى اتى الرسل
الكرام بها اليهم فينتج المطلوب وقوله يظهرن علة لصغرى هذا القياس فترتيب
قياسه هكذا نبينا عليه السلام شمس فضلهم كواكبها لان نبينا عليه السلام يظهر
سائر الانبيا انوارهم للناس وعدم وجوده دون حين وجوده عليه السلام
وكل من شانه كذلك فهو شمس فضل فينتج المطلوب فالفاء فى فانه للتعليل والضمير
له عليه السلام وشمس فضل كشمس فضل اذ هو من تشبيه البليغ لان طرفاه مذكوران
وبعضهم جعله استعارة مصرحة بان يقال شبه النبى عليه السلام بالشمس
فى المظهرية وازالة الظلمة فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس واريد
النبى عليه السلام ولا يضر لهذه الاستعارة ذكر الطرفين لانه انما يضر اذا كان
على وجه ينبئ عن التشبيه وههنا ليس كذلك واضافة الشمس الى الفضل
بمعنى من اى شمس من فضل الله ثم اعلم ان القسطلانى عد الشمس فى المواهب
اللدنية من اسمائه عليه الصلوة والسلام حيث قال واما الشمس فسمى به
صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة
قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائى ان ينظر اليه

ملاء عينه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من انواع الكواكب لانها
فى السماء السادسة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى وايضا انما كان سائر
الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله عليه وسلم بها لان انوار الانبيا
يستمد من نوره عليه السلام انتهى وهم راجع الى الانبيا وجعله راجعا الى
اصحاب النبى عليه السلام غير ظاهر والكواكب جمع كوكب والمراد بها اما الاقمار
او النجوم والضمير راجع الى الشمس فالاضافة لادنى ملابسة لان الشمس
سبب لكونها نجوما ذوات نوره وحمل الكواكب على الانبياء اما بطريق التشبيه
البليغ او الاستعارة كما سبق فتذكر فلما كان وجه الشبه فى تلك الاستعارتين خفيا
اظهره بيظهرن اى تلك الكواكب انوارها اى انوار تلك الشمس للناس اى
لجميع العباد وفى الظلم جمع ظلمة اى فى غيبوبة ذلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة
بالذات وانما هى مستفيدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس
فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدى
الرسل عليهم السلام من الانوار فانما هو من نوره الفايض ومدده الواسع
من غير ان ينقص منه شيء واول ما ظهر ذلك فى ادم عليه السلام حيث جعله الله
خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه السلام فظهر بعلم
الاسماء كلها على الملائكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية
ثم توالت الخلايق فى الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلوة
والسلام لاظهار منزلته فلما برز كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى
تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى
طى نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او
فضيلة الا وقد اعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فادم عليه السلام اعطى

ان الله خلقه بيده فاعطى سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام شرح صدره
تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق
النبوى مع ان المقصود كما مر بخلق ادم خلق نبينا عليه الصلوة والسلام
واما سجود الملائكة لادم فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره
ان الملائكة انما امروا بالسجود لادم لاجل ان نور نبينا عليه السلام
كان فى جبهته واما تعليم ادم عليه السلام علم اسماء العلوم وذواتها
ولا ريب ان المسميات اعلى وتبر من الاسماء لان الاسماء يؤتى
لتبين المسمى فهى المقصودة بالذات واما ادريس عليه السلام فرفعه
الله مكانا عليا واعطى سيدنا عليه الصلوة والسلام المعراج والرفع
الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن امن
معه من الغرق والخسف فاعطى سيدنا عليه السلام ان لم تهلك امته
بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
واما ابرهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما واعطى
سيدنا عليه السلام نظير ذلك اطفا نار الحرب عنه عليه السلام قال
الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وكذلك عنه عليه السلام
ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه واما ما اعطى ابرهيم عليه السلام
من مقام الخلة فاعطى عليه السلام به وزاد بمقام المحبة واما ما اعطى
ابرهيم من كسر الاصنام والازلام فاعطى سيدنا عليه السلام كسرها
باسرها بمحضر من اولا نصرها من غير تعريض فى القول ولا تعريض
فى الصول بل قال جهرا قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل

لان الحجر من جنس الارض التى نبع منها الماء ولم تجر
العادة فى نبع الماء من اللحم

كان زهوقا واما ما اعطى موسى عليه السلام من قلب العصا حية
فاعطى عليه السلام انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام
بحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطى موسى
عليه السلام من اليد البيضاء فاعطى سيدنا عليه السلام انه لم
يزل نورا فى اصلاب وبطون وكان يرى من نوره فى الليلة المظلمة
ما سقط على الارض من الخياط واما ما اعطى موسى ايضا من
انفلاق البحر فاعطى سيدنا انشقاق القمر كما سيجئ انشاء الله تعالى
فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا فى عالم السماء والفرق واضح
وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر
الارض بالنسبة كالقطرة من البحر المحيط قاله فعلى هذا كان ذلك البحر
متعلق النبيا معجزة عليه السلام فى ليلة المعراج واما ما اعطى موسى
من اجابة الدعا فقط اعطى لسيدنا ما لا يحصى وسيجئ بيانه
بعضه واما ما اعطى موسى عليه السلام من تفجر الماء من الحجارة
فاعطى سيدنا ان الماء يتفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ واما ما اعطى موسى من الكلام
فاعطى سيدنا مثله ليلة الاسرى وزيادة الدنو ومقامه عليه السلام كان فوق
السموات العلى والسدرة المنتهى ومقام موسى كان طور سينا واما ما اعطى
هرون عليه السلام من الفصاحة فكان عليه السلام افصح جميع بنى ادم واما ما اعطى
يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى سيدنا عليه السلام كله ما لا بعده
غاية واما ما اعطى لداود عليه السلام من تليين الحديد [illegible] فاعطى
له عليه السلام مثل ذلك وزاد عليه حيث كان سقا قويا ما اعطى من الخشب لبعض
الاصحاب واما عدد الجن من جنود سليمان عليه السلام فخير منه عدد الملائكة

مع جبيل من جملة اجناده عليه الصلوة والسلام واما ما اعطى له من الملك فنبينا عليه السلام
خير بين ان يكون نبيًّا ملكا ونبيًّا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا واما ما اعطى
لعيسى عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى لسيدنا عليه السلام
جميع ذلك لانه رد العين الى مكان بعدما سقطت فعادت احسن ما كانت
وكذا روى ان امرة معاذ بن عفراء كانت برصا فشكت الى رسول الله عليه السلام
فمسح عليها بعصى فذهبت البرص منها ذكره الرازى واما احياؤه عليه السلام
الموتى فقد سبق فتذكر وما ذكرناه كواحد من العشر بالنسبة الى ما جاء فى هذا البحث
من الخبر اكرم بخلق نبى زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم
لما بين اجمالا احسن خلقه وصورته عليه الصلوة والسلام بتشبيهه بالشمس
اراد ان يذكر بعضا تفصيله مع جعل بعض خلقه وسيرته نتائج لها فقال اكرم
بخلق نبى زانه خلق اه اكرم فعل التعجب على صيغة امر الحاضر والفاعل مستتر راجع الى
الله اى ما اكرم الله بخلق نبى اى تعجب من اكرم الله بخلق نبى والباء فيه زائدة
على ما ذهب اليه الاخفش متعلق باكرم والخلق بمعنى الذات والصورة والتنوين
فى نبى للتعظيم اى نبى فخيم والمراد محمد عليه الصلوة والسلام بقرينة المقام وجملة زانه
صفة النبى وهو من الزينة وزان يتعدى بنفسه كقول امرء القيس فى قصيدته
المعلقة • وفرع يزين المتن اسود فاحم • اثيث كقنو النخلة المتعثكل والخلق
بالرفع فاعل زان وهى بضمتين جمع خلق بمعنى الصفة والسجية والمراد شمايله عليه
السلام وقد اشار فى هذا المصراع الى ان حسن الصورة انما هو حسن ان كان الاخلاق
حسنة والحسن متعلق بالمشتمل المؤخر وانما قدم ليفيد الحصر والالف واللام للاستغراق
يعنى اشتمال جميع انواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره ومشتمل بالجر
صفة بعد صفة لنبى وهو على صيغة اسم الفاعل من الاشتمال بمعنى الاحاطة والجمع
لانه

لانه من شمل بمعنى جمع واحاط لا من شمل بمعنى تفرق والفرق بين الاشتمال والشمول
ان الاشتمال يستعمل فى تناول الكل لاجزائه والشمول فى تناول الكلى لجزئياته وبالبشر
بالمتسم المؤخر والبشر بكسر الباء تحرك بشرة الوجه عن السرور والبشاشة
يقال لقينى فاظهر البشر اى الطلاقة والبشاشة وفى بعض النسخ وقع بدل البشر
البر بمعنى الصدق لكن الاول اولى لكون الثانى مستلزما للتكرار حيث
سبق بيان ابريته عليه السلام فى قوله نبينا الامر الناهى اه ومتسم بالجر صفة
بعد صفة لنبى وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة
ومنه ما فى قول الشاعر • او كلما وردت عكاظ قبيلة • بعثوا الى عريفهم يتوسم
وحاصل المعنى ما اكرم خلق محمد وصورته الظاهرة الذى زينه وحسنه
خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى نور على نور وقال
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الموصوف باشتمال الحسن واحاطته
جميع حالاته ومقالاته وسكناته وقد وردت فى بسط حسن صفاته
احاديث مشهورة كثيرة كقول ابى هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول
الله عليه الصلوة والسلام كان الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك
يتلألؤ فى الجدر وقول ام معبد فى بعضها وصفته به كان عليه السلام
اجمل الناس من بعيد واحلاه وحسنه من قريب وقول على رضى الله
فى اخر وصفه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما يطول
سرده فى هذه المختصر • وكذلك كان عليه السلام هو الموصوف بالاتسام
بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام وفيه احاديث معروفة ذكرها
منها عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام

وقول ابى هريرة اذا ضحك رسول الله عليه السلام يتلالؤ فى الجدر
فان قلت المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع
انه ينفيه ما روى عن عايشة رضى الله عنها حيث قالت ما رأيت
رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا قلت ان عايشة
انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبره بما شاهده والمثبت مقدم على
النافى وقال ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه عليه السلام
كان فى اكثر احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك
فان لم يكن ما ذكرته لك كافيا بالوفا فعليك بما فى المواهب والشفا فلعله
لك كفى ثم اعلم ان هذا البيت رابع الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه
السلام يذم لقادها ان يكرره وترا كالزهر فى ترف والبدر فى شرف
والبحر فى كرم والدهر فى همم ثم ترقى فى تفصيل اوصافه من خلقه وخلقه
فقال كالزهر فى ترفه فالمصراع الاول لبيان خلقه وصورته والثانى لبيان
حسن خلقه وسيرته فقوله كالزهر ظرف مستقر مجرور على انه صفة بعد صفة
لنبى او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو كالزهر والكاف للتشبيه والزهر
بفتح الزاء المعجمة نورة النبات قيل هو مختص باصفره لكن الاصح اعم وجمعه ازهار
وازاهر والزهر ايضا يقال لشىء نورانى فى غاية الضياء الذى وجهه يلمع كالسراج
الوهاج والمراد ههنا المعنى الاول بقرينة سياقه وفى ترف متعلق بالتشبيه
المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه التشبيه والترف بفتحتين النعومة فى الجلد
والاولى ان يكون المراد من الزهر الورد لانه سلطان الازهار مع طيب رايحة ولطافة
نقد منه على سبيل المجاز بذكر العام وارادة الخاص وعلى التقديرين يكون التشبيه
مقلوبا والا فلم يكن شىء انعم واترف واظرف والطف من رسول الله عليه السلام

ولو كان

ولو كان التشبيه على حقيقته لزم ان يكون نعومته عليه السلام انقص من الزهر اذ فيه
عدة التشبيه نقصان ما يحكى وهو غير صحيح كيف وقد قال فى المواهب اللدنية
وقد جاء فى رواية ابن عساكر انه عليه الصلوة قال الورد الابيض خلق من عرقى
ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبرائيل والورد الاصفر خلق من عرق
البراق وقوله والبدر بالجر معطوف على مدخول الكاف والبدر هو القمر
فى ليلة اربعة عشر وفى شرف عطف على فى ترف لا يقال فح يكون من قبيل
عطف شيئين بحرف واحد على معمول عاملين مختلفين وهو فاسد لانا نقول
لا نسلم اختلاف العامل على ان المجرور مقدم كما لا يخفى والشرف بمعنى العلو لكن المراد
العلو القدرى لا العلو المكانى فتامل ثم اعلم ان البدر من اسمائه عليه السلام
وقد صاف تشبيهه عليه السلام بالبدر لان التشبيه بالبدر ابلغ فى العرف
من التشبيه بالقمر والشمس اما الاول فان البدر وقت كماله دون القمر واما الثانى
فلما ان البدر يملاء الارض بنوره ويونس كل من شاهده ويتمكن من النظر
اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية ولقد احسن
من قال كالبدر والكاف ان انصفت زائدة فيه فلا تظنن الكاف للتشبيه وبالجملة
انهم قالوا ان التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انما هى على عادة الشعر
والعرب والا فلا شىء من هذه المحدثات تعادل صفاته الخلقية والخلقية وقوله
والبحر بالجر عطف على قريبه او بعيده يعنى ان رسول الله كالبحر فى اعطاء ما ينفع
لانه كما ان البحر المالح يعطى الانسان لؤلؤا او مرجانا وجواهر كثيرة فكذلك
رسول الله عليه السلام ولذا قال فى وجه التشبيه فى كرم والفرق بين الكرم والجود
والسخا ان من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل
فهو كريم وقد ثبت كرمه عليه السلام باخبار كثيرة واثار عديدة منها حديث

مطلب الفرق بين الكرم والجود

انس مرفوعا انا اجود بني ادم وفي رواية لمسلم ما سئل رسول الله عليه السلام
شيئاً الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنماً بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم
اسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وفي رواية اعطى لصفوان يوم الحنين
وادياً مملوا ابلاً ونعما ولله در ابن جابر حيث قال هذا الذي لا يتقي
فقرا اذا يعطي ولو كفر الانام ورامو واذا من الدنعام اعطى املاء
فتحيرت اعطائه الاوهم وفي رواية البخاري عن انس انه عليه السلام
اعطا العباس من الذهب ما لم يطق والتفصيل في المطولات وقوله
والدهر بالجر عطف على القريب او البعيد والدهر بفتح الدال بمعنى الزمان
وعلى قول بمعنى الابد وقيل هو مدة الدنيا وقيل زمان طويل وقيل
هو الف سنة وسيجيء ما يتعلق بالدهر فتبصر والهمم جمع همة وهي
قصد اكمال التوجه يعني كما ان الدهر الطويل والزمان المديد يقبل
ولفطيه ما رغبه ويكمل كذالك النبي عليه السلام والبيت تضمين من
قول حسان في وصفه له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى
اجل من الدهر كانه وهو فرد في جلالته في عسكر حين تلقاه
وفي حشم لما بين وصفه عليه السلام من بشاشته وزيادة كرمه
توهم القاصرون انه من خوفه عن قومه فدفع ذلك فقال كانه
وهو فرد الخ كان للتشبيه لا للظن والضميران راجعان اليه عليه السلام
والواو في وهو للحال والفرد بمعنى المنفرد اي حال كونه منفرداً غير
مقارن لاحد وفي جلالته متعلق بالتشبيه المستفاد من كان وهو بيان
وجه التشبيه والجلالة المهابة والعظمة قيل الكبير يستعمل في الذات
والجليل في الصفات والعظيم فيهما وفي عسكر ظرف مستقر خبر

[margin: ط الفرق بين الكبر والعظم]

[margin: وانما ضمه لانه تفسير نوع مخالفة
لما سبق منه في الفرق بين الشرف
والعظمة فتذكر منه]

كان

كان يعني ان النبي عليه السلام في كمال متانته وتمام شجاعته كمن
كان في عسكر منفرداً الا ان من كان له عسكر وكان هو واقفاً وسطهم
يلزم له الشجاعة البتة والمتانة عادة وقوله حين تلقاه ظرف للتشبيه
وتلقاه من الملاقات بمعنى الوصول وهو خطاب لكل احد من
شانه ان يخاطب لا يقال انه ركيك لانه يلزم ان يكون شجيعاً
ومهيبا على المؤمنين مع انه رحيم بينهم لانا نقول التشبيه مقيد بكونه في عسكر
وهو يدل على انه عليه السلام كان شجيعاً على عسكر غيره على انه لا يلزم من كونه
عليه السلام وقت الملاقات شجيعاً الشجاعة على المؤمنين وجعل تلقاه على
صيغة التانيث وارجاع الضمير الى جماعة الاعداء ركيك كما لا يخفى وفي حشم
عطف تفسير وبيان وتاكيد للعسكر وفي بعض النسخ وفي بهم بضم الباء جمع
بهمة وهو الفارس الذي لا يعلم من اي يجيء وبالمقابلة الى العسكر يراد من
العسكر الجيش المشاة وهذه النسخة اولى من النسخة الاولى لان التاسيس
خير من التاكيد وحاصل معنى البيت كانه عليه السلام والحال انه منفرد
بذاته وثابت في عظمة صفاته كائن في كمال هيبته وجلالته قائم
في قلب عسكر كبير وفي وسط جيش كبير تلقاه ايها المخاطب وتراه في
ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ما روي ان ابا جهل كان وصياً ليتيم فجاء
اليتيم عريانا يسأله من مال نفسه فطرده ولم يعط ماله فايس الصبي
فقال اكابر قريش قل لمحمد لكي يشفع وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم
ذلك فجاء الى النبي عليه السلام والتمس منه ذلك وهو عليه السلام كان لا يرد
محتاجاً فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم
فعيره قريش وقالوا صبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن رايت

[margin: وجلايه الخارج]

مطلب في مصارعته عليه السلام

عن يمينه وعن يساره حربة نخفت ان لم اجبه يطعنها في ذكره شيخ زاده
في سورة الماعون وكذا ما ذكر في كتب الاحاديث انه كان بمكة رجل شديد
القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتون من البلاد للمصارعة فيصرعهم
فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله عليه السلام
فقال يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال له ركانة يا محمد هل
من شاهد على صدقك قال ارأيت ان صرعتك تؤمن بالله ورسوله قال
نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدعا منه رسول الله عليه السلام
فاخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به
ذلك ثانيا وثالثا ووقف ركانة متعجبا وقال ان شانك عجيب
رواه الحكم في مسنده كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف من
معدني منطق ومبتسم لما توهم القاصرون الجاهلون العاجزون
من البيت السابق انه عليه السلام كان غليظ القلب وعبوس الوجه
شديد الكلام فدفعه فقال كأنما اللؤلؤ المكنون اه كان للتشبيه وما
كافة عن العمل واللؤلؤ الدر البياض وانما اطلق عليه لتلألؤه وهو
مبتدا خبره قوله الآتي من معدني منطق اي مستخرج وحاصل
من معدني منطق والمكنون بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون
المحفوظ وفي صدف متعلق بمكنون وجعله خبر المبتدا بعيد كل البعد
كما لا يخفى واما جعل اللؤلؤ خبر مبتدا محذوف وجعل من معدني صفة
صدف بان يقال كان كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون في صدف
مستخرج من معدني اه فقريب وظاهر فتامل والصدف ظرف اللؤلؤ
قال الحباني في شرح التحفة الصدف حيوان من حيوانات البحر يكون

مطلب ان الصدف والدر

اكثرنا

اكثرنا في بلاد الهند والچين فاذا جاء وقت النيسان ان يخرج
على وجه البحر ويكشف فمه الى جانب السماء فان سقط في فمه
قطرة واحدة من المطر في ذلك الوقت يكون تلك القطرة في بطنه
درا ذا قيمة كثيرة يقال له در اليتيم والفريدة وان سقط في فيه منه
فيه قطرتان يكون تلك القطرتان في بطنه درتين يقال لهما اخوان
لكن يكون قيمتهما انقص واقل من الاول وان سقط في فيه منه
فيه قطراة ثلثة يكون دررا ثلثة وان اربعا فاربع وقس على هذا
لكن كلما زاد القطرة يكون قيمة دره انقص ثم ان الصدف حيوان
اولا واذا سقط الدر في فمه ينزل على قعر البحر ويتأصل فيه كتاصل
الشجر ولا يتحرك الى طرف اصلا كالحجر انتهى وفي هذا المصراع
استعارة حيث شبه الجوامع كلمه ومنظوم اسنانه عليه السلام
باللؤلؤ المكنون في صدف في كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور
والنشاط ثم استعير اللؤلؤ بكلامه ومنظوم اسنانه فذكر
اللؤلؤ واريد كلامه وثغره عليه السلام والمعدن بكسر الدال وهو
فصيح لحن العدن بمعنى الاقامة وهو على صفة التشبيه حذف نونه
بالاضافة والمنطق والمبتسم اما مصدران فالاضافة بمعنى اللام
والمعدن للمنطق هو القلب لانه يظهر الكلام الدال على المرام لا يقال
الكلام في اللسان لا في القلب لانا نقول حقيقة الكلام في القلب
دون اللسان بل هو دليل عليه وترجمان كما افاده قول الاخطل
ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا والمعدن
للابتسام هو الفم لانه يظهر الاسنان والثغر واما اسما مكان فعلى

بهذا يكون الاضافة بيانية كما لا يخفى وحاصل معنى انه عليه السلام كان فى غاية
البشاشة ونهاية اللطافة ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق
وكان كلامه درة المصون كالدر المكنون وكان فمه عليه السلام فى حفظ الكلام كالصدف
المقبول بين الانام قال صاحب الزبدة فيها قال المجلى حكى ان بعضهم رأى فى المنام
ان الصديق يزف النبى بهذا البيت والبيت الذى قبله لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم لما اشار ببعض كمالاته الصورية والمعنوية فى خلقه
وخلقه وافضليته قدره حال الحيات اراد ان يشير ايضا الى افضليته من جميع المخلوقات
فى حال الممات فقال لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه آه لا لنفى الحكم عن الجنس
والطيب اسم لا يتطيب به ويعدل اى يساوى يقال فلان عدل فلان اى مساويه
وجملة يعدل خبر لا واسمه الطيب والمعنى لا شيء طيبا يساوى تربا بضم التاء
وسكون الراء لغة فى ترب او بمعنى التربة وضم بمعنى لصق ومس والجملة صفة تربا
والاعظم جمع عظام والمراد جميع اعضائه عليه السلام وانما خصها بالذكر لكون
قيام الاعضاء عليها والضمير راجع اليه عليه السلام ومراد الناظم الفاهم اثبات
الطيبة لبدنه عليه السلام بطريق الكناية اذ هو ابلغ من الحقيقة فوصف ترابه
روضته عليه السلام بانه شريف طيب لا طيب مثله وصف ذاته عليه السلام
بطريق الكناية فالتراب انما اخذ الطيب من مقارنته اليه عليه السلام اذ كان
عليه السلام متصفا برائحة الطيب كما روى عن انس انه قال ما شممت مسكا
ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله عليه السلام وطوبى بمعنى الطيب والحسنى
والخير قاله فى القاموس وقال عنه هى فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة
وقال عكرمة نعمة وشجر فى الجنة اسمها طوبى وقد يكنى بها من الجنة وفى الحديث
طوبى للشام فان الملائكة باسطة باجنحتها عليها وطوبى ههنا اما صفة

لتربا

اى تربا مقبولا فى حقه طوبى او مبتدا خبره لمنتشق فليتأمل ومنتشق اسم فاعل
من الانتشاق وهو الاشمام بمعنى طوبى لمن شم ذلك التراب ومنه منتشق
لمنتشق وملتثم عطف على منتشق وهو من الالتثام بمعنى التقبيل والبيت مقتبس
من مرثية الفاطمة الزهرى حيث قالت صبت على مصائب لو انها صبت
على الايام صرن لياليا ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
ولله در الناظم الفاهم حيث اشار فى هذا البيت الى نوعين المتعلقين فى الطيب
لانها اما ان يستعمل بالشم واشار اليه بقوله المنتشق واما بالضمخ واليه اشار بملتثم
وهذا مبنى على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وكذلك
اما لانه كذلك فى نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن
فى ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه السلام شيئا من الطيب
فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادركه كل احد والجواب لا يلزم من قيام المعنى
بمحل ادراكه لكل احد بل حتى يوجد الشرائط وتنتفى الموانع وعدم الادراك لا
يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك
رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الا
مور الاخروية لا جرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف له الغطاء من الاولياء
المقربين لان متاع الاخرة باق ومن فى الدنيا فان والفانى لا يتمتع بالباقى
للتضاد ولا ريب عند من له ادنى تصديق بشريعة الاسلام ان قبره روضة
من رياض الجنة وافضلها وانه لا طيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتماسه
جسمه اللطيف الذى هو اطيب الطيب ولذا قال العلماء ان تربة قبره افضل
من البيت والمسجد الاقصى والعرش والكرسى ثم اعلم انهم اختلفوا فى زيارة قبره
عليه السلام هل هو واجب او سنة فذهب بعض المالكية الى الاول واستدلوا

عقلاً ونقلاً اما الاول فلان الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم
واجب فزيارته واجبة واما الثاني فلقوله عليه السلام من وجد سعة ولم يفد
الي فقد جفاني وفي حديث اخر من حج ولم يزرني فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة
ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء
واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة وذهبت اكثر الشافعية والحنفية الى انها
كما قال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها والاحاديث
السابقة مأولة وبيانها في كتب القوم مفصلة ابان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتداء منه ومختتم لما بين شرافة اخره ولطافة انتهائه صلى الله عليه
وسلم في البيت السابق قيل فكيف كان ابتدائه فاجاب ببيان شرافة ابتدائه
ولطافة اوله عليه السلام فقال ابان مولده عن طيب عنصره اه ابان بمعنى اظهر
وكشف والمولد بكسر اللام اسم زمان وهو فاعل ابان ومفعوله محذوف اي
عجايبات كثيرة واسناد ابان مجازي وعن طيب متعلق بابان وكلمة عن قد يكون
للبدل كما في قوله جزاء به عني عدي بن حاتم وقد تكون لافادة كون ما بعدها
سببا لما قبلها كما في قولك فعلت هذا عن امرك وقد تكون بمعنى بعد كما في قوله تعالى
لتركبن طبقا عن طبق وههنا للمعنى الثاني لان طيب عنصره سبب لاظهار زمان
ولادته عجايبات كالاخفى والمعنى اظهر الله زمان ولادته لسبب طيب عنصره عليه
السلام عجايبات كثيرة وسيبين بعض تلك العجايبات ان شاء الله تعالى والطيب
معلوم والعنصر بمعنى الاصل في اللغة العربية كالاسطقس في اللغة اليونانية والمراد
من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لا ينبغي كما يقع في ساير المولودين
وكلمة يا للنداء والمقصود بالنداء محذوف اي يا ايها العقلاء انظروا بنظر التعجب
الى طيب ابتدائه وانتهائه فالمبتداء والمختتم بمعنى المصدر ويجوز ان يكونا اسمي

زمان

زمان فان قلت قد بين طيب ابتدائه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت
السابق فاين بيان طيب اواسطه عليه السلام قلت قد بين طيب اواسطه
ايضا في الابيات السابقة في بيان شرف خلقه وخلقه عليه السلام على ان
المشهور بين العرب انهم يذكرون طرفي الشيء ويريدون مجموعه كما في قوله
تعالى وسبحوه بكرة واصيلا ومثله كان كثيرا ثم اعلم ان ما روي في انباء
فضائله في زمان ولادته واخباره عجايبه في زمان ابتدائه كثير لا يعد
ولا يحصى منها ما ذكر في كتب الاحاديث انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته
المحمدية في صدف امنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا
جوامع القدس الاسنى والجزوا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات
في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والصفا فقد انتقل
النور المكنون الى بطن امنة ذات العقل الباهر والفخر المصون وقال سهل بن عبد الله
التستري لما اراد الله خلق محمد عليه السلام في بطن امنة ليلة رجب وكانت
ليلة جمعة امر الله في تلك الليلة خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى
مناد في السموات والارض ان النور المخزون الذي يكون منه نور النبي الهادي
في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي يتم فيه خلقه عليه السلام وروي انه كانت
قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار
فسميت تلك السنة التي حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج
وفي رواية ان امنة قالت ثم لما اخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي ذكر ولا
انثى واني لوحيدة في منزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة
وامرا عظيما هالني ثم رايت كان جناح طير ابيض قد مسح على فؤادي
فذهب عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضاء فناولتها

مطلب ان نور محمد عليه السلام انتقل الى بطن امه في رجب ليلة جمعة

فاصابني نور عال ثم قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهوى بايديهم اباريق
من فضة فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلثة
اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني
المخاض فوضعت محمدا عليه الصلوة والسلام فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه
الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته
عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه
باسمه ونعته وصورته وهذه القصة طويلة يتحير عنها الافهام حتى بعض الفضلاء
الكرام وضعوا المولده عليه السلام كتابا مستقلا في حسن النظام ومن اراد فعليه
الرجوع والقيام يوم تفرس فيه الفرس انهم قد انذروا بحلول البؤس والنقم
لما قدر المفعول في البيت السابق اعني قوله عجايبات او علامات وكان ذلك في غاية
الاجمال اراد ان يفصله بذكر بعض منه فقال يوم تفرس فيه الفرس آه يوم بدل من
من المولد والمراد من اليوم النهار وقد يستعمل في مطلق الزمان لكن المراد هنا هو
النهار اذ المشهور والاصح انه عليه السلام ولد يوم الاثنين فعن قتادة انه عليه السلام
سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وعن ابن عباس انه قال
ولد عليه السلام يوم الاثنين وانزل عليه النبوة يوم الاثنين وخرج مهاجرا يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وكذا فتح المكة يوم الاثنين
وانزل عليه سورة المائدة يوم الاثنين ومن قال المراد من اليوم هنا مطلق الزمان
فليس له خبرة من كتب الاحاديث وتفرس اي نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة
يدرك بها الانسان المعاني الباطنة من المخائل الظاهرة وفيه متعلق به وضميره
راجع الى اليوم والفرس بالرفع فاعله والفرس اسم جمع لاهل فارس وفارس
معرب پارس وهو پارس ابن ناسور ابن سام بن نوح وهو بلاد كثيرة بناها المزبور

وبلاده

[illegible] انه عليه السلام [illegible]

مطلب انه عليه السلام ولد في اليوم لا في الليلة

وبلاده المشهورة شيراز واصفهان وقدور وفي مدح اهل فارس
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان الله
اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا وفي حديث
آخر ابعد الناس الى الاسلام الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا
لتناوله فارس وانهم مع اسمه وخبره مفعول تفرس والضمير للفرس
وقد للتحقيق وانذروا ماضي مجهول من الانذار بمعنى التخويف
مع الابلاغ وبحلول متعلق بالانذار والحلول بمعنى النزول والبؤس الشدة
والمضايقة واللام للاستغراق او الجنس او العهد والنقم عطف تفسير
للبؤس وهو بفتحتين جمع النقمة بكسر النون وهي الشدة والعقوبة
اعلم انه روي ان الليلة ولد في نهارها رسول الله عليه السلام رأى
ملك الفارس وهو ساسان رؤية تحيرته فلم يدع كاهنا ولا
ساحرا ولا منجما من اهل مملكة العجم مع طائفة من احبار اليهود
فقال لهؤلاء اني رأيت رؤيا تحيرتني فاخبروني بها قالوا اقصصها
علينا حتى نخبرك بتأويلها قال لا اطمئن بتأويلكم بعد القصص
واني اريد ان اخبروني الرؤيا وتأويلها قبل القصص عليكم فتحيروا
ولم يقدروا على اخبارها فقال له رجل منهم ان كنت تريد
هذا فلتبعث الى سطيح حتى يخبره فبعث ساسان اليه عبد المسيح
الى البحرين وكان السطيح يخرج في كل سنة مرة وكانوا يضعونه
على صحيفة من الذهب فيخبر عن احكام السنة الآتية والناس
يكتبونها فانتظر عبد المسيح خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا ساسان
وقال انه رأى رؤية تحيرته وهي انه رأى فيولا عربيا يملأ المدائن

مطلب ظهور [illegible]

ويسوق الابل العراقي ويجزمها منها وانما هذه العلامة ولادة النبي
العربي الهاشمي محمد الذي هو افضل ابنا الجليل الموصوف في التورية
والانجيل وتأويل رؤياه ان خيل العرب هو اصحاب ذلك النبي
يدخلون الفارس ويفتح لهم ويأخذون المدائن من ساسان ثم
بكى وقيل ما يبكيك فقال اما ابكي وقد بقي من عمري قليلا ولا
ادرك بعثة هذا النبي فرجع عبد المسيح فاخبره الى ساسان فامر
ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوا رأسه وبات ايوان كسرى
وهو منصدع كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم ثم شرع الحب
العلامة الثانية والآية الواقعة في يوم ولادته فقال وبات ايوان
كسرى اه بات يجي لمعنيين الاول الفعل في الليل يقال بات يفعل كذا اي
فعله في الليل والثاني بمعنى صار سواء كان في الليل او في اليوم وهذا عام
كما ان الاول خاص ويجوز هنا كلا معنييه والجملة معطوف على جملة تولى
والعائد محذوف اي بات فيه فليتأمل والايوان بكسر الهمزة اسم معرب
لسقف لا يكون لجانب مقتعر جدار وهمزته اصلية اذ لو كانت زائدة
لانقلبت الواو يا كما انقلبت في ايام فعلمت بهذا ان ايوانا مثل ديوان
وزنها فعال والاصل فيها اووان ودوان فقلبت الواو الاولى بالكسرة
ما قبلها كراهية التضعيف وكسرى معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك
العجم ويجمع على اكاسرة وكما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم والنجاشي
لمن يملك الحبشة وخاقان لمن يملك الترك وفرعون لمن يملك المصر وتبع لمن
يملك اليمن والواو في وهو حالية والضمير راجع الى الايوان ومنصدع اسم فاعل
من الانصداع بمعنى الانهدام والتفرقة ان روي ان سليمان بنى ذلك الايوان

في تسعين

في تسعين سنة وطينها بماء الذهب ونقشها بالزبرجد واللؤلؤ وبكل جوهر عظيم
القيمة فلما كان ليلة ولدت عليه السلام اهتزت ارتج ذلك فسقط
اربعة عشر شرفة من شرفاته وما بقي الا ثمان شرفات وفي
سقوط اربعة عشر شرفة اشارة الى انه يملك منهم ملوك بعدد الشرفات
وقوله كشمل اصحاب دفع لما يتوهم ان يقال من انه هل بني بعد
انهدامه كالاول ام بقي في انهدامه فقال كشمل اصحاب كسرى
يعني كما ان اصحابه تفرقوا وما جمعوا كذلك ذلك الديوان تفرق
وما جمع وما بني بعد انهدامه ويكون كشمل في التركيب ظرف مستقر
حالا ولك ان تجعل صفة مصدر محذوف اي وهو منصدع انصداعا
كشمل اه وعلى كلا التقديرين يكون قوله كشمل اصحاب كسرى
من قبيل التكملة والاحتراس كما لا يخفى على من له من علم المعاني
ادنى اطلاع والشمل من الاضداد وهو هنا بمعنى التفرقة وقوله
اصحاب كسرى فان قلت اللازم ان يقول اصحابه بالضمير الى الايوان
فما فائدة الاظهار مقام الاضمار قلت فائدته تقرير في الذهن ودفع
توهم رجوع الضمير الى الايوان ويمكن الجواب بالتغاير بين الكسرى الاول
والثاني فلا يكون من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير ويؤيده ما قاله
بعضهم من ان في هذا البيت اشارة الى قصتين حيث اشير في المصراع الاولى
الى سقوط ايوان كسرى اعني ساسان وخرابه وفي الثاني اشارة
الى ما روي ان كسرى الذي هو يزدجرد بن شهريار وهو اخر الاكاسرة
وقد ملك الفرس كلها جعل رستم المشهور في الشجاعة صاحب الجيش ورأسهم

و وهب اليه جميع خزائنه وقال له خذ من السلاح والذهب والفضة ما شئت
وارفع شر العرب عني فذهب رستم من بلاد خراسان بمائة الف رجل الى وادي
العراق وتبعه جميع اهل الذمة ونقضوا العهد وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله
تعالى عنه فوجه عمر رضي الله تعالى عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن ابي وقاص
صاحب الجيش وامر الى جيش الذي كان في العراق اولا ان يتابعوا الى سعد
فلحق السعد مع العساكر الى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال بن
علقمة التيمي رستما فتوجه اليه فرماه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين
الف درهم سوى قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزمت الفرس فنهض السعد
خلفهم يفرق شملهم ويفل حزبهم ولم يشتعل بعد ذلك شمله فوصل الى المسلمين مغانم
كثيرة روي انهم اخذوا اعلام الكفار وذهبوا به مع المغانم الى عمر رضي الله تعالى عنه
فقسم بين المسلمين فاصاب منه الى سهم علي كرم الله وجهه شبرا فباعه بعشرين الف دينار

والنار خامدة الانفاس من اسف عليه والنهر ساهي العين من سدم

ثم شرع الى بيان الثالثة والرابعة فقال والنار خامدة الانفاس من اسفه
الواو عاطفة والجملة معطوفة على الجملة السابقة ولا بد فيه من قيد ايضا ولا يرد
ان هذه الجملة اسمية والاولى فعلية فلا يحسن عطفها عليها لكون كل واحد منهما
في تأويل المفرد وتقديره فح لا يضر العطف كما لا يخفى وخامدة من الخمود وهو
انقطاع شعلة النار مع بقاء جمرها والانفاس جمع نفس وهو بالفتح ما يدوم
ببقائه الحيوان والمراد ههنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بان شبه شعلة النار
بنفس الحيوان في كونهما سببا للدوام واستعير الانفاس لشعلة النار فذكر الانفاس
واريد الشعلة والقرينة على هذه الاستعارة ايقاع الخامدة على الانفاس
هذا مبني على ان يكون النار حقيقتها ويجوز ان يراد من النار الكفار مجازا واستعارة

بان شبه

بان شبه الكفار بالنار في اهلاك من قرب منه فاستعير النار للكفار فذكر النار
واريد الكفار فعلى هذا يكون الخمود تجريدا والانفاس تخييلا والاسف ترشيحا
وقوله من اسف متعلق بخامدة والاسف بمعنى الحزن كما في قوله تعالى حكاية
يا اسفى على يوسف وعليه متعلق باسف والضمير اما راجع الى النار فيكون
المعنى ان نار المجوس في يوم الميلاد قد خمدت شعلتها من اسفها على نفسها وبقائها
بين الكفار وكونها معبودا لهم واما راجع الى يوم الميلاد فيكون المعنى ان نار المجوس
كانت مشتاقة الى جماله صلى الله عليه وسلم فتأسف من فراقه وعدم وصاله
اليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفى لهبها واما راجع الى الفرس الذين
عاودوا اليها باحراقها دائما وعدم اطفائها اصلا فيكون المعنى ان نار المجوس
قد خمدت شعلتها لتأسفه وحزنه على عونته لانهم تفرقوا في هذا ولم يجمعوا
بعده ابدا وقوله والنهر عطف على النار والمراد من النهر ماء الفرات فذكر المحل
واريد الحال وساهي العين بالرفع خبر المبتدأ اعني والنهر والساهي بمعنى الغافل
والعين من الالفاظ المشتركة يجيء لمعان كثيرة والمراد ههنا منبع الماء من سدم
متعلق بالساهي ومن اجلية والسدم الحزن والندامة وفي بعض النسخ من الندم
بالنون ولا بد من تقدير عليه في هذه الجملة بقرينة سياقه في ضميره عليه المقدر
يجري ايضا احتمالات ثلثة بان يرجع ضميره الى النهر ويكون المعنى ان نهر الفرات
قد غفل لجراه السابق وافرط في خروج الماء فجاوز عينه في يوم الميلاد للتأسف
على نفسه اي لبعده عنه عليه السلام وبقائه في ارض بعيدة او يرجع الى يوم الميلاد
والمعنى ان نهر الفرات كان مشتاقا الى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف في ذلك
اليوم فتأسف من عدم وصوله فبكى فطغى ماؤه فغفل عن جراه السابق او يرجع
الى الفرس لانهم كانوا ذلك الماء اذ كان عين ذلك الماء في بلادهم والمعنى ان ماء

حذمه

الفرات قد تأسف على عونته وحزن منه فعدل عن مجراه السابق فانقطع ماؤه
لان عونته قد تفرق بعد ولادته عليه الصلوة والسلام ثم اعلم ان النهر يجوز فيه
وجوه الاستعارة التي قد سبقت فتذكرها وتنبه لها متن
وساء ساوة ان غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي
ثم شرع الى بيان العلامة الخامسة فقال وساء ساوة ان غاضت بحيرتها الواو
للعطف والجملة معطوف على قريبها او بعيدها فلا تنس من تقدير فيه ههنا
ايضا وساء اما لازم بمعنى حزن او متعد بمعنى احزن والانسب الثاني وساوة اسم
عظيم والمراد من ساوة اهلها اما بطريق المجاز المرسل بان يكون من قبيل ذكر المحل
وارادة الحال او بطريق المجاز الحذفي كقوله تعالى واسئل القرية وهي غير منصرف لكونها
مؤنثا وعلما ثم ان ساء ان كان لازما يكون ساوة بالرفع فاعلا له وان متعديا يكون
بالنصب مفعوله وفاعله قوله ان غاضت وغاض بمعنى غاب يقال غاض الماء
اذا غاب وبحيرتها بالرفع فاعل غاضت والضمير الى ساوة والبحيرة اسم لبحيرة
عظيمة في مملكة عراق العجم بين همدان وقم وتركب فيها السفن ويسافر الى حولها
من البلاد مثل مزدغان وآوة وما جاوز ذلك وكانت اكثر من ستة فراسخ
وكان ماؤها لطيفا لا يشابه مثله سائر البحار وكان في اطرافها كنائس كثيرة
واسواق عظيمة وكان الكفار يروجون كفرهم عندها وقيل كانوا يعبدونها
فلما ولد رسول الله الماحي جميع طرق الكفر بالكلية غاب ماء تلك البحيرة ثم اعلم
ان في البحيرة ايضا مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وفي اضافتها الى الضمير الراجع
الى ساوة احترازا عن بحيرة طبرية فانه كانت ايضا على حوالي بحرها كنائس
معتبرة منقوشة بالذهب فغاب وقت ميلاده عليه السلام وكان غيبوبة
ذلك الماء سببا لخرابها واما ساوة فلم تكن خربة بل بنى اهلها في موضع البحيرة مدينة
عظيمة

عظيمة وهي باقية الان كذا رأيت في رسالة مصنفة في مولده
عليه السلام وقوله ورد على بناء المفعول والواو اما للحال او للعطف
فالجملة معطوفة على غاضت والمعنى واحزن اهل ساوة ان
رداه ولا يجوز ان يكون معطوفة على ساء والا يلزم ان يكون قوله
ورد بيانا للعلامة مستقلة لوقت مولوده عليه السلام ولا يكون
من تتمة الاولى وهو باطل ومن قال انها معطوفة على جملة
ساء فقد اساء فتدبر ورد بمعنى رجع وانصرف وقوله واردها
بالرفع نائب فاعل لرد والضمير راجع الى البحيرة والوارد بمعنى الذاهب
لاخذ الماء وقوله بالغيظ متعلق برد اي بالغضب وقيل ان الذاهب
الى ماء البحيرة لياخذ الماء ويذهب به الى بيته جاء الى البحيرة فرأى انقطع
ماؤها فرد عنه وانصرف بالغضب حيث كان في يديه كوبان فلما رأى
انقطاع الماء ضرب احدهما على الآخر فكسرهما ومن ظمي ظرف للوارد او
لرد وظمي اصله ظمئ اي عطش فحذف همزته لضرورة الشعر كَأَنَّ بِالنَّارِ
مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ * لما اراد الناظم
افهام تكملة البيتين السابقين قال كان بالنار الخ فالمصراع الاول
تكملة للبيت الاخير والثاني للاول وكان من الحروف المشبهة بالفعل
وبالنار ظرف مستقر خبر كان متعلق بحصل المقدر اي كانه حصل
بالنار والمراد من النار نار المجوس وما موصولة وبالماء متعلق بمقدر
اي ما حصل بالماء ومن بلل بيان لما والمراد من الماء ماء ساوة والمعنى ان
اهل ساوة ظنوا ان الماء الذي عبدوه قد انقطع ويبس وصار
بحالة كانه كان موضع ذلك الماء موقد نار وكان البلل الذي حصل

بالماء ببس بالنار ولما كان هذا الظن بعيدا عن الاذعان علله
بقوله حزنا اى لاجل حزن وقع فيهم يظنون مثل هذا الظن وقوله وبا
الماء الواو عاطفة وبالنار معطوف على بالنار وما بالنار عطف على ما با
بالماء من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولها عامل واحد وهو كان
ومن حزنهم بيان لما والضرم التهاب النار واشتعالها والالف واللام فى
بالنار للعهد اى نار المجوس التى لم تخمد الف عام ومعنى هذا المصراع
ان عبدة النار كانوا محزونين حتى ظنوا انه وقع فى موقع نارهم بلل حاصل
بالماء فائدة قال فى تفسير روح البيان ان اول من عبد النار قابيل حيث
لما قتل اخاه هابيل نفاه ادم عليه السلام بامر الله الى ارض اليمن فخرج
مع اختها اليها فجاء الشيطان فقال انما اكل النار قربان هابيل وذلك لانه
كان يعبد النار فاصطنع انت ايضا نارا واعبدها فاصطنع النار وعبدها
فتبع اليه بعض الانام من اولاده واولاد اولاده واولاد اولاده والى يوم القيام
والجن تهتف والانوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم
ثم شرع الى بيان العلامة السادسة والسابعة فقال والجن
تهتف الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها او الواو
حالية والجن مقابل الانس وهو جوهر نارى يتشكل باشكال
مختلفة وانما سموا به لكونهم فى الستر عن اعين الناس والجن
فى اللغة بمعنى الستر قالوا ان كونهم مستورين عن اعين الناس
من نعم الله علينا وكذا استتار الملائكة اما الجن فلكونهم فى صورة
قبيحة غاية القبح حتى لو رأيهم احد من الناس يموت او
يزال عقله واما الملائكة فلكونهم فى غاية الحسن والجمال حتى لو

رأيهم

مطلب فى اصناف الجن

رأيهم على صورتهم الملائكة احد لزال عقله او يموت فلا يستعد
موصلة الانسان رؤيتهما ثم اعلم انه روى ان الجن ثلثة
اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهوى وصنف فى صورة الحيات
والكلاب وصنف يحلون ويظعنون وقالوا ومن الجن ملل كثيرة
مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام
وفى مسلميهم مبتدعة الاهوى وكلهم مكلفون تهتف اى يصيح ويصوت
ويتكلم بولادته عليه السلام اذ روى ان فى الهوى وارجاء مكة
يسمع اصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام وفى المواهب
مر فى ذلك الوقت جن من المشرق الى المغرب والمشرق الى المغرب يبشرون
بولادته عليه السلام ومن اراد من هتف الجن اخبارهم الكهنة باستراق
السمع فقد بعد عن المرام حيث اشير اليه فى يقولهم وبعدها عاينوا
فى الافق ولو اريد منه ههنا ما سيأتى لزم الاستدراك فتامل فى قيل
ان قوله الجن تهتف جملة اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فيقتضى
ثبوت صوت الجن ودوامه وهو غير ثابت اجيب عنه بان
هذه الجملة لا تدل على الدوام لان خبره فعلية وما يدل عليه
ما كان له صرافة فى الاسمية كما لا يخفى وقوله والانوار ساطعة
بيان لعلامة اخرى فالواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها
والانوار جمع نور وهو جوهر مضئ كما مر وساطعة من السطوع
بمعنى الظهور وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات
ففيه اشارة الى ان نوره عليه السلام باق الى يوم القيام ويرى
ذلك النور من فى قلبه نور وهذه الجملة اشارة الى ما روى فى المواهب

والشفاء من انه روى عن امينة ام رسول الله عليه السلام
انها قالت لما ولدته عليه السلام خرج من فرجي نور اضاء
له قصور الشام قال في اللطائف وخروج هذا النور اشارة الى ان ما
يجيء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة
الشرك قال تعالى وَقَدْ جَآءَكُمْ نُورٌ وَكِتَابٌ الاية واما اضاءة ذلك
النور قصور الشام فهو اشارة الى ما خص الشام من النور بنبوته
فانها دار ملكه انتهى ويجوز ان يكون المراد من الانوار شريعته عليه
السلام على طريق الاستعارة بان يشبه شرايعه بالانوار في دفع
الظلمات والواو في والحق اما عاطفة او حالية والحق ضد الباطل
ويجوز ان يكون المراد منه شانه عليه السلام بان شبه شانه
بالحق في العلو لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ويظهر من الظهور
بمعنى يتجلى ومن معنى من لابتداء الغاية متعلق بيظهر وتنوين
للتعظيم كتنوين كلم والمراد من المعنى معنى القرآن ومن الكلم الفاظه
والمعنى ومن علاماته عليه السلام انه كانت الشرايع ظاهرة
بسبب وجوده من معاني القرآن والفاظه فان معناه دال على
احكام الشريعة والفاظه دال على صدق نبوته لانه معجز غاية الاعجاز
هذا على ان يكون الواو للعطف وان يكون الحق في معناه الحقيقي واما لو كان
الواو للحال بمعنى شانه يكون هذا المصراع بيانا وتفسيرا للمصراع الاول على
اللف والنشر المشوش بان يكون المراد من المعنى نوره عليه السلام ومن كلم كلمة
الحق ويجوز ان يكون المراد من المعنى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة
والكلام طويل لا يليق اتيانه في هذا المختصر

عمو

عموا وصموا فاعلان البشاير لم تسمع وبارقة الانذار لم تشم
لما نشأ من البيت السابق توهم ان يسئل بانه اذا اخبر الجن نبوته ودلت
الانوار على حقيقته هل آمن به قومه ام لا فدفعه فقال عموا وصموا اه لم يؤمن
قومه لكونهم في العمى والصمم فقوله عموا فعل ماض من العمى بمعنى عدم الرؤية
يعني ان الكفار لم يروا الانوار الساطعة والشرايع الرائعة لعمى ابصارهم واطلاق
العمى عليهم مع كونهم اولى الابصار لعدم جريهم بموجب رؤيتهم وصموا كعموا يعني
ان الكفار لم يسمع كلام الجن وتبشيرهم لصممهم اذانهم فقوله عموا ناظر الى قوله فيما به
والانوار ساطعة وقوله صموا ناظر الى قوله والجن تهتف فيكون على سبيل اللف والنشر
المعكوس ويمكن ان يكون البيت ناظرا الى المصراع الثاني في البيت السابق
فيكون عموا ناظرا الى الكلم وصموا الى المعنى كالاول فتامل والفاء في فاعلان
البشاير للتفصيل لانه تفصيل قوله وصموا كما ان قوله وبارقة الانذار تفصيل قوله
عموا على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت الاية والاعلان بمعنى الاظهار والبشاير جمع بشير بمعنى المخبر
بالاخبار السارة في العبارة حذف مضاف اي اعلان اخبار البشاير ولم تسمع
على صيغة التانيث والضمير راجع الى الاعلان لا يقال انه مذكر فلا يصح ارجاع
الضمير اليه لانا نقول انه قد اكتسب التانيث من المضاف على طرز قوله وما حب
الديار شغفن قلبي وقوله وبارقة الانذار عطف على اعلان البشاير وبارقة
من برق بمعنى لمع والتاء فيها للتانيث او للمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف
وفيه استعارة مكنية حيث شبه الانذار في الذهن بالسيف في كونه مخوفا
وادعى للسيف فردان فرد متعارف وفرد غير متعارف وهو الانذار ثم استعير السيف
للفرد الغير المتعارف اعني الانذار ثم ذكر في الخارج المشبه اعني الانذار واريد الانذار

الذى كأنه فرد اغير متعارف للنبيف فى يكون قوله بادقة تخييلاً لهذه الاستعارة ولم تشم
بمعنى لم تنظر ولم تبصر وضميره راجع الى البادقة من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم
بان دينهم المعوج لم يقم ثم فصل قوله عموا وصموا تفصيلاً ثانياً فبين قوله
هموا بهذا البيت فقال من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم اه مع الاشارة الى ان
عدم اتباعهم الرسول عليه السلام من عنادهم وكفرهم لا من جهلهم لان كاهنهم
كان صادقاً ومعتمداً عندهم فعدم تصديقهم اياه من عنادهم فقوله من بعد
متعلق بصموا اولم تسمع او بهما معاً على سبيل التنازع ومن جوز تعلقه بعموا
او بلم تشم فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلاً لصممهم اللهم الا ان يقال
انه جوزه بعد ربط البيت الثانى كما لا يخفى وما مصدرية والاقوام جمع قوم وقد سبق
تفصيله وهو بالنصب مفعول اخبر وكاهنهم بالرفع فاعله وهو من يبتدع القول
ويخبر عما سيكون من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية
الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون
هذين الصناعتين مبنيين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى
عرافاً او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد قالوا هذا فى حق
من اعتقد صدق العراف والكاهن واما من سألهم للاستهزاء بهم او لتكذيبهم
فلا يلحقه ما ذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم يقبل عنه
صلوة اربعين يوم وليلة قال ابن الملك الاليق لى فى التوفيق ان يقال مصدق
الكاهن يكون كافراً اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم
من الله او ان الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلا يكون
كافراً انتهى فظهر مما ذكرنا فساد ما قيل وتصديق الكاهن فيما اخبره
من المغيبات كفر على اخلاقه فتدبر بان دينهم متعلق باخبر والدين فى اللغة

الاطاعة

وهو الخادم من شيخ زاده

الكاهن من هو

80

الاطاعة والجزاء وهنا بمعنى الطريق والمعوج بالنصب صفة دينهم وهو اسم
مفعول من الاعوجاج وهو يستعمل فى المحسوسات والمعقولات فان استعمل فى الاولى
يكون بمعنى عدم الاستقامة وان فى الثانية يكون بمعنى ما لا ينبغى ولم يقم بمعنى لم يدم
وفى المواهب وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يهودى قد سكن بمكة
فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله عليه السلام قال يا معشر قريش
هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة
نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله
بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودى
العلامة خر مغشياً عليه فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش
اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب انتهى
وامثاله كثيرة شايعة بين الانام وتفصيلها لا يحتمل المقام وبعد ما عاينوا فى الافق
من شهب منقضة وفق ما فى الارض من صنم ثم شرع الى بيان التفصيل الثانى
لقوله عموا فقال وبعد ما عاينوا اه مع الاشارة فى المصراع الثانى الى علامة اخرى
فى يوم ولادته عليه السلام الواو عاطفة وبعد عطف على محل من بعد وما مصدرية
وعاينوا ماض من المعاينة بمعنى المكاشفة التامة وفى الافق متعلق بعاينوا
والافق بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء ومن شهب بيان لما والشهب
بضمتين جمع شهاب وهو شعلة النار او بمعنى الكوكب لانه فسر قوله تعالى
فاتبعه شهاب بشعلة نار وبنجم كما لا يخفى وقوله منقضة يجوز فيه الاحوال الثلثة
بالجر على انه صفة شهب وهو الاظهر والنصب على انه حال منه والرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف وهو اسم مفعول من الانقضاض بمعنى سقط روى ان الله اذا قضى
امراً لا يسمعه حملة العرش فيجمعوا فيسبح من تحتهم الى سماء الدنيا فيقولون

ثم تتبعهم فيستخبرون حتى ينتهي الخبر الى سماء الدنيا فيختطف ويلقيه الشياطين
ثم يأتون به الكهنة على الارض فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيكذبون
وكان ذلك في الجاهلية فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء
وممنوعين من الصعود اليها بنجوم ونيران يرميها الملائكة اليهم فان قيل قوله
تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول
الله عليه السلام وكذا يدل هذا البيت عليه ايضا وقوله تعالى وجعلناها
للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين لتزيين
وزجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان يكون
الفائدة الاخرى حاصلة ايضا اجيب عنه بان ذكر الفائدتين لا يقتضي اقترانهما
بحسب الزمان لم لا يجوز ان يكون المعنى وجعلنا بالحيث يصلح لان نرجم فيها
فان الرجم مصدر سمي به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روي عن جمعة من
المفسرين من ان السما لم يكن تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد خمسمائة عام
فلما بعث محمد منعوا من السما وحرست بالملائكة والشهب وقوله وفق ما
بالنصب صفة مصدر منقضة اي انقضا موافق لانقضاضها في الارض ومن
صنم بيان لما والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن ما كان له جثة من الخشب
والحجر او الفضة وغير ذلك والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن
صنما وهذا القول اشارة الى سقوط اصنام العرب في وقت ولادته عليه
السلام منكوسة حيث كانت لكل احد في داخل البيت صنم فلما ولد رسول الله
عليه السلام سقط كله مكبا على وجهه والتفصيل في الكتب المفصلة
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم من الشياطين يقفوا اثر منهزم
لما بين في البيت السابق انقضاض الشهب اراد ان يفصله ويبين فائدة

انقضاضها

انقضاضها فقال حتى غدى حتى لانتهاء الغاية وغدا بمعنى اعرض
لانه استعمل بعن وغدا اذا استعمل بعن يكون بمعنى الاعراض كصار
وذهب ورغب وطريق الوحي كناية عن السما لان جبرائيل كان
يجيئ بالوحي منه منهزم بالرفع فاعل غدا وهو اسم فاعل من الانهزام
بمعنى الفرار من العدو بسرعة ومن الشياطين صفة منهزم وهو جمع
شيطان وجملة يقفوا حال منه وضميره المستتر راجع الى المنهزم ويقفوا
كنيمو من القفو بمعنى التبعية كقوله ومن يقف اثار الهزبر ينل به
طرائح من الوحوش او هو رائع وقوله اثر بالنصب مفعول يقفوا والاثر
بمعنى العقيب يقال الاثر يدل على السير كالبعرة تدل على البعير يعني
ان الشياطين يصعدون الى السما راكبا بعضهم على بعض فينقض الشهب
قبل ادراكهم الى السما اي يصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم اثر
بعضهم ويدرك الشهب ~~قبل ادراكهم~~ اليهم ولا تخطى ابدا فمنهم من
يحرقه ويجعله رمادا ومنهم من يحرق بعض اجزائه ومنهم من يفسد عقله
لا يقال ان الشيطان من النار فلا يحرق لانا نقول انه ليس من النار الخالصة
كما ان الانسان ليس من التراب الخالص على ان النار القوية اذا استولت
على الضعيفة استهلكتها كما لا يخفى كانهم هربا ابطال ابرهة
او عسكر بالحصى من راحتيه رمي لما كان فرار الشياطين وانهزامهم امرا عجيبا
اراد ان يقرره في اذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الاشارة الى علامة
عجيبة كانت بسبب رسول الله عليه السلام فقال كانهم هربا ابطالا كان
للتشبيه وضميره راجع الى الشياطين وهربا بالنصب حال من اسم كان وهو
بفتحتين الفرار خوفا وابطال بالرفع خبر كان وهو جمع بطل بمعنى الشجعان

والابرهة اسم ملك اليمن رأيس اصحاب الفيل ثم الناظم التحرير فرار الشاطبي من
السماء تابعًا بعضهم اثر بعض بقدر شجعان ملك الابرهة في الانهزام وكونه بسبب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قصته اختلاف فلنذكر ما ذكره بعض المفسرين
وهو الابرهة كان ملك اليمن ذا اتباع كثيرة فركب يومًا مع اصحابه للعيد فرأى عددًا
فقال من هؤلاء وقالوا ان لهم بيتًا في المكة فيزورونها في كل سنة فغضب ابرهة
فارسل اليهم رجالًا حتى منعهم عن سبيلهم فقال لوزيره هل ينبغي ان لا يكون لنا بيت
ويكون الناس زائرين لها وكان العرب يزورون بيتهم في المكة ويأتون اليها
من كل فج عميق فاني اريد ان ابني كنيسة لم يكن مثلها في الدنيا فركب ابرهة مع المهندسين
فخرج الى الصحراء فرأى ارضًا واسعًا فقال لها صنعاء مقدار ثلث ساعات من بلدة
اليمن فامر بالبناء في ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه واتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب
والجواهر ووضعوا فيها كراسي مكللة باللؤلؤ وانواع الجوهر وملؤها باموال النفيسة
ووضع ابرهة فيها رجالًا حافظين خادمين وجعل على حيطانها استارًا منقوشة
بالذهب واللؤلؤ فامر لحفاظها بانه ان اتى احد من اهل الحجاز فاذنوا له بالدخول
لعلهم اذا رأوها تركوا بيتهم وتوجهوا الى كنيستنا ثم مر ستة نفر من اهل الحجاز
الى ارض اليمن للتجارة فقالوا بينهم ان كنيسة ملك اليمن قد شاع فلا نتركها حتى
ننظرها فجاؤا الى بابها فقال الخادمون لهم من انتم قالوا نحن من اهل مكة
فاذن لهم بالدخول فلما نظروا اليها تعجبوا فقال احد من الخادمين لهم اهذا احسن
ام بيتكم قالوا بيتنا احسن واعلى لانكم تفرحون بالجوهر والذهب ونحن لا ننظر
اليها ولكن الكعبة قد بناها نبي الله ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ولها خواص
منها انه ما من احد يأخذ باستارها او بحلقة بابها ويسئل ربها حاجته
الا وقد يجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق واحد من تلك الستة باب الكنيسة

فسلو

نسلو سيوفهم وقتلوا الخادمين كلهم فتغوط كلهم في داخلها ولطخوا بغددتهم
الى حيطانها ثم خرجوا فنفروا الى ارض الحجاز فلما اطلع الابرهة على هذه الاحوال
زال عقله من غضبه فقال لوزيره هيئ لنا الات الحرب فجمعها واحضر عساكر
كثيرة حتى بلغ الى اربعمائة الالف فارسل وزيره وكان معهم اربعين فيلًا ثم ركب
ابرهة وشرط ان يقتل اهل مكة ويحرق البيت فلما وصلوا الى قرب المكة نزلوا فيه
فاستاقوا ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فلما بلغ الخبر الى
عبد المطلب جد النبي عليه السلام لباس نفيسًا وعمامة لطيفة وركب على ابله فتوجه
الى ابرهة فلما بلغ الى الفيل الذي كان اعظم الفيل وكان اسمه محمود وقال جد محمد عليه السلام
نبي اخر الزمان فذهب الفيل فتهقر بأ ووضع وجهه على الارض وتملق اليه فمشى عبد
المطلب حتى بلغ الى سرير ابرهة فدعى الى الله تعالى وقال اللهم يا سميع يا بصير
يا عليم يا خبير انت جعلت نور حبيبك في صلبي بسنة فبحرمة صاحبه لا تخجلني
حقيرًا ولا تجعلني ذليلًا بين يدي الظالمين فوقع الهيبة في قلوبهم فقام ابرهة ونزل
من سريره وقال مرحبا بك يا سلطان المكة يا شيخ الحرم لاي حاجة جئت
فقال انما جئت فان جيوشك قد اخذوا اربعمائة من جملي فانا اطلبها فضحك
ابرهة وقال اني ظننت انك تسئلني الكعبة قال عبد المطلب جملي حسن بصاحب
الكعبة فان لها صاحبا يحفظها ولنا الجمل فالى فامر ابرهة حتى اعطاه جملة
وركب على ابله فجاء الى مكة فاخبر الحال الى اهل مكة وكثرة جيشه فقالوا انا لا نستطيع
بمحاربته فخرجوا فنفروا حتى خلا مكة فجاء عبد المطلب فاخذ حلقة البيت فدعى
وتضرع فوثب النور من جبهته فوقع في الكعبة ونصب الى السماء فلما رأى عبد
المطلب هذه الحال قال يا قوم ارجعوا فقد كفيتم فلا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
فلتفتوا الى السماء فاذا طيور كثيرة نشأت من جانب بحر اليمن ولجمعت

فوق عسكر ابرهة وفی كل طائر ثلثة احجار حجر فی منقاره وحجران فی رجليه
وكل حجر كعدس وعليه مكتوب اسم من يرمی اليه فرمت الطيور تلك الاحجار
فما اصاب احد منهم الا اهلكته فهلك القوم كلهم الا وزير لابرهة فهرب ذلك
الوزير وفی فوقه طير حتی وصل الی ابرهة فحكی الحال فلما اتم فرمی الطير حجره فاصاب
فهلك فلما رای عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل ابی قبيس فاخذ اموالهم وكان
سبب دفع هذه البلية نوره عليه السلام ولذا قال تعالی الم تر كيف فعل الاية من اراد
تفصيل القصة فعليه الرجوع الی قصص الانبيا وقوله او عسكر بالحصی اه تشبيه اخر
واشارة الی معجزة اخری له عليه السلام فعسكر معطوف علی ابطال يعنی ان الشياطين
فی الفرار كعسكر الكفار وبالحصی متعلق برمی المؤخر والحصی احجار صغيرة ومن راحتيه
متعلق ايضا برمی المؤخر وراحتيه بمعنی اكفيه وضميره راجع اليه عليه السلام يعنی ان
الشياطين فی الفرار كعسكر الكفار الذين انهزموا برميه عليه السلام اليهم حصياة
ففروا بلا قرار حيث روی انه لما التقی الجمعان اخذ رسول الله بقبضته من الحصياة
وقال شاهت الوجوه فرميها اليهم فلم يبق احد منهم الا امتلأ عينه بالغبار
والحصياة فانهزموا ففروا فان قلت المشهور والثابت بالاحاديث انه كان تلك
الحصی كفا ويشهد عليه البيت الاتی فكيف يصح ورود فی هذا البيت من راحتيه
بصيغة التثنية اللهم الا ان يقال تثنية الراحتين باعتبار الوقتين فی الغزوتين اعنی
فی البدر كما رواه البخاری وفی الاحد كما رواه مسلم وسيجیء فی تفصيل الغزوتين وفی الحنين

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما   نبذ المسبح من احشاء ملتقم

لما بين العلامات العجيبة التی وقعت قبل بعثته عليه السلام اراد ان يشرع
الحبيان بعض ما وقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال نبذا به بعد
تسبيح ببطنهما اه نبذا مصدر رمی من غير لفظه والتقدير نبذ نبذا ومعنی النبذ

الرمی

الرمی من اليد والباء فی به زائدة لتقوية العمل والضمير راجع الی الحصی فان قيل هذا
زائد لا فائدة فيه لانه قد سبق فی البيت الاول بعينه ففی الاعادة استدراك قلت
لا نم انه لا فائدة فيه كيف واعادته للتاكيد والتقرير علی ان الاول مطلق وهذا
مقيد فلا تكون بعين الاول كما لا يخفی وقوله تسبيح ظرف نبذا او رمی وكان التسبيح
صادرا من الحصياة واختلف فی كيفية ذلك التسبيح وببطنهما متعلق بتسبيح
والباء بمعنی فی او ظرف مستقر علی انه صفة تسبيح ای كائن فی بطنهما وضمير التثنية
راجع الی الراحتين فان قلت الراحة بمعنی باطن اليد فلو رجع هذا الضمير اليها
يلزم استدراك قوله ببطن كما لا يخفی قلت لا نسلم ان الراحة بمعنی باطن اليد
لا مطلق اليد ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون فی ضمير ببطنهما استخدام بان يراد
بمرجعه اعنی الراحتين معنی باطن اليد وبالضمير الراجع اليه مطلق اليد مجازا من
ذكر اللازم وارادة الملزوم او من ذكر الجزء وارادة الكل ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون
اضافة البطن الی الضمير بيانية فتامل وحاصل معنی هذا المصراع ان رسول الله عليه
السلام رمی تلك الحصياة بعد تسبيحها فی راحتيه عليه السلام حيث روی انه عليه
السلام لما قبض اخذ بقبضته من الحصاة بالوحی سبحت فی كفه عليه السلام
وهو يسمع ثم اعطاها ابا بكر فسبحت ايضا فی كفه وهو يسمع ثم اعطاها عمر
فسبحت فی كفه ايضا وهو يسمع ثم اعطاها عثمان ثم اعطاها فسبحت فی كفهما
وهما يسمعان وقد كان مثل ذلك كثيرا ايضا فی سائر اوقاته عليه السلام
كما بين فی كتب المفصلة ثم اتی بتشبيه لذلك الحكم مع الاشارة الی قصة لطيفة
فقال نبذ المسبح اه وهو النصب مفعول رمی والادات محذوف ای كنبذ المسبح
وهو مضاف الی مفعوله وفاعله محذوف ای نبذ الله المسبح والالف واللام
فی المسبح للعهد ای المسبح المعهود وهو يونس النبی عليه السلام ومن متعلق بنبذ

مطلب في قصة يونس عليه السلام

والاحشاء جمع الحشاء وهو بمعنى البطن وجمعه اما على حقيقته لان يونس
النبي عليه السلام كان في بطون ثلثة الاول بطن الحوت الاول والثاني
بطن الحوت الثاني والثالث بطن البحر او من قبيل فقد صغت قلوبكما والملتقم
بمعنى المبتلع والمراد به الحوت ثم نعلم ان التشبيه في النبذ المطلق لا في المنبوذ كما
لا يخفى وحاصل معنى هذا المصراع كرمي الله نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت
الى ساحل البحر بلا شوة وقصته ان يونس عليه السلام بعثه الله تعالى الى قوم
كان مائة الف وسبعين الفا فلم يجب لواحد من قومه واذوه وضربوه وشقوا رأسه
فخرج من المدينة فقال اللهم انزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له
ان الله يقول ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك نعم والا فانا
مرسل اليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم
بالعذاب الى ثلثة ايام فلما جاء ليلة الاربعين خرج يونس من عندهم بغير اذن
ربه فلما اصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا انها مطر فنظروا الى السحاب
فاذا يخرج من اطرافها شرر النار فخافوا وندموا وطلبوا يونس ولم يجدوا فقالوا
لملكهم ان كان يونس غايبا عنا فان الهه لم يغب فاجمع الناس كلهم الى ارض
سهلة فتابوا وتضرعوا وكسروا اصنامهم وقبلوا دين الله وسجدوا له فاستجاب
الله تعالى دعائهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد الى المدينة فلم
يقف على هذه الحال فجاء اليه شيطان في صورة شيخ فقال يونس له من اين
تجيئ قال من المدينة قال على اي حال تركت اهلها قال ابليس تركتهم يطلبون
كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون
قتله فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبوني فذهب مغاضبا الى قومه من غير
وحي من الله فاتى الى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه السلام

فلما

فلما ركبها تحركت السفينة حتى كاد ان يغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص
وعبد ابق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها عبد الابق لا تجري ومن رسمها ايضا ان نقرع
في مثل هذا الحين وقعت عليه القرعة القوه في البحر فساهم اي قارع اهل السفينة
ثلث مرات فوقعت كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين اي من
المقروعين فقام يونس فقال انا الرجل العاصي والعبد الابق فالقوه او القى
نفسه الى البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت اخرى فابتلعت هذا الحوت فنزل به الى
قعر البحر فمكث في بطنه اربعين يوما فنادى في الظلمات الثلثة وسبح الله تعالى فقال
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب الله تعالى دعائه بحرمة
تسبيحه فاخرجه الى ساحل البحر فانبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها ثم
مشى الى قريته فاقبل عليه اهل القرية فاكرموه وعظموه وتمام القصة في قصص الانبياء

اللام للتعليل

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشي اليه على ساق بلا قدم

لما ذكر في البيت الذي قبله معجزته عليه السلام اعني تسبيح الحصى في كفه عليه السلام
انتقل منها الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين المعجزتين اذ كلاهما كانا جمادا
وكلاهما شهدا بنبوته وغير ذلك مما لو تأملت لوجدته فقال جاءت لدعوته
الاشجار اه جاءت اي اتت لدعوته اي وقت كلبه لتشهد على نبوته عليه السلام
كما سيجيئ حكايته والاشجار بالرفع فاعل جاءت وهي جمع شجر قال في اخوان الصفا
في الفرق بين الشجر والنبات والنجم ان الشجر ما هو قائم على ساقه مرتفع في الهوى
يورق في الصيف ويتناثر في الشتاء ويخرج الثمر ولو غير ما كول والنبات ما ينتثر
من الحب والبذر والنجم ما ينبت من غير بذر وينبسط على وجه الارض من الحشايش
والكلاء وكلها ذو طعم ولون ورائحة انتهى والمراد من الشجر هنا شجر النخل وقيل غير
ذلك وساجدة بالنصب حال من الاشجار والسجدة هنا اما على حقيقتها

مطلب الفرق بين الشجر والنبات والنجم

او المراد منها الخضوع والانقياد وكما جاء الركوع بمعنى الخضوع في قوله تعالى يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ولما توهم ان يسئل عن كيفية مجيئها
بانه هل خلق لها قدم ثم جائت بلا قدم دفعه فقال تمشي اليه اه فهذه الجملة
استيناف او حال واليه متعلق به والضمير راجع اليه عليه السلام على ساق متعلق
بتمشي وقوله بلا قدم اما متعلق الى تمشي او ظرف مستقر صفة ساق او حال
عنه وفي المعنى تأكيد كما لا يخفى وفي البيت انواع من خوارق العادة كفهم الخطاب
من النبات مع انها ليست من ذوات الادراك ومجيئها وتحركها وقصدها اليه
وتواضعها لديه ومشيها على ساق وبلا قدم قال العصام المجئ انما حصل من شجرة واحدة
على ما ورد في الاخبار فجمع الاشجار محمول على التكرار يعني تكرار حركتها مع وجود وحدتها
وغفل عما في المواهب والشفاء اذ ذكر في المواهب اخرج الامام احمد عن ابي سفيان
قال جاء الى رسول الله عليه السلام ذات يوم وهو جليس حزين قد خضب
بالدما ضربه بعض اهل مكة فقال له جبرائيل اتحب ان اريك اية فقال نعم فقال
ادع تلك الشجرة التي في وراء الوادي فدعاها فجائت تمشي حتى قامت بين يديه
فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال عليه السلام حسبي
حسبي وعن بريدة جاء اعرابي وسئل عنه عليه السلام اية فقال له قل لتلك
الشجرة ان رسول الله يدعوك فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جائت حتى وقفت بين يدي رسول الله عليه السلام
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في موضعها فاستغرب الحديث وفي حديث جابر ذهب رسول
الله يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتين في شاطئ الوادي فانطلق
فاخذ بغصن من اغصانها وقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى اتى

الشجرة

الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانه ايضا وقال انقادي معي حتى اذا كان
بالمنصف مما بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأما ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا
وامثاله ايضا ذكر في الشفا كانما سطرت سطرا لما كتبت فروعه من بديع الخط في اللقم
لما توهم ان يسئل عن كيفية مشي الاشجار على ساقها بلا قدم اجاب عنه فقال بتشبيه
بليغ كانما سطرت آه فكان للتشبيه وما كافة اي كان الاشجار في مجيئها سطرت
بمعنى كتبت والتاء والضمير للاشجار او لفروعها وسطرا مفعول مطلق له واللام
في لما للتوقيت او للتعليل وما موصولة وكتبت صلته وضمير الموصول محذوف
اي كتبته او كلمة ما مصدرية اي لكتابة الفروع وعلى كل التقدير قوله فروعها
بالرفع فاعل كتبت والفروع بمعنى الاغصان والافنان وضميره للاشجار وقوله
من بديع الخط بيان لما واضافة البديع الى الخط من قبيل اضافة الصفة
الى موصوفها اي الخط البديع بمعنى الخط الحسن وقوله في اللقم متعلق بكتبت
واللقم بفتحتين بمعنى وسط الطريق والمعنى كان الاشجار انتظمت سطور الكتابة
الفروع والاغصان من وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعاني الكثيرة وفي البيت
استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المنتزعة من الشجر واغصانها وانتظامها سطرا
وكتابة فروعها خطا حسنا في وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة
وانتظامه سطور بالمسطار وكتابته بالقلم خطا حسنا على الكاغد وفي تهذيب
البيتين اشارة الى ان المسلمين اولى بالمبادرة لاوامره عليه السلام وهم اولى بان يبقى
على قدوم العبودية والاطاعة حيث لما كانت الاشجار مطيعة منقادة له
عليه السلام فامته اولى بها مثل الغمامة اني سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمي
ثم انتقل من المعجزة السابقة الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين هذه
المعجزة وتلك من وجوه لان الغمامة تسير مع النبي اين سار واطاعته له عليه السلام

والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين واللام للاجتماع

وكذلك الاشجار مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب الى اين امر ولان الغمامة
كانت تظل النبي عليه السلام من حر الشمس كذلك الاشجار كانت تظل النبي
عليه السلام كما روى في الاحاديث الصحيحة انه عليه السلام اذا نام في الصحراء
كان يجيء له الاشجار وتظلله ولان الغمامة سبب لانبات النباتات والاشجار وغير
ذلك فقال مثل الغمامة اه مثل بالنصب على انه صفة مصدر محذوف
اى مجيئا مثل الغمامة او بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى هي اى الاشجار
مثل الغمامة والغمامة بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وضبط العصام حيث
قال الغمامة كالعمامة لانها بكسر المهملة كذا في القاموس والى بفتح الهمزة
بمعنى اين اى الى اى محل سار او بمعنى كيف سار النبي عليه السلام سواء سار راكبا
او ماشيا سريعا او بطيئا وعلى كلا التقديرين فهو ظرف لقوله المؤخر سائرة
وسار بمعنى ذهب وضميره راجع اليه عليه السلام وسائرة اما بالرفع على انه
خبر مبتداء محذوف اى هي سائرة فيكون الجملة بيانا لحال الغمامة او منصوبة على انها
حال من الغمامة وتقيه بمعنى تحفظ وضمير فاعله راجع الى الغمامة وضمير مفعوله
راجع الى النبي عليه السلام والجملة اما حال او استيناف لبيان علة السير فيمكن
ان يرتب ههنا قياس بان يقال الغمامة تسير الى اين سار النبي لان الغمامة
تظلل النبي وتقيه حر وطيس للهجير حمى وكل شيء شانه كذا فهو يسير الى اين سار
النبي ينتج المطلوب وحر وطيس بالنصب مفعول ثان لتقي لكن من قبيل
الحذف والايصال اى من حر وطيس والوطيس التنور لكنه مستعار بمعنى الشمس
حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور في شدة الحر فاستعير التنور للشمس
فذكر التنور واريد الشمس وقوله للهجير اللام للتوقيت وهو ظرف مستقر
صفة لوطيس او ظرف لغو او ظرف لحر والهجير بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر

يقال

يقال الهجير بين البنت والحوض وحمى فعل ماض وسكون آخره عارض في الوقف
وهو صفة لوطيس والحمى بمعنى اشتداد الحر يقال حمى النهار بكسر العين اذا اشتد حره
وحاصل المعنى ان الاشجار ساجدة لديه جائية اليه مثل الغمامة كانت تسير الى اين
سار النبي لكونها حافظة له عن حر الشمس كائنة وقت الزوال الشديدة الحر بعدده
الملك المتعال والبيت اشارة الى قصة بحيرا الراهب وهي انه عليه السلام لما خرج
الى الشام لمصلحة خديجة ارسل الله تعالى على رأسه عليه السلام غمامة بيضاء
لتظلله من حر الشمس حتى وصل العير الى صومعة بحيرا الراهب فنزل العير عندها
تحت شجرة فاخضرت تلك الشجرة مع انها يابسة فخرج الراهب من صومعته
ورأى العير والغمامة التي تظلله فعرف بذلك وقال ليس في تحتها الا نبي
واتخذ ضيافة ودعى اهل العير ليعرف فيهم صاحب تلك الكرامة فذهبوا
باجمعهم وتركوا رسول الله عند اثقالهم لاعتمادهم عليه فنظر الراهب ان الغمامة
لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقي منكم احد في مكانكم فقالوا لا الا
حافظ يحفظ اثقالنا فطلب الراهب منهم ان يأتوا به فاتى به عليه السلام فلما
جاء رسول الله عليه السلام الى تلك الصومعة نظر الراهب الى الغمامة فرآها
واقفا على الباب فدخل وقال يا شاب من اي بلدة انت قال من مكة قال
من اي قبيلة قال من قريش قال ما اسمك قال اسمي محمد فوقع الراهب عليه
وقبل بين عينيه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وسلم واحسن اسلامه
وتمام القصة في كتب التواريخ اقسمت بالقمر المنشق ان له من قلبه نسبة مبرورة القسم
ثم انتقل الى بيان معجزة اخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث
كانت السابقة سماوية وكذا هذه ولانها كانت خاصة لنبينا عليه السلام
وكذا هذه ولانها انقادت عليه السلام فكذا هذه فقال اقسمت بالقمر

قصة عليه السلام مع بحيرا الراهب

اقسمت على صيغة التكلم من القسم بمعنى الحلف لا من الاقسام لعدم مجيئه
وبالقمر متعلق باقسمت فيكون القمر مقسما به فان قلت القسم بغير اسم الله تعالى
لا يجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا انه كفر ان كان باعتقاد انه
حلف يجب البر به وحرام ان كان بدونه وقد قال صلى الله عليه وسلم من حلف
بغير الله فقد اشرك رواه الترمذي وحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه
وعن ابن عباس لان احلف بالله فاثم خير من ان يحلف بغيره كاذبا فابر فكيف
يجوز قسم الناظم التحرير الى القمر قلت الجواب عنه من وجوه اما اولا فبان يقال
في العبارة حذف مضاف اي قسمت برب القمر او خالقه كما قدره اكثر المفسرين
في مثل قوله تعالى والشمس والضحى والليل وغير ذلك واما ثانيا فبان يقال ان
هذا القول وان كان في صورة القسم لكن المراد به القسم لغير الله فان العلماء
اذا ارادوا تاكيد مضمون الكلام وترويجه واظهار صدقه يذكرونه في صورة
القسم لانه اقوى من سائر المؤكدات واسلم وليس الغرض به اليمين الشرعي
واما ثالثا فبان يقال ان الحلف على غير اسم الله انما لا يجوز في مذهب الحنفية
والناظم شافعي المذهب كما سبق فيجوز الحلف على غير الله في مذهبهم ثم ان القمر
يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضي ثلث ليال واما قبله فيقال له الهلال
والمنشق بالكسر صفة القمر وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى الانصداع
وانشقاق القمر باشارته عليه السلام ثابت بالقرآن والاحاديث قال
في المشكاة روي ان اباجهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة
نبينا عليه السلام واو تنفع يوما فيوما شمس شريعته وجعل الناس يؤمنون
به بعثوا الى حبيب بن مالك خليفة الشام مكتوبا وكتبوا فيه اما بعد ليعلم
الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعي ربا واحدا ودينا جديدا

مطلب انشقاق القمر حين طلب حبيب بن مالك

وانه

وانه يسب آلهتنا وكلما قبلناه بالحجة غلب علينا فاليوم ضعف دينك
ودين ابائك فالحق به قبل ان ينتشر دينه فركب حبيب بن مالك ومعه اثنى عشر
الف فارس ونزل بالابطح وخرج لاستقباله ابو جهل وعظماء مكة بالهدايا فاقعده
حبيب عن يمينه وساله عن محمد قال ايها السيد سل بني هاشم فسئل عنهم فقالوا ه
نعرفه بالصدق في صغره ولما بلغ عمره الى اربعين جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا
غير دين ابائنا قال الحبيب احضروا محمدا طوعا او كرها فبعثوا اليه الحاجب
فالخاله عليه السلام ابو بكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله فجاء
الى حضور حبيب وابو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما راى النبي عليه السلام
قام اكراما للنبي عليه السلام فلما جلس رسول الله والنور يتلألأ في وجهه سكت
الالسن ووقع الهيبة على الناس فقال الحبيب يا محمد انت تعلم ان للانبياء كلهم
معجزات الك معجزات فقال عليه السلام ماذا تريد فقال الحبيب اريد ان تغيب
الشمس وتخرج القمر وتنزله الى الارض وتجعله منشقا بنصفين ثم يعود الى السماء
قمرا منيرا فقال عليه السلام ان فعلته اتؤمن بي قال نعم بشرط ان تخبر بما في قلبي
فصعد رسول الله الى جبل ابي قبيس وصلى ركعتين فدعا الى ربه فنزل جبرائيل
فقال ان الله سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وان لحبيب بن مالك
بنت سطيحة يعني ساقطة على قفاها ما لها يدان ورجلان وعينان فاخبره
بان الله قد ردها عليها فنزل رسول الله من الجبل وجبريل في الهوى وصفت
الملائكة صفوفا فاشار باصبعه عليه السلام الى الشمس فركضت حتى غابت
واشتد الظلام وطلع القمر بدرا منيرا فاشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض
ركضا حتى نزل الى الارض فانفلق فلقتين ثم عاد قمرا منيرا ثم عادت الشمس
كما كانت اول مرة ثم قال حبيب بقي عليك الشرط فقال النبي عليه السلام ان لك

ابنة سطيحة ولن الله قد رد جوارها فقال الحبيب قائماً يا اهل مكة لا كفر بعد
الايمان اعلموا انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فقال ابو جهل انؤمن
بهذا الساحر ثم خرج حبيب بن مالك الى الشام مسلماً ودخل قصره فاستقبلت بنته
قائلة اشهد ان لا اله الا الله آه فقال لها يا ابنتى من اين علمت بهذه الكلمات
قالت اتانى آت فى المنام فقال لى ان اباك قد اسلم وان كنت مسلمة ترد عليك اعضائك
سالمة فاسلمت فى منامى فاصبحت كما ترانى وتمام القصة مذكور فى محلها وقوله
ان له بكسر الهمزة لانه وقع فى جواب القسم وله ظرف مستقر خبر ان والضمير راجع
اليه عليه السلام وقوله من قلبه متعلق بنسبة قدم عليه للحصر ومن بمعنى الباء
والنسبة بمعنى المشابهة يعنى للقمر المنشق مشابهة لقلب النبى عليه السلام فى الانشقاق
ومبرورة القسم بالنصب على انه حال من فاعل اقسمت فيكون الالف واللام
عوض عن المضاف اليه اى وانا مصدوق فى قسمى واما صفة للنسبة او حال عنها
فعلى هذا يكون المعنى ان للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف احد على وجود تلك
النسبة يكون باراً فى قسمه وانشقاق قلبه اشارة الى شرح صدره حيث روى مسلم
عن انس ان جبريل اتاه وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه وشق صدره
عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسل فى طست من ذهب ثم لامه ثم اعاده فى مكانه وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مركوز
وما حوى الغار من خير ومن كرم　　وكل طرف من الكفار عنه عمى
لما ذكر بعض معجزاته السابقة الواقعة قبل هجرته عليه السلام اراد ان يبين
بعض المعجزات التى وقعت فى هجرته عليه السلام فقال وما حوى الواو
عاطفة وما حوى مبتدا محذوف الخبر اى ومن جملة معجزاته عليه السلام ما حوى
اى جمع واحاط فى اسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام او عنه

وعن ابى

لا يقال لا يجوز كونها صفة من النسبة لعدم المطابقة بين الصفة والموصوف لانا نقول اضافة المبرورة الى القسم لفظية فلا تكتسب التعريف

وعن ابى بكر رض فان قلت المناسب لهذا المقام ان يقول ومن بدل وما لانهم
قالوا ان من مختص لذوى العقول وما لغيره وقد نص عليه الرسول فى الجادلة بعبد الله
ابن الزبيرى قلت اختيار ما دون من لكونه عبارة ههنا عن الوصف حيث بين
بالخير والكرم وهما غير ذى العقل فيناسبه ما دون من او نقول ان ما ههنا بمعنى
من مجازاً كما قال جمهور المفسرين ان ما قد يستعمل فى ذوى العلم مجازاً كما فى قوله تعالى
والسماء وما بنيها وحوى بمعنى جمع واحاط والغار الالف واللام فيه للعهد والغار بمعنى
الكهف اى الكهف المعهود الذى كان فى جبل ثور فى المكة المكرمة والمراد من الخير الفضائل
ومن الكرم الفضائل او الفعال الجليلة والخصال الجميلة وفى العبارة اما حذف
مضاف اى ذى خير وذى كرم او من باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان
لهما من النبى والولى على طريق اللف والنشر المرتب فالخير المطلق خير البرية والكرم
يراد به افضل الامة قال عليه السلام ما نفعنى مال احد مثل ما نفعنى مال ابى بكر
وقال عليه السلام لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح ايمانه وكل طرف الواو
للحال او استئنافية والطرف بمعنى العين والتنوين للتحقير ومن الكفار اما حال
عن طرف او صفة له والمراد من الكفار الذين تفحصوا رسول الله عليه السلام وعنه متعلق
بعمى المؤخر قدم للوزن وضميره راجع اليه عليه السلام افرده لكونه اصل المتبوع وعمى
اما فعل ماض وهو الاظهر او صفة وحاصل المعنى لما اجتمع اكابر قريش فى دار الندوة
للمشاورة فى الاهانة له عليه السلام تمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم
فقالوا اما ادخلك علينا بغير اذن قال اللعين انا رجل من نجد رايت فيكم
حسن النية والاجتماع لامر حسن فاحببت ان اجلس معكم فقالوا هذا ليس
من اهل التهامة تكلموا لا باس فقال بعضهم احبسوه فى بيت ولا تطعموا له
شراباً ولا طعاماً حتى يهلك قال اللعين بئس الرأى لان له اقارب يجتمعون

مطلب ... عليه السلام

ويأخذونه من ايديكم وقال آخر اخرجوه وغرّبوه من بينكم قال اللعين ايضاً
بئس الرأي لان له لساناً لطيفاً ووجهاً مليحاً والله ليجتمعن خلق كثير ثم
ليأتينكم ويخرجونكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ قال ابو جهل خذوا من كل بطن
شاباً بسيف صارم فيضربوه ضربة حتى يقتل ويتفرق دمه في القبائل قال
اللعين هذا الرأي صواب فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلاً فاخبر جبريل تلك الحال
النبي عليه السلام وامره بالخروج فاقام رسول الله علياً في فراشه فخرج وجاء الى
بيت ابي بكر فذكر الحال فقال اخرج معي قال ابو بكر سمعاً وطاعة فخرجا حتى وصلا
الى باب الغار فدخل اليه ابو بكر اولاً فرأى فيه جحرات فاخرج بردته فمزقه وحشى
تلك الجحرات فبقي ثقبان فسدّهما بعقبه وقال ادخل يا رسول الله فدخل والكفار
جاؤا طالبين رسول الله عليه السلام فلم يجدوه فسألوا علياً فقال لا ادري
فطلبوا اقطار المكة حتى جاؤا الى باب الغار فلم يروهما وسيأتي تفصيل هذه
القصة في الابيات الآتية فالصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما في الغار
من ارم ثم شرع الى بيان تفصيل قوله وما حوى الغار فقال فالصدق في الغار والفاء
للتفصيل والصدق مصدر بمعنى صادق او المصدوق اي الذي اخبر فيه الصدق او ذو الصدق
او على طريق المبالغة وفي الغار خبر مبتدأ فان قيل الظاهر ان يقول فيه لسبق ذكره فلم
عدل الى غير الظاهر قلت اعاد ذكره للاستلذاذ ولئلا يتوهم رجوعه الى الكرم او الى الخير
لا يقال اعادة ذكره لضرورة الوزن لانا نقول ذكره بالضمير لا يخل الوزن ايضاً
بان يقول فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع انه على هذا يكون البيت اسلم لفظاً
واحسن معنى فتأمل والصديق صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق وفي هذا المصراع
اشارة الى قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به الآية وخبر قوله والصديق
محذوف اي كذلك ولم يرما بفتح الياء وكسر الراء من ورم انفه اذا غضب لان
الغضبة

لان الغضبان ينتفخ انفه والجملة حال فيكون المعنى لم يغضبا على القضاء والقدر
بل لم يجئ الى قلبهما اثر وفي بعض الرواية قرآ لم يرما بضم الياء على انه مجهول
يروم من الروم بمعنى الطلب ومن اللطائف انهما مطلوبان وليسا بمطلوبين
بل انهما محبوبان ولكن كانا عن عين الاعداء محجوبين وقيل اصله لم يرمن فهو مفرد
مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى الفتح فابدلت النون الفاً في الوقف كما في قول
امرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فيكون ضميره راجعاً الى الصديق
ويكون الجملة خبراً عنه والمعنى والحال ان الصديق لم ينتفخ من لدغ الحية رجله المباركة
حيث روي ان ابا بكر لما سدّ الثقبين في الغار برجليه المباركتين وكان فيهما حية
فلدغ رجله فشكى الى النبي عليه السلام عن لدغه فاخذ النبي عليه السلام من بزاقه
الشريف فوضع عليه فبرئ باذن الله وارتفع عنه الورم وقرأ بعض الناس لم يريا
على انه تثنية مضارع من الرؤية لكن ردّه شيخ زاده وانا من الداخلين معه وقوله
وهم يقولون الواو حالية والضمير للكفار وجملة يقولون خبر مبتدأ والقول هنا
بمعنى الحكم اعني الكفار يحكمون وما بالغار من ورم مقول القول الكفار وما شابه
بليس والباء في بالغار بمعنى في وهو خبر ما ومن زائدة وارم بالرفع اسم ما وهو بمعنى
الاحد يقال ما في الدار ارم اي احد وحاصل معنى ان رسول الله عليه السلام وابا بكر
دخلا الغار وسكنا فيه راضيين على قدر الله وحكمه غير غاضبين والكفار جاؤا
باب الغار لعلامة الآثار فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روي ان بعضهم
وقفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فيه فصعدوا على الجبل فوق الغار فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا
قال عليه السلام يا ابا بكر ما ظنك باثنين والله ثالثهما ظنوا
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

ثم لما توهم ان يسئل من سبب عدم رؤيتهم بان يقال ما منعهم من الرؤية فقال
مجيبا ظنوا الحمام اه الظن قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأي وقد
يراد به الجانب المرجوح اي الوهم وهو المراد ههنا والحمام طير بالف البيوت قال اخوان
الصفا للحمام خاصة ان يحمل كتابا الى بلد بعيد وهو القائل في طيرانه وذهابه
يا وحشتنا من فرقة الاخوان يا طول الاشواق الى الخلان يا رب رشدنا الى الاوطان
وقال في حلية الكبير اختلف الناس في صوت الحمام هل هو بكاء او غيره ذلك فمنهم من جعله
بكاء وقال انها تبكي على فرخ لها صاده جارح في عهد نوح عليه السلام فما من حمامة
الا وهي تبكي عليه الى يوم القيمة قلت والذي يظهر لهذا الفقير والله اعلم ان ذلك
يختلف باختلاف المسامع فتارة يسمع الخلق فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه
العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى والعنكبوت دويبة تنسج في الهوى وجمع
عناكب والمذكر عنكب وهي اقنع الاشياء فجعل رزقها احرص الاشياء وتبيض
وتحيض واول ما تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا ويكمل صورته
في ثلثة ايام ويقوى على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذي تنسج لا تخرجه
من جوفها بل من خارج جلدها قال في حيوة الحيوان اذا وضع نسج العنكبوت
على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا
دلكت القضة بنسجها جلاؤها والعنكبوت التي تنسج على الخلاء اذا علق على المحموم
يبرأ باذن الله واذا لف في خرقة وعلق على صاحب حمى ربع نفع انتهى وفي جامع
الصغير قال عليه السلام العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه وروى
الثعلبي عن علي ابن ابي طالب انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت
فان تركه في البيوت يورث الفقر وفي الحلية نسجت العنكبوت مرتين
مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبي عليه السلام

في الغار

في الغار وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله ان النبي عليه السلام سئل
عن الممسوخ فقال هم ثلثة عشر الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث والضب
والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والارنب وسهيل وزهرة والجريث
قال في الزبدة نهى عليه السلام عن قتل العنكبوت والحمام الكائنين في الحرم وعلى خير
البرية متعلق بالفعلين الاتيين على سبيل التنازع والبرية بمعنى المخلوق والالف
واللام فيه للاستغراق اي جميع المخلوقات وقوله لم تنسج ولم تحم فيه لف ونشر مشوش
لان الاول للثاني والثاني للاول ولم يجعل لم تبض وحاصل المعنى ان الكفار لعدم تنبههم
بالنبي المختار حسبوا ان العنكبوت لم تنسج باب الغار وان الحمامة لم تحم حول الغار
فظنوا ان ليس في الغار دبار ورجعوا من تتبع الاثار وقالوا لو كان في الغار لما كانت
هذه الاثار حتى قال واحد منهم لامية بن خلف ندخل في الغار فقال امية ما تصنع
في الغار وان عليه عنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد سيد الابرار وقاية الله اغنت
عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم لما كان هذا المقام مظنة ان يتوهم
بان الهجرة والاختفاء في الغار غير لائق لشان النبي المختار بل اللائق بشانه ان يلبس
الدروع ويتحصن في قلعة ويجاهد مع الكفار دفعه بقوله وقاية الله اغنتا
مع الاشارة الى ان هذا ابلغ في الاعجاز مع المعاونة معهم لان فيه تنبيها على كونهم
في غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان اوهن البيوت مغلا لهم ومانعا
من مطلوبهم وانهم في غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الاثار كونهم
في الغار ثم ان الوقاية بمعنى الحفظ مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف اي وقاية الله
اياه اعني الرسول عليه السلام واغنت ضميره راجع الى الوقاية اي جعلت الرسول
غنيا عن المضاعفة من الدروع والمضاعفة اسم مفعول من ضاعف يضاعف
والتضعيف ضم شيء الى شيء فان قلت ان الله حفظه وجعله مستغنيا عن اصل

درع في فائدة اتيان المضاعفة قلت في اتيانها اشارة الى شدة الكفار وكثرتهم
بمعنى اشارة الى انه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج الى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة
او نقول ان في البيت سلوكا الى مسلك البرهان وهو ان يذكر الدعوى المشتملة
على دليلها وههنا كذلك حيث كان هذا البيت في تقدير وقاية الله اغنته عن
مضاعفة من الدروع لان وقاية الله اغنته عن درع واحد وكلما اغنى عن مضاعفة
به ينتج المطلوب ومن الدروع حال من المضاعفة وهي جمع درع وهو يلبس في الحرب
وعن عال عطف على عن مضاعفة اي عن مرتفع وعال اصله عالي حذف الياء للضرورة
ويجري القياس السابق في هذا ايضا والاطم بضمتين جمع اطم وهو بمعنى القلعة الحصينة
والمعنى حفظ الملك الجبار نبيه المختار وجعله مستغنيا عن الدروع والاسلحة المتعددة
وعن الحصون العالية المرتفعة وجعل الغار له بقدرته بمنزلة حصن الحصين وصير
نسج العنكبوت في قوة الدرع المتين فان قلت ما الحكمة في هجرته عليه السلام
الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل قلت ان حكمة الله قد اقتضت
انه عليه السلام يتشرف به الاشياء فلو بقي في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه
قد تشرف بمكة اذ كان تشرف مكة بالخليل واسمعيل عليهما السلام فاراد الله
ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت
به حتى اجتمعوا ان الموضع الذي ضم اعضائه الكريمة افضل من جميع البقاع ثم اعلم
ان خاصة هذا البيت انه من كان في ارض مخوف من الوحوش فليقرأ سبعا او تسعا
وليجعل في اطرافه دائرة فان تلك الوحوش لا تضره ولا تدخل جوف الدائرة قال
الاستاد طول الله بقاءه وجعل آخره خيرا من اولاه جربناه مرارا ووجدناه صادقا

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به الا ونلت جوارا منه لم يضم

لما ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى الى بيان حافظيته عليه السلام في الدنيا

فقال

فقال ما سامني الدهر اه سام من السوم بمعنى اذاقة الشدة والمحنة
ومنه قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب وفي بعض النسخ ما ضامني من الضيم
بمعنى الظلم وعلى كلا التقديرين فالمعنى ما ظلمني الدهر فان قلت كيف يسند
الظلم الى الدهر وقد نهى عنه عليه السلام حيث قال لا تسبوا الدهر فان الدهر
هو الله وفي حديث ابي هريرة بلفظ ولا يقولوا خيبة الدهر وفي حديث آخر لا يسب
احدكم الدهر قلت قوله فان الدهر هو الله فيه ثلثة تاويلات الاول ان المراد
بهذا القول اي المدبر للامور والثاني انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر
والثالث التقدير مقلب الدهر وقال بعضهم انه من الاسماء الحسنى وقد وقع
في القران حكاية وما يهلكنا الا الدهر وبالجملة ان النهي عن السب يكون راجعا
الى السب الى فاعله وخالقه ومن اراد البحث على وجه الكمال فعليه الرجوع الى
الباب الثلث والسبعين من الفتوحات للشيخ الاكبر ففي اسناد سام الى الدهر
مجاز اي ما ابتلاني خالق الدهر وقوله ضيما مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير
كون النسخة ما ضامني ومن غير لفظه على تقدير كونه ما سامني ووقع في
بعض النسخ يوما بالنصب على الظرفية والواو في واستجرت حالية واستجرت
من الاستجارة من قولهم استجار فلان من فلان اي طلب الخلاص والنجاة كما في
قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وقيل بمعنى الالتجاء والالتياذ
ويجوز ان يكون الواو للعطف لكن الاول اولى ولا يرد عليه انه يلزم في الماضي
اذا كان حالا من قد وهو غير موجود لانه اعم من الملفوظ والمقدر وههنا
والباء في به اما للسببية او للاستعانة والضمير راجع اليه عليه السلام وفيه
حذف مضاف اي بسبب مدحه عليه السلام والاستثناء مفرغ حذف فيه
المستثنى منه اي ما ظلمني الدهر مع اني ملابس بطلب الخلاص بسبب مدحه

فى حال من الاحوال الا فى حال الوصول والواو فى ونلت لتاكيد اللصوق كما فى
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ونلت بمعنى وصلت
والمراد من الجوار اما على حقيقته بان يراد الجوار فى الدنيا بالمؤلفة به عليه السلام
والمصاحبة معه او يراد بالجوار الاستراحة والخلاص عن فتن الدنيا وهو المناسب
لتعلق منه اليه وضميره راجع الى الضيم وقوله لم يضم صفة جوار وايراده لدفع
توهم ناشى من الاستثنا اذ استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم فدفعه
بقوله لم يضم ثم اعلم ان قوله الا ونلت يجوز ان يكون من قبيل تاكيد المدح
بما يشبه الذم وان لم يتعرض اليه الشارحون بل كونه من هذا القبيل احسن
لانه كدعوى الشيء ببينة لا يخفى على الفطن لا يقال انه لا حكم فى هذا المقام
قبل الاستثنا حتى يكون قبله شيء مشابه للمدح فيؤكد لانا نقول هذا الكلام مبنى
على ما ذهب اليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لان الناظم شافعى كما مر
غير مرة وحاصل المعنى البيت ما اذاقنى الله تعالى فى زمان من الازمان
ضررا من امور الاكوان والحال انى قد التجات اليه الا وقد نلت خلاصا ووجدت
فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه لو كتبه من يريد
السفر فترك المصراع الاول فى داره مع اهله واخذ المصراع الثانى معه
فسافر فهو يصل الى اهله باذن الله تعالى سالما من الافات

ولا التمست غنى الدارين من يده الا استلمت الندى من خير مستلم

لما بين فى البيت السابق حافظيته عليه السلام فى دار الدنيا اراد الترقى غير بيان
حافظيته فى الدارين فقال ولا التمست الواو عاطفة فالجملة معطوفة على جملة
سامنى وتكرير النفى للتاكيد ولا التمست على صيغة التكلم من الالتماس وهو طلب
المساوى من المساوى وهنا منقول بمعنى الطلب مطلقا اما بتجريد او حقيقة وغنى الدنيا

انما

انما يكون بالسعة والكفاية وفى الحديث ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى القلب
ويكون غنى الدنيا ايضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا وغنى الاخرة
انما يكون بالفوز والنجاة عن الجحيم والدخول الى الجنة النعيم ولذا ورد فى الخبر اكثر
اهل الجنة بله اى احمق لانهم يرضون بغنى الاخرة اعنى الجنة ولا يطلبون جمال
الله قال تعالى فى تنزيله والله خير وابقى ومن يده متعلق بالتمست والمراد
من اليد ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل او اليد هنا بمعنى الطرف
والجانب يقال حصل المصلحة من يد فلان اى من طرفه وجانبه وفى الحديث
وهم يد واحد على من سواهم او بمعنى الاحسان ونعمه عليه السلام فيكون ايضا مجازا
من قبيل اطلاق اسم ما هو بمنزلة العلة الفاعلية والقدرية على المعلول
والاستلام بمعنى الاخذ والندى العطاء كما فى قوله ولا فضل فيها للشجاعة
والندى وهو بالنصب مفعول استلمت وخير مستلم كناية عن رسول الله
عليه السلام ومستلم يجوز ان يكون على صيغة اسم الفاعل والمفعول وحاصل معنى البيت
ما طلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من احسانه وانعامه
او من ذاته عليه السلام الا اخذت العطاء ونلت المنى من خير مستلم فكنت
بسببه محفوظا من الافات فى الدنيا ومن البليات فى العقبى عليه الصلوة فى كل صبح ومسى

لا تنكر الوحى من رؤياه ان له قلبا اذا نامت العينان لم ينم

لما بين اوصافه الكاملة اراد ان يشير الى ان المتصف بهذه الصفات والنعوت
لا يستبعد ولا ينكر ان يكون قلبه مربوطا به تعالى لا يفارق فى جميع الليالى والايام
ولو كان عيناه فى المنام فقال لا تنكر الوحى الخ فيكون الاوصاف المذكورة كالعلة
والدليل لهذا البيت فترتيب قياسه هكذا لما كان نبينا عليه السلام متصفا
بهذه الصفات فلا ينبغى انكار الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله

فقوله ان له اه كالعلة للتالى بان يقال لا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لانه
لما كان له قلب اذا نامت العينان لم ينم فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم
احق والتالى مثله ثم ان لا تنكر نهى حاضر من الانكار والخطاب عام لكل من
شأنه ان يخاطب والوحى منصوب على انه مفعول لا تنكر والوحى يجئ فى اللغة
على معان كالاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وفى العرف اعلام الله
تعالى لانبيائه وهو اما ظاهر او باطن اما الظاهر فثلثة الاول ما ثبت بلسان
الملك فوقع فى سمعه بعد علمه بالمبلغ بانه قاطعة والقرآن من هذا القبيل
والثانى ما وضح له باشارة الملك من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام
روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله
واجملوا فى الطلب والثالث ما يبتدى الله لقلبه فى رؤياه او فى عيانه بلا شبهة
بالهام الله تعالى بان اراه بنور من عنده وكل ذلك حجة مطلقا بخلاف الهام
الاولياء فانه لا يجوز ان يكون حجة على غير نفسه وقوله من رؤياه صفة للوحى اتى به
للاحتراز وحيه النبى كان فى عيانه بواسطة الجبريل فانه بديهى متواتر بين
الانام فلا حاجة الى ذكره فى هذا المقام والرؤيا ما رآه الشخص فى منامه
قال القاضى ابو بكر الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى فى قلب العبد النائم
على يدى ملك او شيطان وفى الحديث ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه فى المنام
ثم اعلم ان الرؤيا اما صادقة وهى تبشير يبشره الملك الموكل على الرؤيا بما يسره
من الاخروى او الدنيوى وتحذير يخوفه بما يبعده عن الطاعة وتقرب الى المعصية
والهام يلهمه ما هو نفع محض كالحج والتهجد واما كاذبة وهى ايضا ثلثة
رؤيا همة وهى ما تخيلها فى اليقظة فليس لها اعتبار ورؤيا علة ناشئة من الامرض
فليس لها اعتبار ايضا ورؤيا شيطان وهى اضغاث احلام هذا فى رؤيا

غير الانبياء واما رؤياهم فكلها صادق بل وحى يجب العمل بها وقوله ان له
علة للنهى وضمير راجع اليه عليه السلام وقلبا بالنصب على انه اسم ان
والتنوين للتعظيم وجملة اذا نامت صفة قلبا والضمير الفاعل فى لم ينم راجع
الى القلب وحاصل المعنى لا تنكر ايها المنكر ولا تستغرب ايها المغتر الوحى او بالا
والهام الصحيح الحاصل من رؤياه فى المنام لان له عليه الصلوة والسلام
قلبا عظيما وصدرا كريما اذا نامت عيناه لم ينم قلبه فى رؤياه وفى البيت
تلميح قريب الى قوله عليه السلام ان عينى تنامان ولا ينام قلبى الى قوله عليه
السلام الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
وفى رواية ابى هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا ومن حديث عمر جزء من سبعين
جزءا وعن انس جزء من ستة وعشرين جزءا وفى رواية اربعة وعشرين جزءا وفى
تأويل الرواية الاولى قال بعض اهل العلم ان الله اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر
ثم اوحى فى اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام اجزاء من ستة
واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجئ فتأمل ثم اعلم
ان الحديث الاول اعنى قوله ان عينى اه اعترض عليه بانه مخالف لما وقع فى يوم الوادى
من نومه عليه السلام الى ان طلع الشمس وفوت صلوة الفجر لانه لو كان قلبه غير نائم
لم يفت الصلوة منه عليه السلام واجيب عنه اولا بان الحديث مقيد بغالب
الاوقات فلا ينافى الى ما وقع منه نادرا لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة واظهار
شرع كما قال عليه السلام لو شاء الله لا يقظنا ولكن اراد ان تكون من بعدكم
وثانيا بانه لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس فى قصة الوادى
الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب ولنا اجوبة اخرى
تركناها واعترض على الحديث الثانى اعنى قوله الرؤيا الحسنة اه بان النبوة قد

اشارة الى دفع تخصيص التأويل بالرواية الاولى
دون الاخيرين وهى رواية الاربعين وتخصيص
دون التسعين كما اخرجه ابن عبد البر
اى فى مسلم الحديث

انقطعت بوفاته عليه السلام فلا معنى لكون الرؤيا جزء من النبوة اجيب اولاً بان الرؤيا ان وقعت منه عليه السلام فهو جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز وثانياً بان معنى الحديث جزء من علم النبوة فانها وان انقطعت فعلمها باق وثالثاً بانه عليه السلام لم يرد بانها نبوة باقية بل اراد ان الرؤيا تشبه النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب والتشبيه بشيء لا يستلزم ثبوت وصفه فاحفظ ما تلونا عليك من الكلام فانه ينجيك من اكثر ما كان من الغلط والاوهام والحمد لله المفضل المنعام

فذاك حين بلوغ من نبوته فليس ينكر فيه حال محتلم

لا توهم ان يقال ان رؤياه عليه السلام لو كان وحياً لكان رؤياه التي رآها قبل النبوة وحياً ايضاً مع انه ليس كذلك لان الوحي انما يطلق على ما وقع بعد النبوة والبعثة فدفعه فقال فذاك حين بلوغ اه فالفاء للتفصيل وذا اشارة الى كون رؤياه وحياً فذاك مبتداء خبره محذوف اي واقع حين فحين ظرف لذلك المحذوف والبلوغ بمعنى الوصول وتنوينه عوض عن المضاف اليه اي حين بلوغه عليه السلام والنبوة من النباء بمعنى الخبر والمراد بها هاهنا سفارة بين الله وبين ذوي الالباب لازاحة عللهم ولم يقل من رسالته للاشارة الى ان كون الرؤيا وحياً غير مختص بالرسول بل يوجد في كل من الانبياء او لغير ذلك فافهم والفاء في فليس جزائية وليس بمعنى لا وينكر على صيغة المجهول من الانكار وفيه متعلق بينكر والضمير الى البلوغ الى النبوة وحال محتلم بالرفع على انه نائب فاعل لينكر والمحتلم بفتح اللام بمعنى من يدرك خياله في النوم والمراد به رسول الله عليه السلام او بكسر اللام على انه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل وحاصل معنى البيت ان ذلك الوحي الذي كان في رؤياه في ابتداء نبوته وفي بدء بدور رسالته فليس ينكر في ذلك الزمان وبلوغ ذلك الاوان حال بالغ مبلغ الرجال موصوف باوصاف الكمال من دعوى الوحي في المنام فانه من مقدمات

الوحي الحقيقي له عليه السلام فان قلت لم ابتداء عليه السلام بالوحي المنامي ولم يجئ له وحي ظاهري اولاً قلت لو جاء اليه الملك بالوحي الظاهري بغتة لاحتمل ان لا تتحمله قوى البشرية فبدأ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الانبياء فانهم كانوا يعرفون بنزول الوحي من تعليم كتب الالاف ونبينا عليه السلام لم يتعلم حرفاً من كتب سائر الانبياء المتصفين بالاوصاف عليهم الصلوة عدد الكاف والقاف

تبارك الله ما وحي بمكتسب ولا نبي على غيب بمتهم

لما توهم من البيت السابق ان يسئل لم لم يكن رؤياه في جميع اوقاته وحياً واخر الى سنة الاربعين ولم لم يكتسب رسول الله النبوة في حالة الاولى فدفعه بشير الى ان الوحي والنبوة بمحض عناية الله تعالى لا بالكسب واخبارهم عن المغيبات انما هو باعلام الله تعالى فقال تبارك الله ما وحي اه تبارك الله للتعجب وتبارك من البركة وهو كثرة الخير ومعناه تزايد على كل شيء تعالى وتعاظم عنه في صفاته وافعاله قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة يروى ان صاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسئل ابن المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم واخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف ان الرقيم الكلب وان المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وقيل معنى تبارك دام دواماً ثابتاً لا انتقال ولهذا لا يقال يتبارك مضارعاً لانه للانتقال قال في البرهان ان هذه لفظة لا تستعمل الا لله ولا تستعمل الا بلفظ الماضي انتهى وانما خص ذكره بهذا الموضع لان ما بعده امر عظيم وقوله ما وحي بمكتسب اه اي لم يكن وحي اصلاً في زمان من الازمنة بكسب كاسب لان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء في اي وقت شاء فان قلت لو كان الوحي والنبوة من فضل الله من غير كسب يكون من الصفات الجبلية لا الاختيارية

ولو لم يكن من الصفات الاختيارية لا يكون مدحا فلا يجوز للناظم الفاهم ذكره فى
سلك الاوصاف والامداح قلت المدح قد يتعلق على الغير الاختيارى بناء على ان الحمد
والمدح مترادفان كما هو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل وقوله ولا تبتنى
عطف على وحى وتكرير النفى للتأكيد وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من كان
غير الله لا يعلم الغيب فلا يجوز اخبار الانبياء عن الغيب وقوله على غيب متعلق
بمتهم ولا يرد انه لا يجوز تعلقه اليه لعدم جواز تقديم ما فى حيز الجار عليه لانا نقول
ان هذا فى غير الظرف وفيه يغتفر ما لا يغتفر فى غيره على انه يجوز ان يكون تقديمه
لضرورة الشعر والمتهم على صيغة اسم مفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب وحاصل
معنى البيت تبارك الله وتعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته فسبحان الله لم يكن وحيه
اصلا حاصلا بالاكتساب ولا بتحيل القول والخطاب بل هو موهبة من الله
وعطية من الاله ولا يجوز حمل نبى ثبت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتى
من المغيبات واخبار امور الكائنات فان من كان نبيا لا ينطق عن الهوى
بل ما قوله الا وحى يوحى وفى البيت تلميح الى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا
من ارتضى من رسول الاية وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين على قراءة الظاء
وهو المشهور عند اهل التفسير كما لا يخفى على من ألقى السمع وهو بصير متن
كم ابرأت وصبا باللمس راحته واطلقت اربا من ربقة اللمم
لما استفيد من البيت السابق ان الوحى والبعثة انما هو من فضل الله يؤتيه
من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم ان يسئل سائل عن حكمة البعث
وفائدة الوحى فقال مشيرا الى فائدته كم ابرأت وصبا باللمس الخ يعنى ان الحكمة
والمصلحة فى بعثه عليه السلام ابراء المرضى من مرضهم الباطنى الذى طبه ومعالجته
مخصوص عليه السلام لا سبيل الى حصوله الا من جهته عليه السلام فان
صلاح

صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وباسمائه وصفاته واحكامه وافعاله
وان تكون مؤثرة لرضائه ومحابه مجتنبة ومساخطه ومناهيه وقابلة لاوامره ولا
سبيل الى تلقى ذلك الا من جهة سيدنا محمد عليه السلام وكذا ابراء المرضى من مرضهم
الظاهرى الذى يكون فى ظاهر الجسد وباطنها كما سنذكر ان شاء الله تعالى ثم ان كم
ههنا خبرية لان قائله مخبر ومدخوله خبر بجموعه الاستفهامية لانه بالعكس
فظهر ضعف قول من قال انه استفهامية فالمعنى كثيرا ما ابرأت وهو من الابراء
بمعنى الاراحة والازالة ووصبا يروى بفتح الصاد وكسرها فعلى الاول يكون
بمعنى المرض مطلقا فالمعنى كثيرا ما ابرأت راحته امراض المرضى وعلى الثانى يكون
بمعنى صاحب المرض فالمعنى كثيرا ما ابرأت صواحب المرضى عن امراضهم والباء
فى باللمس سببية متعلق بابرأت وراحته بالرفع فاعل ابرأت والضمير له عليه السلام
والراحة بمعنى داخل الكف فى اصل المعنى كثيرا ما كان المرضى يبرئى من مرضهم بسبب
لمس راحته المباركة المشفية ثم اعلم انه يجوز ان يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقى
كما ثبت فيما روى ان ابا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق
رسول الله عليه السلام ولصقها والصقت كالاول وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح عليه السلام صدره
فثعا فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود تسعى وايضا تفل فى عينى على وكان رمدا
شديدا فاصبح بارئا ومثل ذلك كثير وفير ولا يلزم علينا ذكر جميع ما ورد
فى الخبر الشهير ويجوز ان يكون المراد من اليد المستفاد ذاته عليه السلام وباللمس
لمسه المعنوى وهو كونه وسيلة الى دواء المرض وكونه لهم شفاء كما كان دواء
الداء اهل الشفاء وهذا غير مخصوص بزمانه عليه السلام كالاول بل هو
باق الى القيمة لانه لو ارتبط احد قلبه اليه عليه السلام وصلى عليه ودعا الى انه

القائل هو الخادمى

يجعله وسيلة له يكون البتة باذن الله لانه دواء وقد وقع مثله من اكابر العلماء
والاولياء قال فى المواهب نقل عن القشيرى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى
اشرف على الموت اشتد عليه الامر قال فرأيت رسول الله عليه السلام فى المنام
فشكوت اليه ما بولدى فقال اين انت من آيات الشفا فانتبهت فتفكرت فيها
فاذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين
وشفاء لما فى الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل
هو للذين آمنوا هدى وشفاء فكتبتها ثم طلبتها بالماء وسقيته اياه فكانما نشط
من عقال وقال ابو بكر الرازى كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال لى شيخ ان ابا بكر
ابن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى عليه السلام فى المنام وجبرائيل
عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لى النبى عليه السلام قل لابى بكر يدعوا
بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته
فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج ودعاء الكرب ما رواه الشيخان وهو
قوله عليه السلام لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم ويقول هذا الفقير
المعترف بالعجز والتقصير وقع ايضا فى زماننا مثل ما ذكرنا وهو انه كان
لاستادنا العلامة زوجة ابتليت بمرض فى قلبها كانت لا تسكن اصلا
فى كل صباح ومساء الا وتصيح بصوت رفيع حتى سام منها جيرانه
فاخذ الدواء من اطباء كثير وما نفعها فقال لى الاستاد يوما اكتب منا
كتابا الى روضة المصطفى عليه السلام حتى يكون شفيعا لهذا الداء فكتبت
اليه عليه السلام كتابا زينته اولا بالصلوة والسلام ووصفته بكونه
شفيعا

شفيعا لمرض لا يحصى ورجوت فى آخره منه الدواء والاستشفاء لهذا الداء فارسل الاستاد
مع الحجاج الى روضته فحاسبنا ان اليوم الذى وصل الحجاج الى المدينة انقطع صوتها
ومرضها فى بيته فحمدنا الله حمدا كثيرا وقوله واطلقت عطف على ارأت اى
كثيرا ما اطلقت الاطلاق التخلية والعفو والاخلاص عن القيد والارب بكسر الراء
بمعنى صاحب الاحتياج وعن ربقة متعلق باطلقت والربقة حبل له عقدة يشد به
البهائم والاثم بفتحتين صغار الذنوب لكن اريد به ههنا مطلق الذنب بقرينة
ان المقام مقام المبالغة ثم انه يجوز ان يكون اضافة الربقة الى الاثم بمعنى اللام
فيكون المعنى كثيرا ما اطلقت راحته عليه السلام صاحب احتياج عن قيد لاجل
ذنبه سواء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا اشارة الى اطلاقه عليه السلام
اسارى الكفار عن رقبتهم حين شدهم المؤمنون فى الغزاة وادعائيا فيكون اشارة
الى ما روى عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله عليه السلام فى صحراء فنادته ظبية
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك
الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال عليه السلام او تفعلين
قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها عليه السلام فانتبه الاعرابى
وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وعند ذلك
ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به الى المشبه اى عن اثم كالربقة يعنى انه عليه السلام
قد اطلق صواحب الحاجات عن اثمه الذى كالربقة يمنع الحيوان عن وصوله الى
مطلوبه كذلك الاثم يمنع الانسان من وصوله الى مطلوبه فيلزم الاطلاق اذ الوصول
الى الحق لا يكون بالقصد والنحو بل لا بد من رفع العصيان والمحو وهو انما يكون به عليه السلام
واحييت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم

لما ذكر تأثير دعائه عليه السلام في الارض شرع في بيان تأثير دعائه في
السماء فقال واحيت السنة الشهباء أو الواو عاطفة والجملة معطوف على
اطلقت واحيت من الاحياء ضد الاماتة والسنة بالنصب مفعول
احيت بمعنى العام والجدب والشهباء بالنصب صفة السنة وهي مؤنث
اشهب وهو الفرس الذي غلب عليه البياض والسنة الشهباء كناية عند
العرب عن السنة التي لا ماء فيها ولا كلاء والمراد باحيائها اثبات النباتات
واحداث نضارتها ففي هذا المقام مجاز واستعارة وهو اما ان يكون
في احيت استعارة تبعية بان شبه تزيين الارض بالنباتات واحداث
واحداث نضارتها بالاحياء في الانتفاع مطلقا ثم استعير الاحياء
تزيين الارض واحداث نضارتها ثم اشتقت من الاحياء احيت
ومن التزيين زينت او من الانبات انبتت فذكر احيت واريد زينت
وانبتت واما ان يكون في السنة الشهباء استعارة بالكناية بان شبه السنة
الشهباء في الذهن بالموتى في عدم الانتفاع ثم استعير الموتى في الذهن
لمفهوم السنة الشهباء وفي الخارج ذكر السنة الشهباء واريد نفسها ثم اثبت
الاحياء الذي هو من ملايم المشبه به للسنة الشهباء فكان استعارة مكنية
وتخييلية وعلى كلا التقديرين يكون اسناد احيت الى دعوته مجازا من اسناد
الشيء الى سببه اذ المحيي والمزين في الحقيقة هو الله تعالى وضمير دعوته راجع
اليه عليه السلام وحكت بمعنى شابهت كما في قوله ظلمناك في تشبيه صدغيك
بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى والضمير المستتر فيه راجع الى السنة
وجعله راجعا الى الدعوة دعوى بلا دليل كما لا يخفى على من له عقل قليل والغرة
بالنصب مفعول حكت والغرة بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس في الاعصر

متعلق

متعلق بحكت والاعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان والدهم بضمتين جمع
ادهم وهو بمعنى الاسود مثل ما في قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم
والاشهب جيء قال له الحجاج لاحملنك على الادهم ثم ان وجه الشبه في تشبيه
السنة بالغرة قلة البياض كما كان الغرة بياضا قليلا في الفرس الاحمر والاسود
كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض اعني قليلة الخلو من النباتات والحسن
والضياء كما لا يخفى على اولي النهى وفي الاعصر الدهم استعارة مكنية وتخييلية
وترشيحية بان شبه السنون الجدبة في الذهن بالفرس في كونهما غير مقبولين
فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين فذكر في الخارج ما يدل على تلك
السنين واريد تلك ثم اثبات الغرة تخييل وذكر ادهم ترشيح والبيت اشارة
الى ما روي عن انس انه قال اصابتنا جدب على عهده عليه السلام
فبينما النبي عليه السلام يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله
هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء
سحابا ولا قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى سار السحاب امثال
الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك
ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى فقام رجل وقال يا رسول الله هدم
البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير
الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي
قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهذه الواقعة مشهورة نابغة معروفة
بعارض جاد او خلت البطاح بها سيبا من اليم او سيلا من العرم
فلما كان احياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة ان يسأل انه هل كان
احياؤه عليه السلام بسبب المطر ام بلا سبب بل بمعجزة اخرى اجاب عنه

زده الخاوی

فقال بعارض جاد اه الباء متعلق باحييت اذ حكت مبرزها واختراعها والعارض بمعنى السحاب وجاد من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذى لا يكون فوقه مطر وضميره المستتر راجع الى العارض فيكون المعنى بسبب سحاب مطر مطرا شديدا لا مطر فوقه ومن لم يكن له خبرة من كتب اللغة جعله من الجودة بضم الجيم وجعل فى العارض استعارة بالكناية او جعل فى جاد استعارة تبعية والقوم صرحوا بانه مهما امكن الحقيقة فى مقام لا يصار فيه الى المجاز فتامل فيه فانه للافهام مجاز راو فى او خلت بمعنى الى خلت من الخيال بمعنى الظن والحسبان وهو على صيغة الخطاب والخطاب عام والابطاح جمع البطح او بطحاء وهو مسيل واسع للماء والمراد او دية المدينة ومكة وحولهما والباء فى بها للسببية متعلق بخلت والضمير راجع الى العارض وتانيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا وسيبا بالنصب مفعول ثان لخلت والسيب على وزن الغيب بمعنى الجرى ومن اليم ظرف مستقر صفة السيب واليم بفتح الياء البحر بالسريانية وقد عربته العرب ويجوز ان يكون السيب بمعنى العطاء قال فى القاموس يقال فاض سيبه على الناس اى عطاؤه فعلى هذا يكون فى اليم استعارة مصرحة فتامل ووقع فى بعض النسخ سيب بالرفع على انه مبتدا وخبره قوله من اليم وكذلك قوله سيلا وهو بمعنى الماء المجتمع الجارى بغتة من كثرة المطر وفى الحديث اللهم انى اعوذ بك من السيل والبعير الصؤل والعرم بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد او اسم وادى بلدة سباء فانه كان يجئ عليهم منها سيل عظيم وعلى كل من التقديرات فالبيت كناية عن كثرة الامطار فى تلك السنة وفى هذا البيت صنعة تلميح الى قصته او لاد سباء وسيل العرم والسباء اسم لحى سموا باسم الاب الاكبر لانهم من اولاد سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانوا فى بلدة يقال لها مارب فى ارض اليمن وكان هناك واد عظيم يقال لها

عرم يجئ منها عليهم سيل عظيم ويهدم ابنيتهم فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة اجتمعت حديدا وحجرا كثيرا فبنت امام تلك الوادى سدا عظيما ووضع انقابا وميازيب فى اعلاه واوسطه واسفله فاتخذ اهل تلك البلدة فى اسفل الوادى من يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة وكانت فى كثرة النعمة والفواكه اية من ايات الله تعالى حتى ان المراة كانت تحمل الزنبيل على راسها وتمر بين الاشجار ولا تحرك شجرا ولا تقطف ثمرا فيمتلاء الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة لبست بسخنة ولم يكن يرى فيها بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء واذا دخل المسافر فيها كان يموت ما عليه من البرغوث والقمل فقد كانت سعادة النشأة الاولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا لا نعرف لله علينا نعمة فارسل الله اليهم ثلثة عشرة رسولا وقيل نبيا فاذكروا لهم نعم الله وقالوا اشكروا لله فلم يسمعوا مواعظهم فسلط الله على سدهم فارة عميا فنقبت احجار ذلك السد وكان الوادى ممتلاء كالبحر فانهدم السد فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا باولادهم واموالهم وفى المثل تفرقوا ايدى سبأ وايادى سباء فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين

دعنى ووصفى ايات له ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم

لما ورد على الناظم الفاهم سؤال ناش مما ذكره من اوصافه ومعجزاته بانه لا حاجة الى بيانك بتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس فى الظهور فلا حاجة الى تعريف الشمس اجاب عنه فقال دعنى اه دع امر من ودع يدع بمعنى اتركنى ووصفى مفعول معه من ودع اى وصفى والوصف بمعنى اصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مضاف الى فاعله ومفعوله ايات وهى جمع اية بمعنى العلامات والمعجزات وقوله له اما متعلق بظهرت او ظرف مستقر صفة الايات

يخالف ما اورده القاضى فى تفسيره ومحمد بن عيسى صحيحا بعض المفسرين فلا ينكر القصة لانه رواية اخرى انه كانت علبهما السلام

او متعلق بوصفی والضمیر راجع الیه علیه السلام ای لاثبات حقیقة محمد علیه السلام
والضمیر المستتر فی ظهرت راجع الی الایات وقوله ظهور بالنصب مصدر
نوعی لظهرت والقری بکسر القاف والقصر بمعنی الضیافة والعلم بفتحتین
بمعنی الجبل کما فی قوله وان صخرا لتأتم الهداة به کانه علم فی راسه نار
ولیلا ظرف لظهور وعلی متعلق ایضا له وکان من عادة سخاء العرب ایقاد النار
فی راس الجبل لیراها ابناء السبیل ویأتون الیه ویقضون عنده حاجتهم
من الاکل والشرب وغیر ذلک وتشبیه الایات بها فی الظهور والاعلان
کما لا یخفی علی اهل الاذعان وحاصل معنی البیت لو کنت ایها الناصح بالاختصار
فی الکلام لانه ینجر الی الملال والسام فان ذکر الحبیب لا یشبع منه اللبیب تخلینی مع
وصفی له علیه السلام بایات بینات وعلامات واضحات ظهرت وکشفت
ظهورا بینا فی الافاق فی وقت ظلمة الجهل بمحاسن الاخلاق مثل شعاع نار الضیافة
علی رؤس الجبال للعلامة فی اللیل التی کان ظلمته فی غایة الکمال لحضور المحتاجین ووصول
المشتاقین من ابناء السبیل والمسافرین ودفع احتیاجهم من الکرام والحمد لله الملک العلام

فالدر یزداد حسنا وهو منتظم ولیس ینقص قدرا غیر منتظم

لما کان الدعوی المستفادة من قوله دعنی اه ای یلزم لک ترکی مع بیانی او صافه
وایاته وعدم السؤال عنی مجردة اراد ان یعللها ویثبتها فقال فالدر اه والفاء
للتعلیل فیمکن ان یرتب ههنا قیاس بان یقال یلزم لک ترکی مع بیانی ایاته لانه
یلزم لک ترکه من بینها بالحسن والشرف وانا ابینها بالحسن والشرف ینتج
یلزم لک ترکی مع بیانی ایاته والکبری نظریة فبینها بقوله فالدر ای نقول
انا ابین تلک الایات بالحسن والشرف لانه لما کان ایاته کالدر الذی یزداد
حسنه وهو منتظم ولیس ینقص قدرا غیر منتظم وکنت ناظما لتلک الایات

فانا

فانا ابینها بالحسن والشرف لکن المقدم حق والتالی مثله ثم اعلم ان الدر مبتداء
هو اللؤلؤ المخرج من صدفه وجملة یزداد خبر المبتداء وحسنا تمییز من نسبة یزداد
والواو فی وهو للحال فالمبتداء مع خبره جملة والجملة حال عن فاعل یزداد ومنتظم
علی صیغة اسم الفاعل من انتظم بمعنی جمع اللؤلؤ فی السلک فغیبه بجرید کما لا یخفی
وحاصل المعنی ان ایاته کالدر اذ الدر یزداد حسنها بالانتظام کذلک معجزاته
علیه السلام یزید حسنها بالانتظام وجعلها ابیاتا اذ الناظم لباس الکلام
فکما ان المحبوب یزید حسنه بلباس فاخر کذلک الکلام یزید حسنه بلبسه نظما ولان
فی الشعر حکمة کما ورد فی الحدیث ولان النظم اقرب الی الحفظ ولان فی قراءة الابیات
یحصل للقلوب سرور ونشاط وقوله ولیس ینقص اه دفع توهم نشأ من الکلام السابق
من انه لا حسن لبیان وصفه علیه السلام بغیر النظم فالواو للحال وضمیر ینقص راجع
الی الدر المراد منه الایات وحسنا تمییز من فاعل ینقص والمعنی والحال ان ایاته
صلی الله علیه وسلم لا ینقص حسنها بابیانها بلا نظم اذ الشرف والحسن فی اصلها
فبالنظم یزید حسنها علی وجه الکمال وبلا نظم یبقی فی اصل حسنها بلا زوال

فما تطاول امال المدیح الی ما فیه من کرم الاخلاق والشیم

لما نشأ من البیت السابق من مدح نظمه تزکیة نفسه وایهام ارادة جمیع مدائحه
علیه السلام مع انها لا تعد ولا تحصی بالمداد والاقلام اراد دفعه فقال فما تطاول
امال اه کلمة ما للاستفهام الانکاری او التعجبی وتطاول ای مد عنقه مریدا
للاطلاع علیه والامال جمع امل وهو الرجاء والمدیح اما بمعنی المادح فالمعنی فما
عجبا او کان بعیدا تطاول رجاء المادح الی اوصافه علیه السلام او بمعنی الممدوح
فیکون اضافة الامال الیه بحذف المضاف ای امال اصحاب الممدوح وهم المداح
فالمعنی فما عجبا او کان بعیدا تطاول امال مداح الممدوح الی اوصافه علیه السلام

والى متعلق بتطاول وما موصول وفيه ظرف مستقر صلته ومن بيانية واضافة
الكرم للاخلاق من اضافة الصفة الى الموصوف اى الاخلاق الكريمة والمراد من الاخلاق
الخصال الكسبية والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق والعادة
والمراد بها الاخلاق الصادرة الوهبية ومآل البيت بيان عجزه عن عد اوصافه
عليه السلام وبيان كثرة آياته **ايات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة**
الموصوف بالقدم لما بين فى الابيات السابقة كونه واصفا لآياته عليه السلام
ومبينا لها على احسن النظام وتمنى من المخاطب ترك الكلام على حقه بالنوم الملام
فكانه قال قائل له فينبغى ان تبين منها ما هو المشهور والاوضح عند الانام وهو
القرآن الباقى الى يوم القيام فتوجه على قوله فشرع الى البيان فقال ايات حق او ايات
بالرفع خبر مبتداء محذوف اى اظهر المعجزات ايات حق والقرآن ايات حق وغير ذلك
او مبتداء خبره محذوف اى ايات حق منزلة او خبره منزلة او بالنصب على انها عطف
بيان لايات فى قوله دعنى ووصف ايات اى على المدح والايات جمع اية وهى طائفة من
القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها سميت بها لانها علامة على صدق من اتى بها
وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام عما بعدها واضافتها الى الحق بيانية
ان كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت ولامية ان كان مصدرا ويجوز ان يكون
المراد من الحق واجب الوجود تعالى شانه فيكون اسماء تعالى والاضافة ح لامية ايضا
اى الايات المخصوصة للحق تعالى فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسم الرحمن
فان قلت لم اختار الرحمن من بين اسمائه تعالى وهى الغفار والرزاق والعلام
والستار قلت اشارة الى ان فى انزال القرآن رحمة عامة الى جميع الخلائق حتى الكفار
كما لا يخفى ومحدثة بالرفع خبر بعد خبر يعنى ان ايات الله الحقة منزلة محدثة وهى
اسم مفعول من احدث وضميره راجع الى الايات لكن باعتبار الفاظها وهى

الكتوب

المكتوب فى المصاحف المقرو بالالسن المحفوظ فى الصدور وقوله قديمة خبر بعد
خبر الى الايات محدثة قديمة لا يقال هل هذا الا جمع بين النقيضين لانا نقول
الحادث هو الفاظ القرآن والقديم معناه لان الكلام اثنان كلام لفظى وكلام نفسى
كما قال الاخطل ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
فالحادث كلام لفظى والقديم كلام نفسى قائم بذاته تعالى اعلم ان فى كلام الله
تعالى سبعة مذاهب الاول ما ذهب اليه الاشاعرة من ان كلامه اثنان لفظى مكتوب
فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف وصوت بل هو المعنى فقط
وان مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذى هو الكلام النفسى والثانى مذهب ابى
منصور الماتريدى وهو ايضا ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصحف حادث
وكلام نفسى قائم بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط والفرق بين
الاول وبين هذا المذهب انه لا يجوز فى هذا المذهب سمع كلامه النفسى اصلا
بل المسموع هو الكلام اللفظى كذا فى البداية والثالث مذهب بعض المتاخرين
وهو صاحب المواقف ومن تلا تلوه وهو ان كلامه اثنان لفظى مكتوب بالمصحف
محفوظ فى الصدور وهو حادث وكلام نفسى قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن
بلا ترتيب والرابع مذهب الجلال الدوانى من انه اثنان لفظى قائم بالمصحف
والصدور وهو حادث ونفسى قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب
علمى والخامس مذهب الحنابلة من ان كلامه تعالى فى الحقيقة واحد مركب عن حروف
واصوات قديم الى ان قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف فهم ينكرون الكلام
النفسى والسادس مذهب المعتزلة وهو ان كلامه واحد مركب عن حروف
واصوات حادث لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح وفؤاد
جبريل والنبى وشجرة موسى والسابع ما ذهب اليه الكرامية من ان كلام

انما الكلام [illegible]

واحد مركب من الحروف والاصوات حادث لكن قائم به تعالى فالفرق الثلثة
ينكرون الكلام النفسي وتفصيل الكلام في كتب الانام كالبداية والتوحيد
وبحر الكلام والابانة والكفاية والاحكام كما لا يخفى على اولى التبصرة والتذكرة
ففي قول الناظم التحرير محدثة رد على الحنابلة وفي قوله قديمة رد على الكرامية وفي قوله
قديمة مع قوله صفة الموصوف بالقدم رد على المعتزلة كما لا يخفى فقوله صفة
الموصوف خبر بعد خبر وهو في المعنى علة لكون الآيات اي معانيها قديمة فيمكن
ان يرتب هنا قياس بان يقال الآيات اي معانيها قديمة لانها صفة الموصوف
بالقدم وكل شيء شانه كذا فهو قديم ينتج المط ولا يتوهمن ان ما هو صفة الله تعالى
ما كان حادثا لانه مخالف للمشهور فيما بين الاشعري والمنصور لم تقترن بزمان وهي
تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن ارم لما بين ذات الآيات اراد ان يبين
بعضا من معجزاتها واوصافها فقال لم تقترن اه مع مناسبة تامة حيث
جعل قوله لم تقترن علة اخرى لكون الآيات اي معانيها قديمة او علة لكونها
صفة الموصوف بالقدم وهو الظ فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال
الآيات قديمة والآيات صفة الموصوف بالقدم لانها لم تقترن بزمان اه وكل
شيء شانه كذا فهو قديم او صفة الموصوف بالقدم فينتج المط ثم ان جملة
لم تقترن صفة بعد صفة الآيات او حال من فاعل قديمة وهو في المقارنة
وبزمان متعلق بلم تقترن والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم
يقدر به متجدد آخر موهوم وعند الحكماء عبارة عن مقدار حركة فلك الاعظم
ثم اعلم ان الآيات التي لم تقترن بزمان هي معاني الآيات لا الفاظها لان الفاظها
حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التي هي الكلام النفسي لانه صفة
له تعالى والله تعالى وصفاته لا يجري عليه زمان اصلا كما حقق في محله

وقوله

كما قال ... عند طلوع الشمس فان طلوع الشمس ...

وقوله وهي الواو للحال وهي مبتدا وعن المعاد متعلق بتخبر والمعاد مصدر
ميمي او اسم مكان والمراد ههنا الرجوع بعد الفناء واخبار القرآن منه
في مواضع كثيرة كقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي
رميم قل يحييها الذي انشاها الآية قال المفسرون نزلت هذه الآية
في ابي بن خلف خاصم النبي عليه السلام واتاه بعظم قد رم وبلي وفتته
بيده وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا ما رم فقال صلى الله عليه وسلم
نعم يبعثك ويدخلك النار يوم وكقوله تعالى ثم انكم يوم القيمة تبعثون
وقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي
بنانه وقوله افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وغير ذلك وعن عاد عطف
على المعاد اعاد الخافض للنظم اي تخبر الآيات ايضا عن قصة عاد وعاد
قبيلة من العرب في ناحية اليمن كما في قوله تعالى في سورة الانعام والى
عاد اخاهم الآية وغير ذلك من سور القرآن وقصتهم ان عادا انبسطوا
في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء
وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان في اوسطهم وخيرهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا واعتوا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلث
سنين حتى جاعوا وجهدوا وكان عادة الناس في ذلك الوقت اذا نزل عليهم
البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فجهزت عاد
الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا فدخلوا مكة ورئيسهم قيل بن عتر فقال قيل
اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تعالى ثلث سحابات بيضاء
وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال

قصة عاد الاولى

اختوت السوداء فانهن اكثرهن ماء فخرجت تلك السحاب فغشيهم فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود
والمؤمنون معه وقوله وعن ارم عطف على القريب او البعيد والمراد بارم الذى
ذات العماد وهو العاد الثانية فان القران اخبر عن قصته ايضا فى سورة الفجر بقوله
الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وذكر
قصتهم نيسابورى فى تفسير هذه الاية واجماله كان لعاد بن ارم ابنان شداد
وشديد ملكا الدنيا كلها ثم مات شديد فبقى الملك كله لشداد وكان عمره سبعمائة سنة
وكان حريصا على قراءة الكتب فقرأ بوصف الجنة فاستهدت نفسه ووقع فى قلبه ان يبنى
جنة مثل الجنة التى وصفها الله تعالى فارسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة
الهواء خالية عن الاحجار كثيرة المياه والاشجار فساروا فى الارض فوجدوا ارضا مثل
ما وصفها فى ارض عدن فاخبروه بذلك فطلب الشداد من وزرائه اصناف
الجواهر والذهب والفضة فجمعوا مما لا يعد ولا يحصى فبعثها الشداد الى تلك
الارض مع مائة الف رجل من البنائين والمعمار فذهبوا اليها وبنوا اساسها بناء
من ذهب ولبنا من فضة حتى فرغوا من بناء حيطانها فصبوا عمدة من زبرجد
خضراء وياقوت حمراء وبنوا فيها قصورا كثيرة وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة
ومجالس كثيرة ينظر ابواب بعضها الى البعض وجعلوا موضع الملك فى قلعة قصرا
مبنيا من ذهب وكان للملك الف وزير فجعلوا حول الحصن الف قصر لكل وزير قصر
منه وجعلوا فيها اخدود الانهار من الفضة تجرى باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا
من بنائها بثلثمائة سنة ثم اخبر الملك بفراغها فجمع الملك وزرائه واتباعه
والقصاده فساروا اليها فلما دنوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله اليهم صيحة
فاهلكتهم جميعا فلم يبق احد منهم وروى انه لم يدخل الى تلك الجنة الا احد من الانسان

دامت

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم
ثم شرع الى بيان كون الايات فائقة على ايات سائر النبيين والمرسلين
فقال دامت لدينا اه ضمير دامت راجع الى الايات والتقييد بلدينا للاحتراز
عما دام عند الله وقام به فانه باق فى كل زمان لا يتناهى بل لا يجرى عليه زمان
والفاء فى ففاقت فاء النتيجة لما قبلها سبب وعلة له فيمكن ان ترتب ههنا قياس
بان نقول القران فائق على كل معجزة لان القران جاء ودام وكل معجزة من النبيين
جاءت ولم تدم وكلما جاء ودام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم ينتج القران
فائق على كل معجزة وفاقت بمعنى تفوقت وبرعت وكل معجزة بالنصب مفعول فاقت
والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز عن
اتيان مثله اعلم ان ما كان خارقا للعادة ثمانية اقسام لانها اما ان تصدر عن مؤمن
او كافر والاول اما عن النبى فهو اما ان يصدر قبل البعثة فهى الارهاصات مثل ما ظهر
حين ولادته عليه السلام او بعد البعثة وهى المعجزات واما من ولى وهى الكرامات
واما من صالح وهى المعونة واما من فاسق وهى الاستدراج والثانى اما بتعليم وتعلم
وهى السحر واما بلا تعليم وتعلم فان وافق مطلوبه فهى ابتلاء كما وقع من فرعون
ودجال وغيرهما وان لم يوافق فهى الاهانة كما وقع من مسيلمة الكذاب دعا لاعور
بصحة عينه العوراء فاعورت الصحيحة ايضا والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين
على ما فهم من اساليب كلام الناظم فان قلت ان فى النبيين دخل نبينا عليه السلام
ايضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل قلت المراد من النبيين ما سوى نبينا عليه السلام
لانه مستثنى عنهم باستثناء العقلى كما فى قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
واذ للتعليل ولم تدم عطف على جاءت يعنى ان معجزات سائر الانبياء قد انقضت
واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لانه باق الى يوم القيمة

لا يقال انا لا نسلم ان معجزات سائر الانبياء قد جاءت ولم تدم كيف وان الانجيل
باق عند النصارى كما ان التورية باق عند اليهود لانا نقول المراد من الدوام
دوامه بلا تغيير لفظ وتحريف حرف وكلا الفريقان قد غيراهما وبسبب تحريفهم
كانوا كافرين ولو سلم فالمراد دوام حكمه اعني شريعته وكتب سائر الانبياء
قد نسخت بكتابنا وكان الشرع كتبه في عند جميع الملل القرآن لا غيره من الكتب المنزل على
سائر الانبياء **محكمات فما يبقين من شبه لذي شقاق وما يبغين من حكم**
لما بين كون الآيات دائمة الى يوم القيمة بل الى ما لا نهاية شرع الى بيان كونها باقية
في حكمها الاصلي بلا تبديل ولا تغيير فقال محكمات آه وهي بالرفع خبر بعد خبر لآيات
او صفة بعد صفة لها والمحكمات جمع محكم وهو في اللغة بمعنى المتقن المفرد الذي
لا يقبل الانهدام وفي الاصطلاح الاصول ما ظهر المراد منها ولم يحتمل النسخ والتغيير
فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر فان قلت كيف يجوز حمل محكمات على الآيات
لانه يستفاد منه ان جميع الآيات محكم مع ان الاصوليين صرحوا بان بعض القرآن
محكم وبعضه مفسر وبعضه نص وبعضه ظاهر وبعضه خفي وبعضه مشكل وبعضه
مجمل وبعضه متشابه قلنا الحمل باعتبار معناه اللغوي لا الاصطلاحي على انه يجوز
ان يكون في ضمير محكمات استخدام بان يرجع الى الآيات ويراد منها بعضها
فتأمل ثم انه روي عن علي رضي الله عنه انه عليه السلام قال انزل القرآن على
عشرة بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة ومثلا
وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره وانذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه
واقتصر على محكمه ورد متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله
وحرم حرامه فاولئك من المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارث وارث الانبياء قبله ولا يزاله كنفه

تعالى

تعالى وحيثما تلا القرآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة ويحشر في زمرة
وتحت لواء والفاء في فما يبقين تفريعية اي لما كانت الآيات محكمات
فما يبقين آه ويبقين جمع مؤنث من الابقاء بمعنى الدوام ومن زائدة
وشبه جمع شبهة ولذي ظرف مستقر صفة شبه والشقاق بمعنى الخلاف
والمراد من اهل الخلاف من كان مخالفا شرعنا ولا يبغين عطف
على ما يبقين ويبغين بفتح الياء كما انه يبقين بضم الياء وهو من البغي بمعنى
الطلب ومن زائدة والحكم بفتحتين بمعنى الحاكم اي القرآن لا يحتاج الى حاكم
آخر فوقه بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع والقياس
فانهما محتاجان الى احدهما وقرئ بكسر وفتح على انه جمع حكمة فالمعنى ان
القرآن لا يحتاج الى حكم زائدة لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والعلوم والقواعد
مأخوذ منه فلم يكن شيء يشتمل ما لا يشتمل القرآن ثم ان في هذا البيت صنعة
تلميح الى قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام
الكتاب الآية وجناس كامل بين يبقين ويبغين كما لا يخفى على اهل البديع
ما حوربت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادي اليها ملقي السلم
لما بين في البيت السابق ان الآيات قد قطعت شبهة المشتبهين نشأ منه
توهم ان يقال بانه كيف يجوز الحكم بانها قد قطعت شبهة المشتبهين مع ان الفصحاء
والبلغاء كامرئ القيس وغيره قد عارضوا بالقرآن فدفعه بقوله ما حوربت آه
ما نافية وحوربت ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة
بان شبه المعارضة بالمحاربة في مدافعة الخصم ومضرته والاستعداد لم ثم استعير
المحاربة بمفهوم المعارضة ثم اشتق من المعارضة عورضت ومن المحاربة حوربت
فذكر حوربت واريد عورضت والمراد من المعارضة بالقرآن اتيان مثله في البلاغة

والفصاحة وقط ظرف زمان للماضي على سبيل الاستغراق ولا يستعمل الا في النفي والا
للاستثناء والمستثنى منه محذوف اي في حال من الاحوال الا في حال عود الاعادي
فعاد اما من العود بمعنى الرجوع او بمعنى صار وانتقل ومن حرب متعلق بعاد
ومن لابتداء الغاية وحرب بفتحتين بمعنى الغضب والغيظ وقيل هو
لغة في الحرب فيكون بمعنى المحاربة وهي بمعنى المعارضة والاعادي بالرفع تقديرا
فاعل عاد وهو اسم تفضيل من العداوة والاعادي جمع اعداء وهو جمع عدو فاضافة
الدعوى اليها للمبالغة فيكون اشارة الى انه لا يعارض بالقرآن الا من كان في شدة
العداوة والبغضاء واليها متعلق بعاد والضمير راجع الى الايات وفيه حذف
مضاف اي الى حقيتها وملقي السلم بالنصب حال عن فاعل عاد وعلى تقدير
كون عاد بمعنى رجع او بالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار وملقي
اسم فاعل من القى بمعنى منلقيا ومقبلا اليها بالسلم اي السلامة فالمعنى انه
ما عورضت تلك الايات بشيء من كلام الفصحاء ولا طرب احد بمعاد فيها
من العرب العرباء الا ورجع من المحاربة والمعارضة لانها من الفصاحة والبلاغة
اكبر المعاندين واقوى المعارضين حال كونه ملقيا بالسلامة وكان بريئا
من الملامة روي ان وليد بن مغيرة كان بين قريش في غاية الفصاحة فجاء اليه
عليه السلام ذات يوم لقصد المعارضة في البلاغة فقال للنبي عليه السلام اقرأ
علي فقرأ عليه قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
الاية فاعاده صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ما يقول هذا بشر وسكت وقام من المجلس
ولم يقل شيئا غير هذا وحكي عن يحيى ابن حكيم انه رام شيئا من المعارضة بالقرآن
فنظر في سورة الاخلاص ليأتي بمثلها او ينسج بزعمه على منوالها فاعترته

روعة

مطلب في احوال المعارضين بالايات

روعة وهيبة من الله فتاب وعاد من نيته وروي انهم اتوا السورة القارعة
بنظيرة وهي قولهم الفيل ما الفيل وما ادريك ما الفيل له ذنب قصير وخرطوم
طويل ان ذلك من خلق الله للقليل وقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة قولهم
القتل انفى للقتل ثم تفكروا ووجدوا في قولهم نقايص كثيرة فبعد التفكر بهتوا
وسخروا تسخيرا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ردت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجاني عن الحرم

لا يبعد كون الايات تدفع المعارضة بل تعيد اليها اعداءها او ان يبقى ما تدفع
به الخصوم من ارباب البلاغة والعلوم فقال ردت بلاغتها اه ردت بمعنى
منعت ودفعت والبلاغة في اللغة ما ينبئ عن الوصول والانتهاء وفي الاصطلاح
البلاغة في الكلام مطابقته بمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر
بها على تأليف كلام بليغ وضمير بلاغتها راجع الى الايات فالمصدر مضاف
الى فاعله ودعوى بالنصب مفعول ردت والمراد من الدعوى المعارضة باتيان
مثله فالمعارض بمعنى المتصدي لاتيان مثله والضمير للايات ورد بالنصب
صفة مصدر محذوف اي ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد وهو مضاف
الى فاعله والغيور صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوف
محذوف اي رد الرجل الغيور وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يغار وان المؤمن يغار وقد جاء ايضا في الخبر ان الله غيور يحب الغيور
والغيرة في الاصل كراهية مشاركة الغير في حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده
من الاقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج من قلبه يحمله على منع
المحارم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن في بيته ويد الجاني بالنصب
مفعول رد والمراد من اليد التصرف بذكر السبب وارادة المسبب لان اليد سبب

مطلب في تعريف الغيرة
وبيان غيرة الله وغيرة المؤمن

للتصدف وتصرف الجانى عام للفواحش كالزنا واللواطة ومقدماتهما كالتقبيل
او اللمس والنظر والمراد من الجانى من يأتى الجناية لحرم الغير وعن الحرم متعلق
برد والحرم بفتحتين بمعنى محرم الرجل وقرأ بضم الحاء وفتح الراء على انه جمع حرمة
وهى ما يكون فى حرم الرجل وحاصل المعنى ان الآيات ردت بلاغتها وفصاحتها
دعوى معارضيها ومقابليها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية
مد يد الجانى وتصرف الخائن الباغى عن حول حريم حرمه وعن الوصول الى حصول
حرمه ثم اعلم انه حكى ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب المعارضة بالقرآن
ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فمر يوما على مكتب يقرأ فيه صبى قوله
تعالى يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الآية فقال اشهد ان هذا لا يعارض
ابدا وما هو من كلام البشر ومن تفحص كتب الانام فى احاديثه عليه السلام لوجد فيها
كلاما كثيرا يناسب لهذا المقام لها معان كموج البحر مدد وفوق جوهره فى
الحسن والقيم لما بين كون الفاظ القرآن فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة
كان قائلا قال هل كان معانيه مناسبا لهذه الالفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة
بالفصاحة فقال لها معان اه لها خبر مقدم ومعان مبتدأ مؤخر والتنوين
للتكثير والتعظيم والمراد من المعانى المقاصد وما يتضمنه من الحقايق والفوائد
وكموج البحر ظرف مستقر صفة معان والموج مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب
ويقال لكل فرقة ما ارتفع منه وهو ههنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية وفى مدد
متعلق بالكاف فى كموج والمدد بفتحتين بمعنى النصرة والعون فان كل موج فى البحر
يمد موجا آخر وكذلك القرآن يفسر بعضها بعضا ويمد بعضه بعضا وفوق
ظرف مرفوع المحل بالعطف على الكاف فيكون صفة بعد صفة للآيات والتقدير
وللآيات معان كائنات او ثبتت فوق جوهره والجوهر قد مر غير مرة والضمير

للبحر

[illegible]

للبحر وجوهر البحر ما يستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان وفى الحسن متعلق بالزيادة
التى تضمنه لفظ فوق والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة وحاصل المعنى
ان الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر فى الازدياد وعدم الفناء واحكام
جسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان فى الحسن والقيمة كما لا يخفى على اهل العرفان
لان الجواهر وان كانت فى صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت عالية بخلاف الآيات
ومعانيها وعجايبها ومحاسنها ولذا قال بعض اهل الحال لو ظهر حقيقة معانيها
لم تطق سطوات نوره السموات والارض ولذا قال الله تعالى لو انزلنا هذا
القرآن على جبل لرايته خاشعا الآية لكن الله تعالى ستر انوار تلك الحقيقة
بكسوة صورة الحروف ليطيقه القلوب والالسن فكما ان شرف الابدان انما يكون
بشرف الارواح فكذلك شرف الحروف انما هو بشرف معانيها وروى عن
رسول الله عليه السلام ان القرآن لا يشبع منه العلماء قيل لكمال لذته ونهاية
جلاوته ولما فيه من الاسرار والبدايع الغريبة والاساليب المستحسنة والعجايب المستكملة
فلا تعد ولا تحصى عجايبها ولا تسام على الاكثار بالسأم
لما توهم من تشبيه معانى الآيات بموج البحر كون معانيها متناهية اذ موج البحر
متناه مع ان معانى الآيات غير متناهية بالاتفاق اورد دفعه بتفصيل
ما قبله فقال فلا تعد ولا تحصى اه تعد وتحصى كلاهما على صيغة المجهول فالاول
من العد والثانى من الاحصاء والفرق بينهما ان الاول العد واحدا واحدا والثانى
جملة جملة وعجايبها بالرفع جمع عجيب وهو ما يتعجب منه وكذلك العجاب بالتخفيف
والتشديد والاعجوبة وضميرها راجع الى الآيات يعنى ان الآيات لا تعد عجايبها
ولا تحصى غرايبها من العلوم الغريبة والاسرار العجيبة والدقايق اللطيفة فى كل حد
وزمان وجميع وقت وآن وتوان ولا تسام دفع توهم مقدر وهو ان القرآن

اذا كان مشتملا على معان كثيرة لا تعد ولا تحصى تذكر لا عطائها الملالة لناظرها
وتقرير الجواب ظاهر ولا تسام مضارع مجهول على صيغة التانيث اى لا تذكر
لانه من سامت السائمة اذا تركت على حالها او بمعنى لا يقاس منها ولا يتعب
فالضمير على كلا المعنيين راجع الى الايات وعلى الاكثار متعلق بتسام وعلى بمعنى
مع كما فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه الاية والاكثار الاتيان بالكثير
والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى اكثرها وبالسام الباء سببية متعلق بالاسام
والسام بفتحتين السامة والملامة يعنى ان الايات لكونها فى اعلا طبقات
المعجزات لا تترك بالملالة عن اكثارها بل كلما ازداد ازداد فرح قارئه وفى البيت
تلميح الى قوله عليه السلام ان هذا القران لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة
الترداد يعنى ان القران لا ينتهى غرائبه بجمع العلماء فى جميع الازمان قال لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وقال تعالى ولو ان ما فى الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قال
بعض الحكماء لكل اية ستون الف فهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ان هذا القران ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ
غايته وكذلك ان هذا القران لا يمل قارئه ولا يسام من تكرار تلاوته واستماعه
ولا يذهب رونقه وبهجته كما فى كلام الخلايق بل كلما ازداد التكرار يزداد الحسن
ولا يتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والجهلاء والاعراب
والاعجام بل يرد الخطأ الى الصواب كما فى حديث جامع الصغير اذا قرأ القارئ
فاخطأ ولحن او كان اعجميا كتبه الملك كما نزل وفى معنى البيت قول الشيخ ابى القاسم
الشاطبى فى وصف القران ولله در وخير جليس لا يمل حديثه وترداده
يزداد فيه تجملا قرت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

لما

لما ابين فى الابيات السابقة فضائل الايات او ان بين بعضا من فواصل
السادية الى الغير فقال قرت بها اه قرت فعل ماض من القر بمعنى البرودة يقال
قرت عينه تقر وتقر بالفتح والكسر قيل هو كناية عند العرب عن الراحة
لان بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم فى البرودة ولا يخفى انه يكون
على هذا فى اسناد قرت الى العين برودة جدا والاظهر انه كناية عن السرور
فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين
للمحبوب وسخنة العين للمكروه ذكره القاضى وغيره من اهل التفسير فى قوله
تعالى وقرى عينا ويجوز ان يكون قرت بمعنى ثبت وصارت عينه ذات قرار
اى مستقرة لا تميل الى الجوانب لطيب ما ينظر اليه والباء فى بها للسببية والضمير
للايات وفيه حذف مضاف اى بقراءتها او بنظرها والعين بالرفع فاعل قرت
والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين فى قرت ومن جعله بمعنى النفس والتقدير
الثانى فقد وقع تكلف فوق التكلف ثم ان قرت فى معناه الاصح والمعنى كان
مسرورا بسبب قراءتها قاريها ويحتمل ان يكون اخبارا لفظا وانشاء معنى اى لتقر
فتدبر وقاريها بسكون الهمزة لضرورة الشعر ثم ابدلت بالياء والضمير للايات
والفاء فى فقلت للعقبية وقلت على صيغة التكلم اى لما كان قاريها بسبب قراءتها
توجها اقول له اى لقاريها على وجه الترغيب او على طريق الغبطة والله لقد ظفرت
فاللام توطئة للقسم وظفرت على صيغة الخطاب خطاب لقاريها وظفرت
بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب
والمقاصد والباء فى بحبل الله متعلق باعتصم والحبل بمعنى الايات والشرايع
على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه الايات بالحبل القوى الممدود منه تعالى
الى العباد فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الحبل بمفهوم الايات فذكر الحبل

الفا الخادمی

الحال عزمی شیخ زاده

وارد بد الايات واضافة الحبل الى لفظة الله قرينة بهذه الاستعارة وقوله فاعتصم
الفاء جواب شرط محذوف واعتصم امر حاظر من اعتصم والمراد من الاعتصام ههنا
هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل وفي البيت تلميح الى قوله عليه السلام
اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله وسنة رسوله
عليه السلام والى قوله عليه السلام وهو اي القران حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم
وهو الصراط المستقيم الحديث والى قوله عليه السلام ان هذا القران مادبة
الله فاقبلوا مادبته ما استطعتم ان هذا القران حبل الله المتين والنور المبين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه الحديث وفي معنى هذا البيت
قول الشيخ الشاطبي رحمه الله وقدس سره وفادة المرتضى قرمثاله كالاترج حاليه مريحا وموكلا وان
لحبل الله فينا كتابه فجاهد به حبل العدى متحبلا ان تتلها خيفة من حر نار لظى
اطفأت نار لظى من وردها الشبم لما فرغ عن بيان بعض فضائل
الآيات وفواضلها اراد ان يبين ايضا بعضا من خواصه وجعلها داخلة في حكم
فواصله فقال ان تتلها خيفة اه ان شرطية وتتلها مضارع من تلا بمعنى قرأ
على صيغة الخطاب خطاب لقاريها المقدم واصله تتلوها سقط الواو بالجزم
والضمير راجع الى الآيات وخيفة بالنصب على انه مفعول له حصولي تتلوها
والخيفة كالخوف بمعنى الخشية ومن متعلق بخيفة واضافة الحر الى النار لامية
ولظى من اعلام الجهنم او طبقة من طبقاتها وهي غير منصرف للتانيث والعلمية
ومن قال يمكن ان يكون لظى فعلا وهو مع فاعله صفة نار فلم يشم رائحة من علم
العروض مع ما فيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام واهل العروض فان
قلت لم خص اللظى بالذكر دون سائرها قلت لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة
الى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تامل واطفأت جزاء الشرط

وهو

التعاشق هو الخارجي

وهو ايضا على صيغة الخطاب ونار لظى بالنصب مفعول اطفأت فان قيل لم
اتى الظاهر مقام الضمير لان الظاهر ان يقول اطفأت نارها قلت لئلا يلتبس
في المرجع او لئلا يلزم التفكيك في الضمائر ووقع في بعض النسخ حر لظى والاول
انسب بالاطفاء ومن وردها كلمة من اجلية متعلق باطفأت والورود
بكسر الواو بمعنى الاشراف على الماء والمصدر هنا بمعنى المفعول اي المورود فالمراد
منه الماء والضمير راجع الى الايات وفيه استعارة بالكناية بان شبه الايات في الذهن
بالماء في كونهما سببا للحيوة فاستعير الماء للايات في الذهن وذكر في الخارج المشبه
وترك المشبه ثم اثبت الورود الذي هو من ملايم المشبه به للمشبه فيكون تخييلية
ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة ويجوز ان يكون الورود بمعنى ورد القران
وهو قراءة جزء من القرآن في كل يوم على سبيل الادمان ويؤيد هذا المعنى اضافة
الى الضمير الراجع الى القرآن ووصف الورود بالشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة اي البارد
يقوي المعنى الاول ولكل وجهة هو موليها لكن يكون الشبم على المعنى الثاني بمعنى
الدافع للحرارة كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ان تقرأ الآيات القرآنية والبينات
الفرقانية خشية من حرارة النار وعذاب الملك الجبار اطفأت نارها ودفعت
ضررها من اجل ملازمتك ورد القرآن الدافع حرارة النيران ثم اعلم ان الفقهاء
قالوا الافضل في قراءة القرآن ان يقرأ من المصحف لا من ظهر القلب لان في امساك
المصحف عمل اليد وكذا في حمله وفي نظره عمل البصر ويعين عليهما تامل معانيه ولهذا
كان اكثر الصحابة يقرؤن من المصحف وعن علي رضي الله عنه ثلث يزدن
في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القران ويقال النظر الى العلماء
والقران عبادة كالنظر الى الكعبة وقال عليه السلام اتلوه فان الله يأجركم على
تلاوة كل حرف عشر حسنات الحديث وعن بعض الصالحين قال كنت

اي قراءة القرآن من المصحف [illegible]

مطلب فضيلة الرؤيا في القراءة

ليلة في وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمتها اخذتني سنة فرأيت شيخا
نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت
كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار
تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا ادري
هكذا فقال الشيخ صدقت لقد قرأتها وكتبنا لها الا انا سمعنا مناديا ينادي
من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في مناي
وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب بها
ثوابها انتهى وذكر في المقامات اتى رجل الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله
ما جزاء من علم ولده القرآن فقال عليه السلام القرآن كلام الله لا منتهى له لا اعلم
حتى يأتيني جبريل فلما اتاه سأله عنه قال لا اعلم حتى أسئل رب العزة
فنزل جبريل فقال يا محمد الله يقرؤك السلام ويقول جزاء من علم ولده القرآن
انه يعطي لوالديه بكل حرف مدينة في الجنة من الذهب فيها الف قصر في كل
قصر الف بيت وجاء في حديث صحيح من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه
تاجا يوم القيمة ضوؤه احسن من ضوء الشمس ولذا قال الشاطبي هنيئا
مريئا والداك عليهما ملابس انوار التاج والحلى فما ظنكم بالنجل عند جزائه
اولئك اهل الله والصفوة الملا كانها الحوض تبيض الوجوه به من العصاة
وقد جاؤه كالحمم لما فرغ عن بيان بعض فضائله وفواضله وخواصه اراد ان
يبين بعضا شفاعته يوم القيمة للعصاة فقال كانها الحوض اه الكاف للتشبيه
والضمير للآيات والحوض مجاز اي ماؤه والالف واللام في الحوض للعهد فالمراد
الكوثر الذي له عليه السلام وهو ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة
كقوله عليه السلام حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من اللبن

مطلب في جزاء من علم ولده القرآن

وريحه

مطلب في ان الحوض هل مقدم على الصراط ام لا

وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب لا يظمأ ابدا وفي
تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال ان الحوض في الحشر على الصراط اذ فيه
اختلاف قال القرطبي ذهب صاحب القوت وغيره ان الحوض بعد الصراط والصحيح
انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى ان الحوض يورد بعد الصراط وهو
غلط من قائله قال القرطبي المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم
الحوض وقيل هو اثنان في القيمة وفي الجنة وقيل هو في الجنة لكن ينقل من الجنة الى
العرصات ومن العرصات الى الجنة وقيل في ظهر ملك يسيل الى يسار النبي
عليه السلام وقوله تبيض بيان لوجه الشبه يعني ان الآيات مشبهة بالحوض في تبييض الوجوه
وجملة تبيض بالرفع صفة الحوض فان قلت كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة
للحوض مع انه لا مطابقة بينهما في التعريف والتنكير اذ الجملة نكرة قلت قد حقق
في محله ان الصفة اثنان صفة خاص للموصوف وصفة عام له فالمطابقة
انما تلزم في الثاني لا في الاول والصفة ههنا من قبيل الاول كما لا يخفى والوجوه
اما في حقيقتها واما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوي او الحكمي ويؤيد الثاني
بيانها بالعصاة وبه متعلق بتبيض والضمير للحوض ومن العصاة بيان للوجوه
والعصاة جمع عاص كالغزاة جمع غاز والواو في وقد جاؤه للحال وضمير الجمع
راجع الى العصاة والمفعول راجع الى الحوض والكاف للتشبيه والحمم بضم الحاء
وفتح الميم جمع حممة كتهمة وهو بمعنى الفحم والفرق بينها وبين الفحم ان الفحم يقال
لما بقي بعد احتراق الحطب والحممة لما بقي بعد احراق الفحم واما الحمة التي بكسر الحاء
فهو بمعنى الماء الحار الذي يخرج من الارض يستشفى به العالمون والمرضى قال عليه
السلام العالم كالحمة يجتنبها القرباء ويتغرب اليها البعداء وفي البيت
اشارة الى ما في الخبر من ان بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار ويحترقون

مطلب في بيان كيفية شفاعة القرآن

ينها قدر ذنوبهم فيخرجون منها فيلقون في نهر الحيوة وفي رواية فيصب عليهم
ما الحيوة فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض وهذا من فضل ربنا الفياض وحاصل
معنى البيت ان الايات البينات تشفع للعصاة يوم العرصات كما يشفع بحوض نبينا
للعصاة الخارجين من النار بتبييض وجوههم قبل الدخول الى دار القرار وفيه اشارة
الى قوله عليه السلام القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فاذن من جعله امامه
اوصله الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار يعني ان القرآن شافع يوم القيمة
لصاحب الكبيرة والصغيرة ورفع الدرجات ممن يتلوه ويعمل به وساع يبلغ
مصدقا في شكايته لمن يضيع حقه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل
وعن الزاهدي من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو في النار فان قيل كيف يمكن
شفاعة القرآن في القيمة لانه ان اريد من القرآن فهو قائم به تعالى وكونه شافعا
باذنه تعالى يقتضي المغايرة له وهو بط وان اريد بالكلام اللفظي فهو كالعرض
في عدم البقاء ولو سلم فلا يمكن انقلابه جوهرا لامتناع انقلاب الحقايق
قلنا اجيب عنه انه تعالى يجعل القرآن اللفظي في ذلك اليوم جسما في صورة
يراه الناس كالاعمال عند الميزان وانقلاب الحقايق ليس بباطل مطلقا بل الباطل
منه انقلاب الواجب الى الممكن والممكن الى الواجب فليتامل وكالصراط وكالميزان
معدلة فالقسط من غيرها في الناس لم يقم لما بين فوايد الايات وخواصها
النافعة يوم العرصات توهم ان يسئل انه لم يكن للقرآن فوايد نافعة في الدنيا
كما كانت في الآخرة فقال مجيبا ودافعا له وكالصراط او الواو عاطفة
وكالصراط معطوف على كانها يعني ان القرآن العظيم مشابه بالصراط المستقيم
في كونه موصلا الى المطلوب والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الاولون
والآخرون من المؤمنين والكفار والنبي عليه السلام قائم عليه قائلا يا رب
سلم

مطلب في الصراط

مطلب في الميزان

مطلب في بيان الفرق بين القاسط والمقسط

سلم سلم وهو ادق من الشعر واحد من السيف والناس في جوازه متفاوتون
وروي انه يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل وادي الواسع و
بل بعض يمر عليه ولا يعلمه وفي جعل الصراط مشبها به رد للمعتزلة حيث انكروا
الصراط وقالوا بانه لا يمكن العبد على مثل ذلك فايجاده عبث ولو امكن ففيه
تعذيب للمؤمنين والانبياء ورد بان العبور عليه ممكن والانبياء والمؤمنون
يمرون عليه من غير تعب والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل
قاصر عن ادراك كيفيته قيل يوزن كتب الاعمال وقيل يجعل الحسنات اجساما
نورانية والسيئات ظلمانية وقيل يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر
وقوله معدلة تمييز من الاضافة في كالميزان لا في كالصراط وهو مصدر ميمي
او اسم آلة والمعنى ان الايات يشبه الميزان من جهة كونه معدلة ففيه رد للمعتزلة
ايضا لانهم انكروا الميزان وقالوا لا فائدة له لا عرض ويجوز ان يكون المراد
من الصراط والميزان جنس الصراط والميزان فوجه الشبه بالصراط هو العصمة
عن الوقوع في المكروه والتوصل به الى المطلوب وبالميزان اقامة العدالة والتحكم
عن الظلم وقوله فالقسط تفريع على التشبيه الثاني اي لما كان القرآن كالميزان
في العدالة فالقسط اه والقسط من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل واما القسط
بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس ولذا روي ان الحجاج دعى سعيد بن جبير
فجاء اليه فقال الحجاج له كيف يعلمني يا سعيد قال انك قاسط عادل فاستحسن
اهل المجلس جواب السعيد فقال الحجاج لا لانه اراد بقوله انك قاسط
معنى انك جائر وظالم كما في قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا واراد بقوله عادل عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى وقوله من غيرها
ظرف مستقر صفة قسط والضمير للايات وفي الناس متعلق بلم يقم قدم للضرورة

او للقسط اى العدل فيما بين الناس والناس اسم للبشر وهو اما من النسيان او من
الانس ويؤيده قوله وما سمى الانسان الا لانسه وما القلب الا انه يتقلب وانما
خص الناس بالذكر لكون احتياجهم الى القرآن اكثر من الجان او لشرافتهم منهم ثم ان
المراد من الناس المعهود اعنى امة نبينا عليه السلام دون سائر الانبياء بقرينة السباق
واللحاق ولم يقم بمعنى لم يدم ولم يتحقق وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات
كالصراط فى تمييز الحق من الظلمات وكالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات
فاذا كان كذلك فطلب العدالة فى الدنيا بين الناس من غير هذا القرآن الذى
كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الاجتماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم فقيام الدنيا
واهلها انما هو بالعدالة والعدالة قائم بالشريعة والشريعة انما قامت بالقرآن
فلو لم يكن الآيات ثابتة لما كانت الدنيا قائمة ولما كانت الخصومات بين الخلائق
دافعة لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
لا توهم ان يورد فى هذا المقام سؤال من طرف بعض الانام بان يقال لو كانت
الآيات متصفة بهذه الصفات لما انكرها بلغاء قحطان ولا الجحدها فصحاء
عدنان فاجيب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل دافع
فقال لا تعجبن له لا تعجبن نهى حاضر مؤكد بنون مخففة اى لا يكن لك عجب
ولحسود متعلق له والحسود على وزن الصبور يقال لرجل له حسد شديد والفرق
بين الحسد والغبطة ان الاول يستعمل فى تمنى زوال نعمة الغير او تمنى تحول نعمة الغير
الى نفسه والثانى يستعمل فى تمنى مثل نعمة الغير بلا تمنى زوالها عنه وراح بمعنى صار
واسمه تحته راجع الى الحسود وجملة ينكرها خبره والضمير الفاعل فى ينكر راجع
الى الحسود ايضا والمفعول راجع الى الآيات وتجاهلا بالنصب مفعول له لينكر
والتجاهل اظهار الجهل وليس له جهل فى الواقع لان الكفار كانوا يعرفون حقيقة

الآيات

في الفرق بين الحسد والغبطة

الآيات من بلاغتها وفصاحتها واخبارها عن المغيبات كما يعرفون ابناءهم
لكن يظهرون الجهل وينكرونها عنادا واستكبارا والواو فى وهو للحال والضمير راجع
الى الحسود والعين ههنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها واضافته الى الحاذق
من قبيل شجر الاراك والحاذق بمعنى الماهر والفهم بالكسر صفة الحاذق وهو
بمعنى كثير الفهم وشديد العقل وفائدة اتيان هذا القيد اعنى قوله وهو عين آه قطع
توهم كون انكاره من جهله لا من عناده مع ان ما فى هذا القيد تعظيما للقرآن العظيم
من جهة كون عدو الشيء عظيما يدل على عظم ذلك الشيء كما لا يخفى على اهله
قد ينكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
فلما كان علة نهى التعجب من انكار الحسود خفيا اراد ان يبينها بتمثيل للمعقول
بالمحسوس واتيان نظير له من المأنوس فقال قد ينكر العين ضوء الشمس آه
قد للتقليل وينكر من الانكار والعين ههنا بمعنى الباصرة والضوء بمعنى
النور وانما قال ضوء الشمس ولم يقل نورها لان الضياء اقوى واتم من
النور فبين النور والضياء فرق فان النور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة
لغيرها والضياء اقوى منه ولذلك اضيف الى الشمس فى قوله تعالى هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقد يقال ينبغى ان يكون النور اقوى على الاطلاق
لقوله تعالى الله نور السموات والارض الآية وانت خبير بان هذا انما يتم اذا لم يكن
معنى النور فى الآية المنور وقد حمله اهل التفسير على ذلك وقد يفرق بينهما بان
الضياء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى تأمل والشمس كوكب نهارى مضىء للعالم
وقد سبق تفصيلها ومن رمد من متشابهة متعلق بينكر والرمد بفتحتين وجع العين
يقال رمدت العين من الباب الرابع اذا هاجت ثم ان فى هذا المصراع تشبيه
الحسود المنكر للآيات لتجاهله بعين فيه رمد فى كونهما مشتملا لما يضره

مطلب في الفرق بين النور والضياء

ولا ينفعه ويورث لصاحبه انكار شيء ظاهر وتشبيه الآيات بضياء الشمس
في الظهور وعدم الخفاء وانكارها عند الصغار والكبار وتشبيه التجاهل بالرمد
في ايراث الاذى لصاحبه وايراث انكار امر باهر وظاهر ثم اعلم انه يمكن ان ترتب
ههنا قياسا لتغييره بهكذا الحسود مثل من في عينه رمد والآيات مثل ضوء الشمس
فما هو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الآيات من التجاهل وقوله وينكر الواو عاطفة
والجملة معطوفة على جملة ينكر الاولى والفم بغير ابتشديد الميم للضرورة اصل فم فوه
على وزن سوط فحذف الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقي الاسم على حرفين فلم
يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا يثقل اللفظة فابدلوا من الواو ميما فقالوا فم لانه تخرجهما
من الشفة وانما الدليل على ان الاصل في فم الواو وقولهم تفوهت بكذا ورجل افوه
وقولهم في تصغيره فويه لان التصغير يرده الاشياء الى اصولها وقوله طعم
بالنصب مفعول ينكر والطعم بمعنى اللذة والماء اسم جنس يقع على القليل والكثير
ومن منشا بتة متعلق بينكر والسقم المرض ثم ان في هذا المصراع ايضا تشبيه الحسود
بفم في صاحبه مرض في كونه مشتملا لا يمنع عن الوصول الى ما هو الحق في الواقع
وتشبيه الآيات بالماء اللذيذ في كونه سببا لحيوة كل شيء وتشبيه التجاهل بالمرض في
كونه مورثا للاذى الى صاحبه وكونه مانعا الى الوصول الى الحق وفيه ايضا يمكن
ترتيب قياس كالاول فتامل ولا تكن من الحاسدين فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

يا خير من يمم العافون ساحته سعيا وفوق متون الاينق الرسم

لما اشتغل بذكر معجزاته وبيان ما هو من اعظم اياته اعني به الكتاب الذي
هو البحر البسيط والقرآن الذي هو اليم المحيط وبعد ذكر ذات المحبوب
اشتاق الى تكرار بيان من هو المطلوب فاتى به مخاطبا بياء الدالة على الحضور
لتحصيله العلم لمن بيان اوصافه التي كالشمس في الظهور فقال يا خير من

كلمة

كلمة يا وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا
له كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استصغارا لنفسه
واستبعادا لها من محافل الزلفى واما تنبيها على غفلة وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه
على ان ما يفعله امر خطير يعتنى بشانه وما وقع ههنا اما من قبيل اول الاول
او الثالث فتامل وخير اسم تفضيل ومن من الفاظ العموم ويمم بمعنى قصد اي
يا خير من قصد العافون جمع العافي بمعنى السائل اي السائلون والساحة بالنصب
مفعول يمم وهو بمعنى حريم الدار والضمير راجع الى من والساحة من قبيل ذكر المحل
وارادة الحال اذ شرف المكان بالمكين ولذا قال الشاعر وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا والمعنى يا خير من قصد السائلون ذاته ونفسه وسعيا
بالنصب على انه حال من فاعل العافون فان قيل كيف يجوز كونه حالا عنه مع انه
لا مطابقة بين الحال وذيه لان الحال مفرد وذو الحال جمع قلت كونه حالا
باعتبار الافراد وكذا قيل فتامل والمصدر اعني السعي ههنا بمعنى الفاعل اعني
ساعين والواو في وفوق عاطفة وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف اي كائنين
فوق المتون والمتون جمع متن وهو بمعنى ظهر كما في قوله ودع يزين المتن اسود فاحم
اثيث كقنو النخلة المتعثكل ولا ينق بتقديم الياء على النون مقلوب الانيق بتقديم
النون اصله انوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار اونق ثم قلبت ياء المزيد الخفة
والرسم بالجر صفة الاينق وهو بضمتين جمع الرسوم وهي الناقة التي تؤثر في الارض
من شدة الوطئ او ناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد ثم اعلم
ان هذا القول من الناظم الفهم اعني وفوق متون الا تكملة للكلام الاول يعني
ان الكلام الاول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب وهذا
الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من بلاد سحيق ومطلوبا

للراكبين على كل ضامر يأتين اليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع دنيوية واخروية بمشاهدة النبي الشفيق وحاصل معنى البيت يا خير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب وافضل كل من يترجى الى ساحته الركائب وكونه خيرهم يقصد اليه ارباب الحاجات يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا اليهم مقاصدهم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر   ومن هو النعمة العظمى لمغتنم   ص

ثم كرر النداء لزيادة اشتياقه الى ذاته الاعلى مع بيان اوصافه الاسنى والاشارة الى حكمة عروجه الى سدرة المنتهى فقال ومن هو اه فالواو عاطفة ومن معطوفة على المنادى اعني خير فالتقدير يا من هو الآية وهو ضمير فصل يفيد القصر والآية بمعنى العلامة التي يميز به بين الحق والباطل والكبرى تأنيث الاكبر وتنوين معتبر للتكثير اي لكل معتبر والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دين الحق المميز بين الحق والباطل والواو عاطفة والنعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل النعمة على قسمين نعمة المنافع كصحة البدن والامن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الامراض والبلايا والشدائد والفقر وفي كتب التصوف النعمة ستة الاولى نعمة النفس وهي الطاعات والاحسان والنفس فيهما تتقلب والثانية نعمة القلب وهو اليقين والايمان وهي فيهما تتقلب والثالثة نعمة الروح وهو الخوف والرجاء وهي فيهما تتقلب والرابعة نعمة العقل وهو الحكمة والبيان وهي فيهما تتقلب والخامسة نعمة المعرفة وهو الذكر والقرآن وهي فيهما تتقلب والسادسة نعمة المحبة وهو الالفة والمواصلة والامن من الهجران وهي فيهما تتقلب والنعمة ههنا بمعنى المنعم به لانه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع انه قد صدر عنه نعم كثيرة لا تحصى عدد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا والعظمى تأنيث الاعظم ومغتنم اما

متعلق

متعلق بالنعمة واما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله لمعتبر صفة للآية والمغتنم على صيغة اسم الفاعل من اخذ الخبر واغتنم به يعني انه عليه السلام هو الآية الكبرى لكل من اخذ العبرة لانه اكمل الموجودات ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة وخير لانه رحمة وهداية تامة ودافع للظلمات ودافع للشبهات ومقصود للسائلين في الارض والسموات ثم اعلم ان هذا البيت والبيت الذي قبله اشارة الى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو كونه اختصم الملأ الاعلى وتناظروا في اربعة مسائل مقدار الفسنة ولم يوفقوا بحله فلما بعث نبينا عليه السلام علموا ان هذه المشكلات انما تنحل منه عليه السلام فتضرعوا الى الله تعالى لاجله فدعا الله حبيبه الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ومن جملته قوله عليه السلام رأيت ربي باحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت تعلم يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت نعم في الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال صدقت يا محمد ثم قال يا ملائكتي وجدتم حلال المشكلات فاسئلوا مشكلكم فقال اسرافيل ما الكفارات فقال عليه السلام اسباغ الوضوء في المكاره والمشي بالاقدام الى الجماعة وانتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال ميكائيل وما الدرجات اطعام الطعام وافشاء السلام والصلوة بالليل والناس نيام ثم قال جبرائيل ما المنجيات فقال خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضاء ثم قال عزرائيل ما المهلكات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فقال الله في كل ذلك صدق كذا ذكره في البريقة شرح الطريقة

سريت من حرم ليلا الى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم

فلما ذكر النداء في البيتين السابقين مع الاشارة الى تمام اوصافه واظهار كمال

اخلاقه اجلالا اراد ان يولى بجواب الندا مشيرا ايضا الى اعجب امر من الامور التى بين
الله وبين افضل خلقه واخص عبده لم يعط ذلك الامر لاحد من الانسان
بل هو مخصوص لنبى اخر الزمان فقال سريت من حرم اه سريت على صيغة الخطاب
له عليه السلام وسرى لغة فى سرى بمعنى سار فى الليل وكان الاسراء الذى حصل له قبل الهجرة
بجسده وروحه معا ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده الاية العبد
اسم للروح والجسد جميعا قال الشيخ الاكبر ان معراجه عليه السلام اربع وثلثون مرة
واحدة بجسده والباقى بروحه رؤيا رأيها قبل النبوة ومن حرم متعلق بسريت
والحرم بفتحتين حرم مكة شرفه الله قال فى الدرر اعلم ان البيت لما كان
معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى وهو الحرم وللحرم حرم وهو المواقيت
حتى لا يجوز لمن وصل اليها ان يجاوز الا بالاحرام انتهى وفى تفسير روح البيان
ان حدود الحرم من جهة المدينة على ثلث اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال
ومن طريق الجعرانة على تسعة اميال ومن طريق الطائف على سبعة اميال
ومن طريق جدة على عشرة اميال ثم ان الحرم عام لكل ما كان فى داخل الحرم فلا
ينافى الى ما كان فى الرواية من انه عليه السلام كان اسراؤه من بيت ام هانى
بنت ابى طالب لان بيته كانت فى الحرم وليلا نصب على الظرفية لسريت
وهو تأكيد اذ الاسراء والسرى فى لسان العرب لا يكون الا ليلا حتى لا يتخيل انه كان
نهارا او لافادة تقليل مدة الاسراء اى فى جزء من الليل لما فى التنكير من الدلالة على البعضية
وهى ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين فان قلت فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل
نهارا حتى لا يكون فيه اشكال وطعن وما الحكمة فى اختيار الليل قلت اجيب عنه بانه
انما جعل تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا
وخليلا والليل خص زمان لجمع المحبين فيه والراحة فى الخلوة متحققة بالليل

وقال

وقال بعض الفضلاء لعل تخصيصه بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن
كفروا زيادة على فتنتهم او الليل اخفى حالا من النهار وقيل حكمته انه افتخر النهار على الليل
بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس
الوجود فى الليل الى السماء وقال بعض اهل المعارف حكمته انه لما محى الله اية الليل
وجعل اية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا فكان الاسراء بمحمد عليه السلام
فى الليل للعدالة وسيظهر جواب اخر من تشبيه الناظم الفاهم فتبصر والى حرم متعلق
بسريت والمراد من هذا الحرم المسجد الاقصى والتعبير عنه بالحرم انما هو لمشاكلة
وقيل اطلاق الحرم عليه لكونه محترما وقوله كما سرى البدر اه تشبيه لسيره عليه السلام
وقطع المنازل والانارة والمشبه به قاصر وفى داج متعلق بسرى وداج صفة
موصوف محذوف اى فى الليل داج والداج من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى
راكد ظلامه ومن الظلم متعلق بداج بتضمنه معنى راكد والظلم بالضم فالفتح جمع
ظلمة والمراد اظهار مبالغة الظلمة وما قيل من ان قوله من الظلم ظرف مستقر صفة ‎القائل هو الخادمي
داج والمراد من الظلم الليل مجازا فبعيد كل البعد ثم اعلم انهم قالوا ان انكار معراجه
عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا
نزاع واما من المسجد الاقصى الى السموات العلى ففيه اختلاف فمنكره لا يكون كافرا
وبت ترقى الى ان نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
فلما كان مظنة ان يتوهم من البيت السابق ان سيره انما كان من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى دون الى غيره من المنازل العلى اراد دفعه فقال وبت ترقى اه بت ماض
مخاطب من البيتوتة وفى نسخة ظلت بفتح الظاء وكسرها قطعا كلا النسختين
بمعنى صرت وترقى بمعنى تصعد والى متعلق بترقى ونلت بكسر النون ماض مخاطب
من النيل بمعنى الوصول ومنزلة بالنصب مفعول نلت ومن بيان للمنزلة

[illegible]

وقاب قوسين بالنصب محكي على انه مما وقع في القرآن والقاب بمعنى المقدار والتوجيه
من قسي العرب وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس
لكونه مذكورا في القرآن والقرآن بلغة العرب والعرب يجعل الاشياء بالقوس
وانما كان قاب قوسين عبارة عن كمال القرب لان عادة العرب ان اميرين او الحاكمين
اذا ارادا الصلح وعقد العهد والصفا خرجا بقوسيهما فالتصق كل واحد منهما
طرف قوسه بطرف قوس صاحبه والمعنى فقد وصلت الى منزلة هي كمال القرب
ومعنى قرب الرسول عليه السلام الى الله ودنوه منه انما هو قرب المكانة لا قرب
المكان ولا قرب الزمان بل هو قرب باللطف والمحبة بلا مشابهة الى قرب الانسان ولم
تدرك مضارع مجهول مؤنث والجملة صفة منزلة اي لم يدرك تلك المنزلة احد
من الانسان ولا ملائكة الرحمن بحكم لم ترم وهو ايضا على صيغة المجهول من الروم بمعنى
الطلب اي فقد وصلت الى منزلة لم يطلب تلك المنزلة احد غيرك لانه ممتنع
في حق غيرك فلا وجه لطلب ما هو ممتنع وفي البيت اشارة الى ما ورد في الحديث
من انه عليه السلام قال عرج بي جبرائيل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ربه ما اوحى قال العلامة
المرزوقي انه عليه السلام لما قرب الى ربه وكان قاب قوسين قال اللهم انت ما تفعل بامتي
قال الله تعالى لي انزل اليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم
لبيته ومن سألني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الآخرة
اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ثم اعلم ان
خاصة هذا البيت انه لو كان احد معقودا فاراد الفتح فليأخذ ثلث بيضات
وليطبخها في ماء ثم لينزع قشرها ثم ليكتب المصراع الاول من هذا البيت
بالحروف المهملة على اثنين من تلك البيضات بجعل حروف هذا المصراع

منقسما

منقسما بينهما والمصراع الثاني على ثالثها فليأكل الثالث مرأته وليأكل البيضتين
الاوليين زوجها فان عقده يفتح باذن الله تعالى قال الاستاد طول الله بقاه
وقد جربناه ووجدناه صادقا وقدمتك جميع الانبياء بها والرسل
تقديم مخدوم على خدم فلما دفع شبهة المشتبهين اراد ان يبين بعض
ما وقع في ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال فقد قدمتك
جميع الانبياء اي قدمتك فعل ماض من قدم وهو قد يكون متعديا وقد يكون
لازما وههنا من الاول اي جعلك جميع الانبياء في امامهم واقتدوا بك وصيرك
اماما لهم وجميع بالرفع فاعل قدمتك وتانيث فعله باعتبار الاضافة يعني انه
الجمع مضاف الى الانبياء والانبياء جمع وكل جمع مؤنث فالجمع قد اكتسب التانيث
بالاضافة كما في قولهم قطعت بعض اصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة
وقول الشاعر وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب والنبي اعم من الرسول
والباء في بها بمعنى في متعلق بقدمت والضمير راجع الى البيت المقدس بقرينة
المقام ولكون الحرم الثالث عبارة عنها وقوله والرسل بالجر عطف على الانبياء
والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ في البيت بالسكون لضرورة
الوزن وقوله تقديم مخدوم صفة موصوف محذوف بتقدير الجار اي تقديما
مثل تقديم المخدوم والمصدر مضاف الى مفعوله وعلى خدم متعلق بالتقديم
والخدم بفتحتين بمعنى الخادم والمراد من المخدوم في هذا المقام رسول الله عليه
السلام ومن الخادم سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام والبيت اشارة الى
ما وقع في ليلة المعراج من كونه عليه السلام اماما للانبياء في المسجد الاقصى
وصلوته معهم اذ روي انه لما اتى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس انزل
من البراق فربط الى الحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخل المسجد

فاذا المسجد ملو بالانبياء فاقيمت الصلوة قال عليه السلام فقمنا صفوفا
ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبرائيل فقدمني فصليت بهم ثم خرجت من
المسجد فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال لي جبريل اخترت الفطرة ثم اختلف هل كانت تلك الصلوة قبل عروجه
عليه السلام الى السماء ام بعده والمستفاد من هذا البيت كونه قبل العروج كما لا يخفى
وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى بهم بيت المقدس قبل العروج وبعده
فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى ثم انهم اختلفوا في هذه
الصلوة بل هو فرض او نفل فعلى رواية صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل العروج
يكون نفلا وعلى رواية صلى بهم بعده يكون فرضا اعني الصبح كذا في المواهب

وانت تخترق السبع الطباق بهم * في موكب كنت فيه صاحب العلم

لما بين ما وقع في المسجد الاقصى مما يدل على كمال مرتبته العليا اراد ان يبين
ايضا بعض ما وقع له بعده من الامور العجيبة والاسرار الغريبة في السموات العلى
وما فوقها من العرش والسدرة المنتهى فقال وانت تخترق السبع الواو للعطف
او للحال وتخترق من اخترق الطريق اذا قطعه ومر به اي وانت تمر وتقطع وفي
اتيان صيغة المضارع مع ان الظاهر صيغة الماضي استحضار للحال الماضية
وفي اتيان لفظ تخترق دون غيره رد للفلاسفة القائلين بان الافلاك
اجرام اصلية غير قابلة للخرق والالتيام لانها لو كانت قابلة لهما لكانت
اجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم ان يكون الجهات محدودة قبلها اذ التفرق
لا يكون الا بالحركة المستقيمة والجواب ان الاجسام متماثلة الحقايق تقبل الخرق
والالتيام فعلى تقدير تسليمه انما يتم في المحدد دون ما عداه والسبع بالنصب
مفعول تخترق لكنه صفة موصوف محذوف اي السموات السبع كما في قوله تعالى

فان لم

فان لم تعد لوا فواحدة اي فنسوة واحدة والطباق صفة بعد صفة للسموات
المحذوفة وهو اما مصدر من طابق نحو له ثلثة اوجه اولها بمعنى مطابقا
بعضه فوق بعض من طابق النعل وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون
التقدير ذات الطباق وثالثها ان يكون من قبيل قوله فانما هي اقبال وادبار
واما جمع فيكون جمع طبق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة وبهم حال من فاعل
تخترق والباء للملابسة اي ملابسا بهم والضمير للانبياء والرسل فيكون اشارة
الى ما روي انه عليه السلام حيث قال جاء جبريل فعرج بي الى السماء فلما
جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح الباب قال من هذا
معك قال هذا جبريل قال هل معك احد قال معي محمد ارسل اليه قال نعم
فلما فتح صعدنا فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة التي
عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي
عن شماله اهل النار ثم عرج بي الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال
له خازنها مثل ما قال الاول ففتح فصعدنا فاذا فيها يحيى وعيسى ثم
الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم الى السماء الرابعة فاذا
فيها ادريس ثم الى السماء الخامسة فاذا فيها هرون ثم الى السماء السادسة
فاذا فيها موسى ثم الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام ثم عرج
بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على امتي خمسين
صلوة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله على امتك
قلت خمسين صلوة قال فارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك

رجعت فوضع شطرها فرجعت الى موسى فقلت وضع شطرها فقال ارجع ربك
فان امتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها ثم راجعت الى موسى فقال
ارجع الى ربك فان امتك لا تطيق فراجعته فقال هن خمس لا يبدل القول
لدي فرجعت الى موسى فقال راجع الى ربك فقلت استحييت من ربي الحديث
ويجوز ان يكون الباء في بهم بمعنى مع اى مصاحبا معهم فيكون اشارة الى ما وقع
في بعض الرواية من انه عليه السلام لما صلى في المسجد الاقصى مع الانبياء صعدوا
معه الى السموات العلى وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لا يخفى وقوله في موكب
حال بعد حال اى كائنا فيهم والموكب جماعة الفرسان والمراد به ههنا جماعة
الملائكة على احتمال الاول في بهم بناء على ما روى انه عليه السلام بملائكة عن يمينه
وملائكة من شماله وجماعة ارواح الانبياء على الاحتمال الثاني فيه وكنت
بصيغة الخطاب وهو مع جزه صفة موكب والضمير فيه للموكب والعلم
ههنا اما بمعنى الراية فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم كناية عن كونه
رئيسهم لان صاحب العلم في القوم يكون رئيسهم او بمعنى الجبل فيكون العلم استعارة
بمعنى المرتبة كما لا يخفى بقيد استعارة فيكون المعنى في موكب كنت فيه صاحب المرتبة
العالية التي لا مرتبة فوقها حتى اذا لم تدع شاء والمستبق من الدنو ولا مرقى
لمستنم فلما دل البيت الاول على انه عليه السلام صعد على السموات مع الملائكة
توهم منه انهم لم يفارقوا منه عليه السلام حتى وصلوا الى مقام قاب قوسين
او ادنى اراد ان يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال حتى اذا لم
تدع آه حتى غاية لقوله تخترق واذا للظرفية المحضة فلا يقتضي الجواب او للشرط
وجوابه محذوف او قوله خفضت ولم تدع بمعنى لم تترك والشاء وبمعنى الغاية
اى لم تترك منتهى والمستبق اما متعلق بلم تدع او ظرف مستقر منصوب

على انه

على انه صفة شاء والمستبق على صيغة اسم الفاعل بمعنى طالب السبقة وتنوينه
للتكثير اى لكل مستبق سواء كان نبيا او ملكا ومن الدنو اما متعلق بلم تدع او صفة
شاء والمراد من الدنو الدنو الى الله ومن الله والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب
ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة اذ لا دنو للحق تعالى ولا بعد له
ولا مرقى عطف على شاء وتكرير النفي للتاكيد والمرقى بفتح الميم وسكون الراء بمعنى
المصعد والمستنم كالمستبق في التركيب وهو على صيغة اسم الفاعل بمعنى المرتفع
والمراد من المستنم هو الجبريل الامين لانه مرتفع ومطمئن اى متمكن لانه
ذو قوة عند ذي العرش مكين ففيه اشارة الى ما روى ان جبرائيل عليه السلام
لما صعد به عليه السلام حتى انتهى الى سدرة المنتهى وهي شجرة اوراقها
مثل آذان الفيلة في اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل
رسول الله الجبريل عن هذا فقال له جبرائيل اما الباطنان ففي الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات فبقي الجبريل في ذلك المقام وقال لو دنوت
انملة لاحترقت ولذا قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وكونه
باقيا في السدرة المنتهى لكون علم الملائكة منتهيا اليها عن مجاوزتها
فالتجاوز عنها خاص للنبي الجليل غير لائق لما عداه من الملائكة والجبريل
خفضت كل مقام بالاضافة اذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
لما كان مضمون البيت السابق محل شبهة اذ ادان يدفعه بتاكيد ذلك المضمون
وتقرير رقيه عليه السلام الى مرتبة لا مرتبة فوقها فقال خفضت آه اما بدل
من قوله لم تدع او جواب لاذا والخفض حط رتبة وجعل شيء تحت شيء
ومنه الخفض في الاعراب والمعنى جعلت في الاسفل وتركت فيه وكل مقام
بالنصب مفعول خفضت والمقام بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام

من مستنم

اى كل مقام من مقامات الانبياء فان قلت ما الفرق بين المَقام بفتح الميم
والمُقام بضم الميم قلت الفرق بينهما مختلف فيه قال بعضهم اذا قرأ من الثلاثى
يقرأ بالفتح نحو قام زيد مقام عمرو واذا قرأ من المزيد يقرأ بالضم نحو اقيم فلان
مقام عمرو ودونه المولى ابو السعود حين سأل سائل بقوله يا وحيد الدهر
يا شيخ الانام افتنا فرق المَقام والمُقام فقال الفرق بينهما انه اذا قيل اقيم
فلان او قام فلان مقام فلان نظر الى الفلان الثانى ان كان المقام له يقال
مقام بفتح الميم سواء قرئ الفعل اقام او قام وان كان لغير الفلان الثانى فى
نفس الامر يقال مقام بضم الميم سواء قرئ الفعل اقيم او قام كالباء من حروف القسم
لانها اصل فى القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو فاذا قيل التاء
اقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لان المقام ليس للواو بل للباء فاذا قيل
الواو اقيم مقام الباء يقال المقام بالفتح لان المقام للباء فى نفس الامر لانها
اصل فى القسم وما وقع فى هذا المقام بفتح الميم كما لا يخفى على ذوى فهم قديم
وبالاضافة متعلق بخفضت والمراد من الاضافة عنها معناها اللغوى
اعنى النسبة والمعنى نسبتك الى مقامك لان مقامك ارفع من جميع المقامات
الانبياء والملائكة ويقول هذا الفقير يحتمل ان يكون مراده من الاضافة
الاضافة التى وقعت فى سورة الاسرى اى فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده حيث اضيف الى العبد المراد به رسولنا الذى له كمال فى العبودية لا كمال
فوقه الى المعبود الذى لا معبود فوقه فيكون اشارة الى كون المعراج بجسده
وروحه عليه السلام لان العبد مما يطلق عليهما معا كما سبق واذ ظرف لقوله
خفضت اعلم انهم قالوا ان كلمة اذ يستعمل على اربعة اوجه الاول ان يكون
اسما للزمان الماضى ثم قد يكون ظرفا نحو فقد نصره الله اذ اخرجه الذين

الآية

الآية وقد يكون بدلا من المفعول نحو واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
وقد يكون مفعولا به نحو واذكروا اذ انتم قليل فكثركم وقد يكون مضافا
اليه لاسم زمان نحو يومئذ والثانى ان يكون اسما للزمان المستقبل نحو يومئذ
تحدث اخبارها والثالث ان تكون للمفاجاة نحو خرجت اذ زيد قائم لكن هذا
قليل الرابع ان يكون للتعليل نحو لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وما وقع فى هذا المقام
من الاول الاول ومن جعله للتعليل فلم يأت بشئ يشفى العليل ونوديت
فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الاقبال والمنادى
هو الله تعالى حيث روى انه تعالى قال له عليه السلام فى تلك الليلة ادن يا محمد
ادن يا محمد وقوله وقوله بالرفع اى ملتبسا برفع الله اياك فالمراد بالرفع
معناه اللغوى اعنى الارتفاع لا النحوى ومثل بالنصب صفة مصدر محذوف
منصوب على المفعول المطلق والمنفرد بمعنى المنفرد الواحد فى قومه والعلم
بفتحتين بمعنى العالى والتشبيه فى الارتفاع والامتياز من سائر جنسه
وحاصل معنى البيت جعلت وتركت فى الاسفل كل مقامات الانبياء ومراتب
الاصفياء ببركة اضافتك الى الرب الكريم وشرافة نسبتك الى الخالق العظيم
حين طلب الله تعالى اقبالك بفضله وعنايته مميزا اياك عن سائر الناس
مثل ما يطلب مميزا فيما بين الناس بنحو هذا الرجل بالتعظيم والاكرام ثم اعلم
ان فى هذا البيت من صنايع البديع صنعة مراعات النظير وهى جمع امر
وما يناسبه لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة وبين النداء والرفع
والمفرد العلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين فى الجملة
يعنى بين الخفض والرفع كما لا يخفى على اهل الصنع والصنايع والله الحافظ من الموانع
كى ما تفوز بوصل اى مستتر   عن العيون وسر اى مكتتم

فلما ذكر سيره ومعراجه عليه السلام من الارض الى السموات العلى بالاكرام وكانت
علته الغائية خفية بين اولى الاوهام اراد ان يبينها باختصار فى الكلام
فقال كى ما تفوز اه فكى حرف جر بمعنى اللام للتعليل وما زائدة وتفوز منصوب
بان مقدرة بعد كى او منصوب بكى فيكون كى بمعنى ان واللام مقدرة
قبلها وتفوز من الفوز بمعنى الظفر وبوصل متعلق بتفوز والمراد من الوصل
الوصلة الى الله تعالى واى مستتر صفة لمحذوف اى بوصل ستر اى مستتر
بمعنى كامل الاستتار وعن العيون متعلق بمستتر والعيون جمع عين بمعنى الباصرة
والمراد جميع عيون الناس حتى عن اعين الملائكة والانبياء وقوله وسر بالجر
معطوف على بوصل واى مكتتم كاى مستتر بمعنى كامل فى الاكتتام ثم اعلم
ان فى قوله بوصل اشارة الى رؤيته عليه السلام ربه والمناجات اليه وقد
اختلف القوم فى انه عليه السلام رأى الله تعالى فى ليلة الاسرى بقلبه او بعينه
رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده فيكون معنى قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى على هذا ما كذب الفؤاد وما رأى به الفؤاد وقال بعضهم
رأى بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى لموسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله
عليه السلام رأيت ربى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا حجة
فيه لانه لا يجوز ان اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره وقال الحقى
فى روح البيان يقول الفقير اراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية
العين لان موسى سأل ومنع منه فاقتضى ان يفضل نبينا عليه السلام
بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك ان الرؤية القلبية يشترك فيها جميع
الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى عليه السلام رأى ربه بعين قلبه
حين خر الطور مغشيا عليه وحمله على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا انتهى

وقال

وقال بعض الفضلاء ذكر الله فى الآية رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر رؤية العين
لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه والى هذا اشار الناظم الفاهم بقوله وسر اى
مكتتم والحاصل لنا نذهب الى صحة رؤيته بعينه وبقلبه لحديث رواه المسلم فى
صحيحه رأيت ربى بعينى وبقلبى ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها وفى قوله وسر اى
مكتتم اشارة الى اسرار لا تنكشف لاحد غير محمد عليه السلام على ما يدل عليه قوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى قال بعض الفضلاء ستر الله بعض ما اوحى الى عبده عليه السلام
عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره من الاجانب والاغيار قال الشاعر لا يكتم السر الا
كل ذى خطر والسر عند كرام الناس مكتوم والسر عندى فى بيت له غلق قد ضاع
مفتاحه والباب مختوم وقال آخر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق
يحكيه سر يمازجه انس يقابله نور تحير فى بحر من النبه وقال بعض اهل
الحال لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل
ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده تحمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة
ربانية ملكوتية لاهوتية البسها الله اياه ولولا ذلك لم يتحمل ذرة منها
لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها تعطلت الاحكام وفنيت
الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والعلوم وقال بعض
المفسرين ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى العلوم
وهو الاحكام والشرايع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم
اداه الى اخص الخواص وهو الحقايق والنتايج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقى
معه لكونه مما خصه الله تعالى به وهو السر الذى بينه وبين الله تعالى عز وجل
فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم
لما بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة الى جمال رب الفراج ومن نيله الى سر لم يطلع

[illegible]

عليه احد من الانبياء والاولياء والملائكة الذين هم في السموات كالبراح الوهاج اراد
ان يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التي يورث للامة
السرور والابتهاج وما يدفع به بلاياهم في الدنيا وما ينجيهم في الاخرة من عذاب
ذي امواج فقال فحزت كل فخار اه الفاء للتفصيل والتفريع وحزت على صيغة الخطاب
كقلت من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام ~~لكنه~~ اي جمعت وكل
بالنصب مفعول حزت والفخار بكسر الفاء ما يفتخر به من الفضائل والفواضل
والشمائل وغير بالنصب على انه حال من فاعل حزت او على انه صفة كل او مجرور
على انه صفة لفخار وجزت عطف على حزت وهو بالجيم والزاء من الجوز كما كان الاول
بالحاء المهملة والزاء المعجمة من الحوز وجزت بمعنى عبرت وذهبت وتعديت وكل
مقام كل فخار وغير مزدحم كغير مشترك والمزدحم كالمشترك اذ كلاهما اسم
مفعول بمعنى مصدر فالمشترك بمعنى الاشتراك والمزدحم بمعنى ازدحام بمعنى
الاجتماع والمنازعة قال بعض الفضلاء المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء الممدود
ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وامثالها
مع ما فيه من الاشارة الى ما روي عنه عليه السلام في حديث الاسراء حيث قال
فتقدمت وجبرئيل على اثري حتى انتهى الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل
من هذا قال انا جبرائيل ومعي محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت
الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة وغلظ الحجاب مسيرة
خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق الملك في اسرع من طرفة
عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال ملك من وراء الحجاب من هذا قال انا
صاحب حجاب الذهب وهذا محمد معي فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب
فاحتملني

فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني
سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف خضر يغلب
ضوءه ضوء الشمس ووضع على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش
فابصرت امرا عظيما ثم تدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون
شيئا قط احلى منها وانبأني الله بها نبأ الاولين والآخرين الحديث
وجل مقدار ما وليت من رتب وعز ادراك ما اوليت من نعم
لما كان في ليلة المعراج اسرار بين رسولنا وربنا الفراج وكانت تلك الاسرار مكتومة
عند الاخيار والابرار حتى عجز كل من يبني اخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك
الامور الجليلة اراد الناظم الفاهم ايضا بيان عجزه عنها ببيان جلالة ما وقع فيها
وبيان عدم ادراك احد من الخلائق ما كان بينهما من الاسرار والدقائق فقال وجل مقدار
اه الواو للاستيناف وجل بمعنى عظم والمقدار بالرفع فاعل جل ووليت ماض مجهول
على صيغة الخطاب من ولاه اي جعلت واليا ومن رتب بيان لما والرتب
جمع رتبة وعز معطوف على جل وعز اي عسر ونذر والادراك الاحاطة بالشيء
ذاتا او صفة واوليت ماض مجهول على صيغة الخطاب ايضا لكنه من اولاه
بمعنى اعطاه والمعنى ما اعطيت ومن نعم بيان لما والنعم بكسر النون
وفتح العين جمع نعمة وفي قوله ما وليت من رتب اشارة الى كونه عليه السلام
واليا يوم القيمة على اهلها بالشفاعة حيث اعطي الشفاعة له ليلة المعراج
وكذا مما اعطي اليه فيها ما اوحي اليه من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها
وعلى الامم حتى يدخلها امتك وقوله تعالى له عليه السلام لولاك لولاك
لما خلقت الافلاك وكذا اعطى الله فيها قوة جبروتية يهلك بها اعدائه
وغير ذلك مما لا يحيط قلم وفي قوله ما اوليت من نعم اشارة الى اعطائه له

قوله تعالى له عليه السلام لولاك الخ لان هذه العبارة
يحتمل ان يكون هذا الكلام بعينه حديثا قدسيا وليس
شهرته لعدم صحته روايته نعم قد اخرج الامام البيهقي
كذلك لعدم ... عن عمر رضي الله عنه ان الله تعالى
وصححه الحاكم في روايته لولا محمد ما خلقتك
قال لآدم عم يا آدم ... وفي رواية السموات
وكذا اخرج ابن عساكر ... النبي عم وحدث
ان جبرائيل عم نزل على النبي ... ما خلقت الدنيا
طويلا آخره عم لولاك ما خلقت الدنيا
لكن هذا القول لا يكفي لعدم ثبوت
العبارات ولعل الشارح سلمه الله
اطلع عليه وعلى صحة روايته عنه صلى الله
عليه وسلم فلا اشكال لمحرره

تعالى له عليه السلام فيها علم الاولين والآخرين وجعل امته خير الامم وكمال النصيحة
لامته حيث روي عنه عليه السلام قال شكى الى الله امتي ليلة المعراج شكايات الاولى
انه قال اني لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد والثانية انه قال اني
لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيري والثالثة انه قال انهم يأكلون
رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي والرابعة ان العزة لي وانا المعز
وهم يطلبون العز من سوائي والخامسة خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا
انفسهم فيها وقال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة
نعمي عليهم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتي
وان رجوتم احدا فانا اولى به وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى
به لان منكم الجفا ومني الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا
اولى بذلك لاني معبودكم وان صدقتم احدا في وعده فانا اولى بذلك لاني
انا الصادق وكذلك قال عليه السلام يا محمد لم اكثر مال امتك ليطول حسابهم
يوم القيمة ولم اطل اعمارهم لئلا يقسوا قلوبهم ولم افجئهم بالموت لئلا يكون خروجهم
من الدنيا بدون التوبة واخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور
حبسهم كذا في روح البيان تفسير القرآن لاسمعيل الحقي صاحب الكشف والعرفان
بشرى لنا معشر الاسلام بان لنا من العناية ركنا غير منهدم
لما بين من اول هذه القصة اللطيفة الى هنا ما يدل على افضلية عليه السلام
والشرفية من جميع الانام وعلو رتبته وسمو درجته وكونه نائلا الى النعم الكثيرة
والاكرام والكلم الغفيرة كان قائلا قال اصاب شيء لامته من تلك النعم
وهل كان لهم ذلك العروج وكان في حقهم من الكرم فاجاب عنه بالبشارة
والسرور بيان نعمة اصاب لهم من ذلك العبور فقال بشرى لنا اه البشرى

اما خبر

اما خبر مبتداء محذوف اي هذه القصة بشرى ولنا صفة او مبتداء اي بشرى قد ثبتت
واما بشرى مبتداء خبره لنا فح يرد عليه ان بشرى نكرة والمبتداء لا يكون نكرة ويجاب ١٢
بانه مخصص لانه موصوف بصفة محذوف اي بشرى عظمى او بانه فاعل في المعنى
اي ما ثبت بشرى ثم ان البشرى بمعنى المسرة والفرح ومعشر بالنصب على انه
منادى او على الاختصاص كما في الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث والمعشر
بمعنى الجماعة قال في كليات ابي البقا كل جماعة امرهم واحد فهو معشر والتسمية
بجماعة الاسلام خاص لهذه الامة لان التسمية باسم المسلم من خصائصهم كما تبين
وقوله ان بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مما سبق اي البشارة مخصوص لنا
نحو تبين قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يا معشر الاسلام لان لنا من العناية
ركنا غير منهدم وكل من شانه كذا فالبشارة فامته له فينتج المطلوب ولنا
ظرف مستقر مرفوع على انه خبر ان واسمه قوله الآتي ركنا ومن العناية ظرف
مستقر منصوب على انه حال من ركنا قدم على ذي الحال لكونه نكرة وجعله صفة
لركنا بعيد كل البعيد كما لا يخفى والمراد من العناية مزيد الاعتناء لمصالحهم والكرامة
عليهم وهي العنايات الازلية التي تورث السعادة الابدية وهي الخصائص التي
لم توجد تلك في سائر الامم منها احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها ومنها
ومنها انه جعل الارض لهم مسجدا ومنها انه جعل الارض لهم طهورا ومنها الوضوء
فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم ومنها مجموع الصلوة الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم
ومنها الاذان والاقامة ومنها البسملة حيث لم تنزل على احد من الامم ومنها
التامين خلف الامام ومنها الاختصاص بالركوع ومنها الصفوف في الصلوة
كصفوف الملائكة ومنها الجمعة ومنها ساعة الاجابة التي في الجمعة ومنها
انه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا
وتزيين الجنة لهم فيه واستغفار الملائكة لهم في كل ليلة منه وكون ذنوبهم

مغفورة جميعًا في اخر ليلة ومنها السحور وتعجيل الفطر ومنها ليلة القدر ومنها
ان لهم الاسترجاع عند المصيبة ومنها ان الله رفع عنهم الاصر والاغلال
ومنها ان الله لم يجعل لهم في الدين من حرج ومنها ان الله رفع عنهم المؤاخذة
بالخطا والنسيان ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم
الا الانبياء ومنها ان شريعتهم اكمل الشرايع ومنها انهم لا يجتمعون على
الضلالة ومنها ان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة ومنها انهم اقل الامم عملًا
واكثرهم اجرًا ومنها ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الامم عذابًا
ومنها اذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة ومنها انهم اوتوا الاسناد
وهو خصيصة فضيلة من خصايص هذه الامة ومنها انهم اوتوا تصنيف
الكتب ومنها ان فيهم اقطابًا واوتادًا ونجباء وبدلاء ومنها انهم يدخلون
قبورهم بذنوبهم ويخرجون عنها بلا ذنوب لانها تغفر عنهم باستغفار المؤمنين
لهم ومنها انهم اختصوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من بين
الامم ومنها يدعون يوم القيمة غرًّا محجلين من آثار الوضوء ومنها انهم يكونون
في الموقف على مكان عالٍ ومنها انهم يوتون كتابهم بايمانهم ومنها انهم يدخل
الجنة منهم سبعون الفًا بغير حساب ومنها انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم
وركن الشيء جانبه الاقوى الذي يستند ذلك الشيء اليه لغة قال تعالى او آوي
الى ركن شديد وفي الاصطلاح ركن الشيء ما يتقوم به ذلك الشيء والمراد هنا
معناه اللغوي اعني معنى المستند يعني ان لنا مستندًا وطرفًا قويًا وهو النبي عليه السلام
وشريعته وغير منهدم بالنصب صفة ركنًا ومنهدم اسم فاعل من الانهدام بمعنى
الزوال والمعنى غير مخوف انتقاضه فان هذه الشريعة باقية الى يوم التناد
وبعناية رب هاد لما دعى الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم
لما كانت الصغرى المذكورة في البيت السابق اعني قوله ان لنا من العناية اه
نظرية

نظرية اراد ان يثبتها فقال لما دعى الله اه فترتيب قياسه هكذا ان لنا من العناية
ركنًا متينًا لانه لما دعى الله داعيًا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم فان لنا
من العناية ركنًا غير منهدم لكن المقدم حق فالتالي مثله فحق ان لما ظرف بمعنى
اذ يليه فعل ماض لفظًا ومعنى وههنا وليه ماض لفظًا ويكون جوابها فعلًا ماضيًا
لفظًا كما وقع ههنا ومعنى اتفاقًا وقد يكون جوابه ماضيًا مقرونًا بالفا وقد يكون
جملة اسمية مقرونة باذا للمفاجأة وبالفا عند ابن مالك ويكون مضارعًا عند ابن
عصفور وقد يكون لما حرف استثناء الا فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله
تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي الا عليها وقد يكون فعلًا نحو لم لما ويكون
جازمة اذا دخلت على المضارع فالتي في الدرشا وفي قوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم
لما ظلموا القلما ظرف يستعمل للتعليل وليس المراد منه الوقت المعين انتهى وكذلك
ما وقع ههنا ودعى بمعنى سمى والله فاعله وداعيًا مفعول دعى وسكون يائه
للضرورة والداعي ههنا بمعنى الهادي والنفيد للدعوة والمراد به رسول الله عليه السلام
ولطاعته اللام بمعنى الى متعلق بداعينا والطاعة بمعنى العبادة والظاهر انما راجع
الى الله او الى الداعي المراد به الرسول والطاعة اليه طاعة الى الله ولذا قال تعالى
من اطاع الرسول فقد اطاع الله الاية وباكرم الرسل متعلق بدعى الله ووجه تسميته
تعالى اياه عليه السلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقوله عليه السلام انا
اكرم الخلق على الله وادم ومن دونه تحت لوائي وقد سبق تفصيله وكنا جواب
لما واكرم الامم بالنصب خبر كنا والامم جمع امة والامة بمعنى الجماعة فان كل امة جماعة
لنبيهم والنبي امامهم والحاصل ان كونه عليه السلام اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم
لان الامة تابعة والنبي متبوع فاكرمية التابع انما هي من اكرمية المتبوع
وبعض اهل الكلام من العلماء الاعلام جعل القضية بالعكس كما لا يخفى على اولي الافهام

مطلب في بيان [illegible]

ثم اعلم انه مما يدل على اكرميته هذه الامة حديث ذكره ابو نعيم في الحلية عن انس انه قال قال رسول الله عليه السلام اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال تعالى ما خلقت خلقاً اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال موسى فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال

راعت قلوب العدى انباء بعثته كنبأة اجفلت غفلاً من الغنم

لما فرغ من قصة المعراج وما يتعلق به من حصول الوصول وقطع كل مراتب من القرب والوصول وصعوده الى ما فوق سدرة المنتهى وبلوغه الى المقصود والمنى شرع في بيان بعض غزواته وشجاعته ومحاربته في مجاهدة الجهاد لدفع اهل الكفر والعناد وتطهير الارض من اهل الزيغ والفساد فبين اولاً وقوع الخوف في قلوبهم بهيبة اخبار بعثته وانباء نبوته فقال راعت قلوب العدى اه راعت من الروع بمعنى التخويف وقلوب العدى بالنصب مفعول راعت وهو جمع قلب وهو محل الادراك وكيفية ادراكه مجهولة وكونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على ما في التلويح لم يقم عليه شبهة فضلاً عن الحجة وقد يطلق على المضغة التي في الجانب الايسر والمراد به ههنا المعنى الاول كالايجي والعدى بكسر العين مقصور جمع عدو كالاعداء والمراد بهم اعداء الدين من الكفار والمشركين والانباء بالرفع فاعل راعت وهي جمع نبأ بمعنى الخبر وخبر البعثة وان كان في ذاته

واحدة

واحدة جمع بالنظر الى المخبر اليه لانه كثير او باعتبار المخبرين او جمعه مجاز للتعظيم لشانه فتدبر والبعثة مصدر بمعنى الرسالة والنبوة والضمير راجع اليه عليه السلام اي كونه رسلاً وكونه مدعياً للنبوة واظهار بطلان اديانهم وكسر اصنامهم في معابدهم ثم الى ينظر لكون اعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال كنبأة اه النبأة بمعنى صوت الاسد وجملة اجفلت صفة نبأة وهو من الاجفال بمعنى الاهراب اي اهربت وفرقت وافزعت وغفلاً بالنصب مفعول اجفلت والغفل بضم الغين جمع غافل والغنم اسم جنس يقع على القليل والكثير وحاصل المعنى ان اخبار نبوته وانباء بعثته فرقت قلوب الاعداء من الكافرين من اهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الاسد هربت الاغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية وفي هذا البيت اشارة الى نصرته عليه السلام بالرعب اذ ورد في الحديث الصحيح انه عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر وفي حديث شهرين حيث وقع الهيبة على قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله فكانوا يجيئون من الاقطار ويؤمنون بالنبي المختار

ما زال يلقاهم في كل معترك حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

ثم شرع الى بيان جهاده وقتاله في المعارك والكتائب وكونه غالباً عليهم بالرماح والقواضب فقال ما زال يلقاهم اه ما زال بمعنى دام مجازاً او يلقاهم من اللقا بمعنى الملاقات وفاعله راجع اليه عليه السلام وضمير مفعوله راجع الى الكفار ويقرأ يلقاهم باشباع الميم بضمة لضرورة الوزن والمعترك على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعني كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الكفار في محل الحرب كما خرج لاجل المقاتلة ويغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين مرة قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وبني قريظة وخيبر وحنين

والطائف وفتح مكة وسياتى بيان بعضها ان شاء الله تعالى وحتى متعلق
بمقدر اى كان يلقاهم فى كل معترك ويقتلهم حتى حكوا وحكوا من حكى بمعنى
شابه كما فى قوله ظلناك فى تشبه صدغيك بالمساك وقاعدة التشبيه
نقصان ما يحكى بها وضمير الجمع راجع الى الكفار يعنى شابه الكفار بالقنا وهو بفتح
القاف بمعنى الرمح والباء فيه للتشبيه وفيه حذف مضاف اى بسبب ضرب القنا ولحما
منصوب مفعول لحكوا وعلى وضم ظرف مستقر على انه صفة لحما والوضم بفتحتين
خشب او حديدة يقطع القصاب اللحم ويعلقه عليه ويترك معدا لكل من يميل اليه
ويرغب فيه وحاصل معنى البيت ان النبى عليه السلام جاهد اعداء الاسلام فى كل معترك
وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى عليهم وشبّه القتلى مشابهين اللحم الموضوع الخشب
والمتروك فى الاعيان بلا حجب ولا يخفى ما فيه من تشبيه الاصحاب بالقصاب
والكفار بالغنم ورماح الاصحاب بقنا القصاب فى كمال شجاعته وصحابه
واتباعه واقربائه وكون قلوب الاعداء فى غاية الجبانة فى السرّ والعلانية وكون
موتاهم معلقة على الرماح مع فضاعة وافتضاح **وَدّوا الفرار فكادوا يغبطون**
به اشلاء شالت مع العقبان والرخم لما بين خروجه عليه السلام والملاقاة بالكفار
وقتلهم بعناية الملك الجبار اراد بيان بعض ما وقع فى تلك الغزوات من انهزام
اهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا فرار مع سعتهم بتواطئ بعضهم بعضا
فى الفرار فقال ودّوا الفرار وودّوا من الودّ بمعنى المحبة يقال ودّه اى احبه
او بمعنى التمنى وضمير الجمع للكفار والفرار بالنصب مفعول ودّوا يعنى ان
الكفار احبوا الفرار من المقابلة به عليه السلام والجهاد لعدم اقتدارهم الى
المقابلة بل الى المقاولة والفاء فى فكادوا للعطف والتفسير وكادوا من الافعال
المقاربة اى قربوا وجملة يغبطون بالنصب خبر كاد وهو من غبط يغبط كضرب

يضرب وقال فى القاموس كضرب وسمع والاسم الغبطة بكسر الغين وهو تمنى
حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير زوالها و قد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة
والسرور والمراد ههنا هو المعنى الاول والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق فى
مبحث الايات فتذكر وبه متعلق بيغبطون والباء سببية والضمير راجع الى الفرار
واشلاء بالنصب مفعول يغبطون وهى كاشياء جمع شلو بمعنى العضو وشالت
بمعنى ارتفعت وجملة شالت منصوب محلا على انه صفة اشلاء وضميره
راجع اليها ومع حال من فاعل شالت ولا يجوز ان يكون ظرفا لشالت
كما ذهب اليه بعض الشارحين لانهم قالوا ان كلمة مع يستعمل على ثلثة اوجه
بمعنى الحال نحو جاءنى زيد مع عمرو وبمعنى الظرف والظرف اما ان يكون بمعنى
بعد او بمعنى عند ولا يجوز ان يكون ما وقع ههنا فى هذه المعنيين فيكون
حالا لا ظرفا كما لا يخفى والعقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من سبع الطير
يصاد ويصاد به والرخم بفتحتين جمع رخمة وهو ايضا نوع من الطير الذى يقع
على الميتة وفى بعض الاوقات يرفع الدجاجة ومن قال ان الرخم جنس وواحده
رخمة فقد غفل عن كتب اللغة كما لا يخفى على الثقات وحاصل معنى البيت ان
اهل الشركة والعناد انهزموا فى الجهاد وتمنوا الفرار عن المجاهدة لسيد الابرار وتقاربوا
من كمال خوفهم وتعب جهدهم ان يتمنوا ان يكونوا مثل قطع اللحم التى ترفعها الطيور
كى يتخلصوا من جهاد نبى المعبود **تمضى الليال ولا يدرون عدتها ما لم تكن من**
ليالى الاشهر الحرم لما بين انهزامهم وفرارهم من خوفهم عن القتال اراد ان يبين
كون خوفهم باقيا فيهم فى كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رعبهم
حاملا اياهم على حال لم يعرفوا عدد الايام من الشهور والاعوام حتى تجيئ
الايام المعدودة فى الشهور الاربعة المعهودة فقال تمضى الليالى تمضى بمعنى

تمر والليالى فاعل تمضى وتمر الليالى تغليب المؤنث على المذكر اعنى الايام فانه
وان كان الاصل تغليب المذكر على المؤنث كما فى القمرين للشمس والقمر وكما فى الايات
الكثيرة كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لكن غلب ههنا على خلاف الاصل بناءً
على الاصل ولان فى ذكر الليالى ايماء الى سواد حال اوقاتهم فان ظلمة الزمان
وسواده كناية عن ذلك ولان فيه اشارة الى ان حالهم فى الليالى التى هى اوقات
الاستراحة كانت كذلك فكيف زمان ايامهم المخلوطة بالكدورات ومن لم يجعله
باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فليس له من الفهم نصيب
ولا يدرون الواو للحال ويدرون من الدراية اى لا يعلمون وعدتها بالنصب مفعول
يدرون والعدة بكسر العين بمعنى العدد وضميره راجع الى الليالى اى لا يعرفون عدد
الايام والليالى لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه حيث كان تضرعهم وخوفهم
فى كل زمان وان تخصص عن غلبة الحرب والنيران وما فى مالم تكن ظرفية مصدرية
اى مالم تكن وضمير المؤنث فى تكن راجع الى الليالى ومن متعلق بلم تكن والاشهر
جمع شهر والحرم بالجر صفة الاشهر وهو بضمتين جمع حرام والمراد بالاشهر الحرام
اربعة اشهر وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والرجب والمحرم اول الشهور ولذا يدخل
عليه الالف واللام فى اكثر استعماله وعدد الشهور اثنى عشر شهراً اولها المحرم
وكان اسم المحرم فى صدر الجاهلية المؤتمر لانهم كانوا يأتمرون فيه من العادات
فسمى بالمحرم لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس وثانيها
صفر وكان اسمه فى الجاهلية ناجر لانه تنحر الابل اى تهزل فيه فسمى صفراً
لصفر الاشجار فيه اولا صفرار مكة من اهلها اذا سافروا يقال دار صفر اى خال
او لاصفرار وجوههم حين وقع فيها للناس حمى ووباء وثالثها ربيع الاول وكان
اسمه فيها خوان ورابعها ربيع الاخر وكان اسمه فيها وبصان فسميا

ربيعين لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم فى الخصب وخامسها جمادى الاولى وكان
اسمها فيها حنين وسادسها جمادى الاخرى وكان اسمها فيها ورنة فسميا جمادى
لجمود الماء فيهما فجميع الشهور مذكرة الا الجمادين وسابعها رجب وكان اسمه
فيها اصم لانه لا يسمع فيه صوت السلاح فسمى رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له
وفى الروضة لم يعذب الله امة فى رجب وثامنها شعبان وكان اسمه فيها
عجلان ثم سمى شعبان لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم بالغارات او لانشعاب
الخيرفيه وتاسعها رمضان وكان اسمه فيها رمضان ناتق فسمى رمضان لانه
ترمض فيه الذنوب اى تحرق او لرمض الفصال وعاشرها شوال وكان اسمه
فيها عاذل ثم سمى شوال شوال الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر انها حامل او
لان العرب كانت تشول فيه اى تشرع عن امكنتها وحادى عشر منها ذو القعدة
لقعودهم فى رحالهم عن الغزو والحرب واثنى عشر منها ذى الحجة وكان اسمه
فيها برك ثم سمى ذى الحجة لاداء الحج فيه فاعلم ان تسمية هذه الشهور
بهذه الاسامى انما هى بالنظر الى ما وقع يوم تسميتها ولا يلزم كلية ما به
التسمية كما لا يخفى ثم اعلم ان عدد الاسبوع سبعة اولها سبت كما يدل
عليه قول الشاعر الم تر ان الدهر يوم وليلة يكر ان من سبت عليك الى
سبت وكان اسماء ايام الاسبوع فى الجاهلية ايضاً غير الاسماء المعهودة
حيث كانوا يقولون لاحد اول وليوم الاثنين اهون وللثلاثاء جبار وللاربعاء
دبار وللخميس مونس وللجمعة العروبة وللسبت شيار ثم ان اسماء ايام
الاسبوع من الاعلام الغالبة فيلزمها اللام وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام
وحاصل معنى البيت ان الكفار قد بلغوا الحال قد كانت تمر الليالى ولا يعلمون
عددها من شدة الالام والظلم ولما رأوا فيه من الغاشيات والغموم وغايتها

حساب الايام والليالى مالم تجئ ايام الاشهر الحرام والليالى فاذا جاءت
تلك الاشهر الاربعة المكرمة كانوا فى بيوتهم بالاستراحة منقادة لكون النبى
فارغا عن القتال فى تلك الاوقات اى المشهود بعد زوال لكونه مشغولا بعبادة رب
الكبير المتعال ذى الجمال والجلال كانما الدين ضيف حل ساحتهم بكل قرم الى لحم
العدى قرم لما بين انهزام المشركين فى المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم الى المقابلة كان مظنة
ان يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها القيام فاراد كشف القناع واللثام عن
هو سببه وبيان كون باعثه مقابلتهم بالاسلام وقد ورد ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه
فى كل عام فقال تشبيه لطيف كانما الدين اه فكان للتشبيه وما كافة والدين
فى اللغة بمعنى العادة بدليل قول الفراء بن الرص عادته وبمعنى الحساب كقوله ذالك
الدين القيم اى الحساب المستقيم وبمعنى الجزاء خيرا وشرا كما فى قولهم كما تدين تدان
وقول الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا وفى العرف وضع الهى سائق
لذوى العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات ثم ان الدين يقع على الحق والباطل
جميعا لكونه عبارة عما يعتقد به سواء كان حقا او باطلا ولهذا يقال دين
اليهود والنصارى باطل ودين الاسلام حق والمراد بالدين ههنا الاسلام
لان الدين عند الله الاسلام ويمكن ان يراد بالدين ههنا صاحب الدين
وداعيه وصاحبه اعنى النبى عليه السلام مجازا من قبيل ذكر السبب وارادة
السبب والضيف بمعنى المسافر فالدين مشبه والضيف مشبه به وجملة
حل ساحتهم صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيوده وحل بمعنى نزل و
الساحة بمعنى صحن الدار وضمير الجمع راجع الى الكفار وبكل قرم حال من
فاعل حل اى ملتبسا ومصحوبا بالمعافيه والقرم بفتح القاف وسكون
الرا بمعنى السيد والمراد بكل قرم صحابة رسول الله عليه السلام والى لحم

العدى

العدى متعلق بقرم الموضع والمراد من العدى الكفار وقرم بالجر صفة بعد صفة
لضيف او صفة لكل قرم وهو الاقرب لفظا ومعنى والقرم بفتح القاف وكسر الرا بمعنى
شديد الاشتهاء الى اللحم وحاصل معنى البيت ان دين الاسلام او صاحبه اعنى
نبينا افضل الانبياء الفخام مثل سلطان نزل للضيافة فى ساحة دارهم مستوليا
على سلطان بلادهم مصاحبا بجنود كلهم ائمة الاسلام والسادات الكرام
مطيعين لسيدهم مع القيام بخدمته بالاهتمام مشتهين الى لحوم الاعداء وازالة
الاشقياء وتمزيق اجسادهم وتخريب بلادهم واسر اولادهم مع الغلبة فى كل الايام
فالاسلام لا يقبل الانهزام لانه يعلوا ويغلبوا فى كل ولا يعلى ولا يكون مغلوبا
لو كان اعدائه كالجبال فمن كان مصاحبه هذا الدين المتين فله فى الدنيا والاخرة
عذاب مهين ومن كان الدين له حبيبا يعطى الاله له من الجنة نصيبا
يجر بحر خميس فوق سابحة يرمي بموج من الابطال ملتطم لما اتم بيان
انهزام الكفار وسببها وبعثها بكلام لم يبق فيه شبهة الصغار والكبار اراد بيان شوكة جيش
عليه السلام ومتانة صحابة الفخام وكون عسكره تام الاركان وكونه كثيرا كامل الاطراف
بلا نقصان فقال يجر بحر خميس الخ جملة يجر خبر مبتدا محذوف اى هو يجر والضمير المستتر
راجع الى الدين المراد به رسول الله عليه السلام والعدول عن الماضى الى
المضارع لاستحضار الصورة البديعة او لتناظر بالنظر الى ذات النبى عليه
السلام وبحر بالنصب مفعول يجر واضافة البحر الى الخميس من اضافة
المشبه به الى المشبه اى خميس مثل بحر والخميس العسكر الذى تم اركانه
سمى به لكونه مشتملا على خمسة اركان لانهم قسموا العسكر الى خمسة
اقسام المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب وتشبيه الخميس

يقال لهذا الشكل الخميس
مقدمة
والساقة قلب ميمنة
ميسرة

بالبحر انما هو في الهيبة والاهلاك وتموج البعض على بعض بلا انفكاك والمراد بحر العسكر ابادهم في المحاربات والذهاب بهم الى المقاتلات وفوق صفة خميس وسابحة صفة موصوف محذوف اى خميس كائن فوق خيل سابحة والسابحة من السبح والسبوح الفرس الحسن الذى يجرى تحت راكبه بلا اتعاب له ولا مشقة اليه كانها سفينة تجرى في البحر وجملة يرمى صفة خميس وضميره راجع اليه او راجع الى البحر والموج من ماج البحر اى اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والمراد بالموج ههنا السهام والرماح ففيه استعارة مصرحة بان شبه الرماح والسهام بامواج البحر في الاهلاك والجريان وامداده بعضه فوق بعض والهيجان فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج واريد السهام والرماح فيرمى قرينة لهذه الاستعارة وقوله من الابطال تجريد او في الموج استعارة بالكناية كما لا يخفى وقوله من الابطال ظرف مستقر على انه صفة لموج اى موج حاصل من الابطال او بيان لقوله الآتى اى ملتطم والابطال جمع بطل بمعنى الشجيع الفتك وملتطم بالجر صفة موج وهو على صفة اسم الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان ففي ضمير في الملتطم الراجع الى الموج استعارة بالكناية اذ المراد بالالتطام هنا مصادمة الابطال واصطكاك اسلحتهم كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ما زال النبي عليه السلام يجر ويقود جندا تم الاركان له خمسة الطرف كانهم بحر وكلهم من الاشراف يحيى كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير وفوق سائرة كسريان السرير على متن الماء الكبير الى مضار المعارك ومبادى المهالك يرمى ذلك الجند سهاما ورماحا الى الكفار كامواج البحار وهم ابطال يتصادم ويتصاكك اسلحتهم بالاضطراب بلا فرار من الاعداء والاجتناب

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ ثم شرع الى عد

اوصاف ابطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقاتلة هو الاجابة الى امر الله الكريم وكونهم ماهرين في استعمال الاسياف والرماح وحاذقين في علوم السهام والسلاح فقال من كل منتدب الخ ثم ان من كل منتدب بدل من الابطال والمنتدب اسم فاعل من الانتداب والانتداب بمعنى الاجابة الى الدعوة الى شيء بالحث والاغراء اى من كل مجيب لدعوة الله ففي قوله لله حذف مضاف ومحتسب بالجر صفة منتدب وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى العمل لله والاخلاص فيه طلبا لمرضات الله كما في قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا بالحديث وقوله يسطو صفة بعد صفة او حال وضميره راجع لكل منتدب ويسطو بمعنى يصول ويغلب على الاعداء وبمستأصل الباء فيه للمصاحبة او للاستعانة متعلق يسطو والمستأصل على صيغة اسم الفاعل من استأصل اى قلعه من اصله وهدمه بلا بقية اثره والمعنى بالة مستأصل وقاطع وللكفر متعلق بمستأصل وفيه مجاز حذفي لى لاهل الكفر من قبيل قوله تعالى واسئل القرية او قلع الكفر كناية عن قلع اهله فتدبر ومصطلم بالجر صفة مستأصل وتأكيد له وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من اصطلمه بمعنى اهلكه اى مهلك ثم ان في هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام انتدب الله لمن خرج في سبيله ومعنى الحديث من خرج وقصد الى الجهاد في سبيل الله وطلبا لمرضات الله كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد او سارع الله الى ايفاء مقابلة جهاده بالمثوبات او اوجب الله ان ينجز له ما وعد له من الجنة والحور والغلمان وحاصل معنى البيت ان اولئك الابطال المهرة في ابطال اهل الضلال كل مجيب لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل اليه في الغنى والعيل ومجتهد في الاخلاص النية بلا اعراض ولا اخفاء المنية

مع الاحتساب الى مرضات الله بلا غرض غير الرضا مثوبات الله يسطو ويحمل
كلهم بالات قوية مستاصلة لكفر الدينة وباسلحة مهلكة يجمع اهل الفساد
مقطعة ويطهر الارض من اهل الفساد حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم
من بعد غربتها موصلة الرحم لما بين كون النبى عليه السلام موردا للجنود
الكاملة الى الكتايب للقاتلة وبعض اوصاف ابطال جنوده واحوال شجعان
جيوشه كان مظنة ان يسئل عن ثمرة جهادهم ونائجة قتالهم وحماتهم فقال
دالا لذلك الظن ومبينا الثمرة ذلك الفن فقال حتى غدت اه كلمة حتى اما غاية
ليحل او ليسطوا والتخصيص بالاول تخصيص بلا مخصص كما لا يخفى وغدت بمعنى
صارت وملة الاسلام بالرفع اسم غدت واضافة الملة الاسلام الى بيانية
اى ملة هى الاسلام او من قبيل شجر الاراك واعلم ان الدين والشريعة والملة
والناموس متحدة بالناس اى بالذات ومتغايرة بالاعتبار اذ الطريقة
المخصوصة الثابتة من النبى عليه السلام يسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن
حيث يردها الواردون المتعطشون زلال نيل الكمال شرعا وشريعة ومن
حيث تملى وتكتب او يجمع عليها الناس للقبول ملة من الاملال بمعنى
الاملاء ومن امل بمعنى اجتمع ومن حيث لها ملك اسمه ناموس ناموسا
وقوله وهى بهم الواو للحالية وهى مبتداء وبهم ظرف مستقر خبر مبتداء
وضمير هى راجع الى الملة اى والحال انها منصورة بهم ومن بعد غربتها متعلق
لما بعده وضمير المؤنث راجع الى الملة الاسلام والمراد من غربة الاسلام استغراب
احكامه كل احد لعدم معرفته وعدم التلاوة به او المراد منها كونه لا انس
ولا صحب ولا حفظ ولا حميم له يؤدى امره ويسعى فى مصالحه كالرجل الغريب
ثم موصلة الرحم بالنصب خبر غدت والموصلة من الصلة والرحم القرابة

الفرق بين الدين والشريعة والملة والطريقة

وصلة الرحم

وصلة الرحم عبارة عن رعاية الاقارب بزيارة وتفقد احوالهم واعطاء
نفقة من يجب عليه نفقته وفى الحديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام
والمراد من صلة الاسلام الاكرام اليه باحيائه وباكثار اصحابه وحاصل
معنى البيت انه قد كانت نهاية جزه عليه السلام العسكر الكثير وفائدة
صولتهم وحملتهم على اهل النار والزمهرير كون ملة الاسلام والحال انها
منصورة بهم ومصونة عندهم موصولة الى احبابه واصحابه الذين هم
عززوها بالتلاف ابدانهم فى بابه ومن اتباعه واتباع اتباعه ممن اقتدى
بحجابه ما دام الزمان الى يوم القيمة بدولا به بعد كونها غريبة ذات كربة
وبعد ما لم يكن لها باحد صحبة ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام
ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبا للغرباء رواه مسلم فى صحيحه
مكفولة ابدا منهم بخير اب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم
ثم اراد بيان كون الاسلام دائما باحيائهم الى يوم القيام ومحفوظة عن النسخ
والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال مكفولة ابدا اه مكفولة
اما بالنصب او بالرفع فعلى الاول اما بدل عن موصولة او عطف عليه بحذف
صيغة العطف للضرورة او حال عنها او خبر ثان لغدت وعلى الثانى
اما خبر مبتداء محذوف اى هو او هى او خبر ثان لغدت تدبر والمكفول
اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن والكفيل بمعنى الضامن والحافظ فمعنى
مكفولة محفوظة ومصونة وابدا منصوب على الظرفية المكفولة والابد بمعنى
الدهر والزمان الطويل وبمعنى الدائم وفى غنا فيه الابد بمعنى الوقت
المستقبل الغير المتناهية كما ان الازل بمعنى الوقت الماضى الغير المتناهية وقد
يضافان الى جمعهما فيقال ابد الاباد وازل الازل واما السرمد فاعم منهما

انتهى ومنهم متعلق بمكفولة والضمير للكفار اى تكثرهم واضرارهم واضدادهم
وبجذراب متعلق ايضاً بمكفولة والمراد بالاب رسول الله عليه السلام والصحابة
الكرام والعلماء الكرام مجازا واستعارة مصرحة ووجه التشبيه الكون مظهرا حافظا
والسعى فى حمايته عن اعدائه وهذا تشبيه الملة بالابن فى الظهور وكونه نافعا
وباقيا بعد وفات ابيه وكونه محتاجا الى الحافظ له وقوله وخير بعل عطف
على جذراب فقيد ابدا معتد ههنا والبعل بمعنى الزوج كما فى قوله تعالى وبعولتهن
احق بردهن الاية واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا لقيامه
بامر زوجته كانها مالك لها ورب والمراد بخير بعل النبى عليه السلام واصحابه
وعلماؤه من ورثته شبه النبى عليه السلام واصحابه وورثته بزوج الملة فى القيام
بمصالحها ومنع يد الجانى عنها وهذا بعد تشبيه الملة بالزوجة فى احتياجها الى من
يقيم مصالحها ويحفظها عن مجانبها والفاء فى فلم ييتم تفريعية اى اذا كان
الملة محفوظة بجذراب دائماً فلم تصر يتيماً فييتم من يتم ييتم كعلم يعلم يقال
يتم الولد اذا مات ابوه وهو صغير قيل اليتيم اصل معناه الانفراد وهو الدرة
اليتيمة وقيل هو فى الادميين من قبل الاباء وفى البهايم من قبل الامهات وفى
الطيور من جهتهما وقيل انه يقال فى الادميين لمن فقدت امه والاصح هو الاول
ولم تئم عطف على لم ييتم وهو ناظر الى قوله وخير بعل من قبيل اللف والنشر
المرتب اى اذا كان لها زوج فلم تئم تئم من آمت المراة اذا مات زوجها وخلت
منه ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وحاصل معنى البيت ان ملة الاسلام
كانت كابن الكرام او كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائماً
بالاب الذى هو اكرم الانبياء العظام وهم اصحابه هم اشرف الانام وعلمائه هم
ورثته الى يوم القيام وكانت كزوجة لها بعل اشرف البعول وهو النبى الرسول

واصحابه

واصحابه وعلمائه الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث كانوا فى اقامة امورها
ودونه مصالحها وحفظها عن الاغيار من اهل الشرك والكفار فنعم الاباء
والازواج الكبار هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأوا منهم فى كل مصطدم
لما بين بعض اوصاف شجعانه عليه السلام وثمرة جهاده مع ابطاله بالكفار
شرع فى بيان كون اولئك الابطال ثابتين فى المعارك كالجبال وغير فارين
عن الجدال والقتال فقال هم الجبال آه هم مبتدء راجع الى الابطال السابقة والجبال
بالرفع خبر المبتداء والالف واللام فيه يفيد القصر لكنه ادعائى والجبال جمع
جبل والحمل من قبيل زيد اسد ووجه الشبه التمكن والثبات وعدم الفرار لو جاءت
عساكر الاعداء من الجهات والعظمة والمهابة والمتانة والفاء فى فسل اما سببية
او تفريعية اى ان لم تصدقنى فسل وسل امر من سأل يسأل اى فيلزم لك السؤال
وعنهم ظرف لسل والضمير للكفار ومصادمهم بالنصب مفعول به لسل والضمير
للابطال والمصادم بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى لقاء العسكرين
واصطكاك خيولهم وقيل هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب وماذا
رأوا بدل من مصادمهم اى فسل عنهم اى شئ رأوا وضمير الجمع فى رأوا
راجع الى الكفار ومفعول الرؤية محذوف اى رأوه او العامل فى ماذا رأوا
المؤخر قدم عليه لاقتضاء الاستفهام الصدارة فى الكلام ومنهم متعلق برأوا والضمير
للابطال المراد به الاصحاب وفى كل مصطدم متعلق برأوا والمصطدم اسم مكان
بمعنى محل الحرب وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الذين هم الابطال متشبهون
بالجبال فان لم تصدقنى فسل عن الكفار ببيان مضاربة اولئك الكبار ومقاتلتهم
مع اهل النار وسل منهم ماذا رأوا من اولئك شجعانه فى كل معارك وكتائب
وميدان من السيوف والسهام وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا فصول حتف لهم

اوهي من الوضم لما ذكر مواضع حروبه عليه السلام في قوله السابق في كل مصطدم
بالابهام اراد بعض تفصيل ذلك الغزوات وذكر بعضها للتبرك به والتذكار
فقال وسل حنيناً الواو عاطفة وسل امر كما سبق انفاً وحنيناً بالنصب
مفعول به لسل اى اهل حنين من قبيل واسئل القرية والحنين بضم الحاء وفتح
النون واد بين مكة والطائف وهو المعروف في زماننا ببدحنين وقد وقع فيها
محاربة عظيمة بين الفريقين وقصتها انه لما فتح الكة رسول الله عليه السلام اقام بها
خمسة عشر ليلة فلما سمعت به هوازن جمعها مالك ابن عوف البصرى فاجتمع
اليه مع هوازن ثقيف وبنو نضر سعد بن ابي بكر وغيرهم فقصدوا حرب رسول
الله عليه السلام فلما سمع به رسول الله عليه السلام امر الناس بالخروج الى حنين
يوم السبت ست ليال خلت من شوال فخرج عشرة الاف من المسلمين الذين
شهدوا فتح مكة وثلثة الاف من غيرهم فنظر رجل من المسلمين الى عسكر الاسلام
فقال اعجاباً من كثرتهم لن نغلب اليوم من القلة فساءت تلك المقالة رسول
الله عليه السلام وذلك قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ثم
ساروا ولا يعلمون كون العدو ومخبراً منهم وكان الاعداء مكمنوا في شعاب
ظلمة الوادى فحملوا على المسلمين بلا اخبار فوقع ما وقع لكون عسكر الاسلام
مغروراً بالكثرة وعدم قولهم ان الله هو الناصر فتفرق المسلمون وبقى
رسول الله عليه السلام وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه
العباس اخذاً بلجام بغلته البيضاء وابو بكر وعمر وعلي وحمزة من سائر الصحابة
ثم طفف رسول الله عليه السلام يركض بغلته نحو الكفار ويقول انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم قال يا رب ائتني ما وعدتني من النصرة وقال
للعباس ادع الناس بالنداء وكان العباس بليغ الصوت فنادى الانصار
وغيرهم

ودفع

وغيرهم فاجتمعوا فالتقى الفريقان فانزل الله نصره ونزلت الملائكة عليهم فنظر رسول
الله الى الكفار فاخذ كفاً من تراب فرماهم به وقال انهزموا ورب الكعبة شاهت
الوجوه فحرفت التراب كانها غمامة فدخلت في اعين كلهم فانهزموا وسل بدراً كرر
العامل للوزن والبدر اسم موضع بين مكة والمدينة وقد وقع فيه محاربة فاعز الله
الاسلام واهله قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فبيض الله وجه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
واخزى الشيطان واحزابه قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية وقد كانت هذه
الغزوة اعظم غزوات الاسلام وقد كان خروجهم في رمضان وجملة عسكر الاسلام ثلثمائة
وخمسة عشر رجلاً وكان المشركون الفاً فكان في تلك الوقعة قتالاً عظيماً فانزل الله
سكينته على رسوله وايده بجنود الملائكة فقتل من المشركين في ذلك سبعون واسر
منهم سبعون وقتل اكثر صناديد القريش في ذلك اليوم وقد وقع في هذه الغزوة
عجايبات ومعجزات لا يتحمل هذا المقام ذكرها ولو بالاجمال في الكلام وسل احداً
عطف على القريب والبعيد والاحد بضمتين موضع بقرب المدينة وهو محل المحاربة
وقصته انه لما اصابت بقريش يوم البدر بليات وقتل صناديدهم اجتمعوا
لحرب رسول الله واطاعهم قبائل كثيرة وكان عددهم ثلثة الاف رجل فارسلوا اليه
عليه السلام اخبار مجيئهم وكان يوم الجمعة فخرج رسول الله الى الخطبة فامر الناس بالنهوض
وقال ايها الناس اني رايت في منامي بقراً ينحر ورايت كاني في درع حصينة
ورايت كان سيفي انفصم ورايت كاني مردف كبشاً فاولت البقر نفراً من اصحابي
يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة واولت انفصام سيفي شيئاً يصيبني
في نفسي واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله تعالى فشاور رسول
الله مع اصحابه فرأى رسول الله الاقامة في المدينة وقال رجل من المسلمين اخرج
بنا يا رسول الله الى اعدائنا فخرج يوم الجمعة فلما التقى الجمعان انهزم المشركون

فاخذ الناس الى الغنائم فاجمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ للمسلمين ما وقع
من الشهادة واصابة الحل لرسول الله وفيه حكم ومصالح له تعالى كاظهار
كمال استغناء عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضي بقضائه و
والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه وقوله فصول حتف بالنصب مفعول سل
اى عن فصول والفصول جمع فصل وهو كانفة من الزيالة والحتف الهلاك اى ازمنة
الهلاك ولهم ظرف مستقر صفة حتف اى حصل لهم واو هى صفة فصول او صفة او حال
وهو اسم تفضل من الراهية بمعنى الا العظيمة والبلية النازلة الجيبة من الوخم متعلق باوهى
والوخم بفتحتين مرض يقال الوبا وهو مرض عام للاسلم مريضه غالبا عمه الموت ومعنى البيت معلوم
المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت من العدى كل مسود من اللمم
ثم شرع الى بيان كمال مهارتهم فى استعمال السلاح وغاية حذاقتهم فى تقلبت
الرماح فقال المصدرى اه المصدرى اما منصوب على المدح اى امدح المصدرى او مجرور
على انه بدل من الضمير فى منهم فى البيت السابق والمصدرى جمع مصدر اسم فاعل
من اصدره بمعنى جعله صادرا فاصله مصدرين سقط نونه بالاضافة والاضافة
فيه كاضافة الضارب الرجل والبيض جمع ابيض والمراد به السيوف المعقولة كما
فى قوله وقلنا كانت البيض القواضب فى الوغى براقة فهى الان من بعدها تبر
وحمرا بالنصب على انه حال من البيض اى ملطخة تلك السيوف المعقولة بالدماء
الحمر بضم الحاء وسكون الميم جمع احمر وبعد ظرف للاصدار وما مصدرية
ووردت بمعنى دخلت واتصلت والضمير للسيوف ومن العدى ظرف مستقر
حال من كل مسود الوخم وكل مسود بالنصب مفعول لوردت ومن اللمم
بيان للمسود واللمم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المسترسل الى المنكب
والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة الى ان الكفار المقتولين

شباب

شباب اولى قوة وحاصل معنى البيت امدح اصحاب الكرام والابطال العظام بانهم
المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعد ما اتصلت تلك السيوف
ووصلت الى رؤوسهم وبعد ما قطعتهم بابدانهم ورؤوسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم
النفوس نفوسهم والكاتبين بسمر الخط ما تركت اقلامهم حرف جسم غير منعجم
لما بين كون الاصحاب ماهرين فى استعمال السيوف اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال
الرماح والسلاح فقال والكاتبين بسمر الخط اه الواو عاطفة والكاتبين عطف على المصدرى
والكاتب بمعنى الساقط والناقش على شىء والباء فى بسمر الخط متعلق بالكاتبين والسمر كالحمر
جمع اسمر والمراد به نصال الرماح والخط اسم بلدة فى البحرين تنسب اليها الرماح اعنى خطها
يقال رماح خطية اى رماح حسنا ذات قيمة غالية فاضافة السمر الى الخط الادنى ملابسة
وما نافية وجملة تركت حال من الكاتبين واقلامهم بالرفع فاعل تركت اى غير تاركين
اقلامهم او الجملة مستانفة والاقلام جمع قلم والمراد بها السلاح او الرماح مجازا واستعارة
كناية كما لا يخفى لتغيرها وحرف جسم منصوب مفعول تركت والحرف بمعنى الطرف
او بمعنى الناقة المهزولة كما فى قوله وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدال يؤم الرسم
غيرة النقط واضافة الحرف الى الجسم بمعنى اللام على الاول وللبيان او من قبيل اضافة
المشبه به الى المشبه اى جسم كحرف على الثانى والمراد من الجسم جسم من قابلهم
من العدى وغير منعجم بالنصب حال من حرف جسم ومن جعله صفة له فقد
بعد عن سلامة المعنى كما لا يخفى ومنعجم على صيغة اسم الفاعل من انعجم بمعنى قبل النقط
ومعنى غير منعجم غير منقوط وهو بمعنى مطعونة مجازا واستعارة تبعية كما لا يخفى
تدبر ولا يخفى ما فى هذا البيت من ايهام التناسب من ذكر الكاتب والخط
والقلم والحرف ومنعجم وحاصل معنى البيتين ان الاصحاب كانوا يكتبون وينقشون
على صفحات اجسام العدو المهزولة التى هم كالحروف المهزولة بالرماح الخطية

المأمونة عن الانكسار وما تركت اقلامهم التي هي الرماح طرف جسم من الكفار الا تركته
بعد جعله منقوطاً ومطعوناً ومنقوشاً بالآثار شاكي السلاح لهم سيما تميزهم
والورد يمتاز بالسيما من السلم لما بين اوصاف اللطيفة للاصحاب التي هم بها يمتازون
عن المشركين واهل الكتاب اراد ان يبين ايضاً كونهم ممتازين بذواتهم وسيماهم
ما عدا الثياب فقال شاكي السلاح اي شاكي السلاح اما صفة للمصدري او بدل
او حال منه وشاكي مقلوب شايك اي تام السلاح كما في قوله لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم وهو جمع شاكي اصله شاكين حذف نونه بالاضافة
وتوهم كونه مفرداً لا يصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل كما لا يخفى ثم ان قوله شاكي السلاح
اجمال بعد تفصيل وقوله لهم ظرف احتمال مستقر خبر مقدم وسيما مبتدأ والجملة صفة بعد
صفة للمصدري او حال عنه وتقديم ما حقه التأخير مفيد للحصر والسيما بمعنى العلامة
التي تكون في وجه الانسان يستدل به على بعض احواله وجملة تميزهم صفة لسيما وتميز
بمعنى تفرق وضميره المستتر راجع الى السيما والسيما مؤنث بالالف المقصورة والضمير
المفعول راجع الى الاصحاب اي للاصحاب سيما تفرقهم عن الكفار وقوله والورد جواب
سؤال مقدر كأنه قيل يمتاز بالسيما شيئان كانا من جنس واحد لان الاصحاب
والعدى كلهم من بني آدم فاجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا القول والورد بفتح
الواو ثمر شجر معلوم يقال له بالعربي ايضاً حوجم والسلم بفتحتين شجر ينبت شجر الورد
وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر فالورد مجاز بمعنى الشجر او الورد
على حقيقته والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر وحاصل معنى البيت ان اصحاب
رسول الله كانوا تامي الاسلحة ممتازين عن الكفار واهل الشقا بالاوصاف اللطيفة
وحسن السيما لانهم اشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كما انه يمتاز
شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد في حق الاصحاب
سيماهم

سيماهم في وجوههم من اثر السجود فهم ثمار اشجار حدائق الوجود واذا هبت رياح عسكر الاسلام
والجنود تهدى اليك رياح النصر نشرهم فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي
ثم شرع الى بيان كونهم منصورين في جميع الجهاد وان لم يكن كذلك في بعضه في عيون
العباد فقال تهدى اليك اي تهدى من اهدى يهدى بمعنى توصل او بمعنى ارسال الهدية
واليك متعلق بتهدى والخطاب لكل احد وجملة تهدى حال ورياح بالرفع فاعل
تهدى وهي جمع ريح والمراد من رياح النصر التأييدات بالنصرة كما في قوله عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والمراد من الرياح الدولات كما في قوله
اذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل عاصفة سكون واضافته الى النصر بمعنى النصرة
مجاز اذ وما النصر الا من عند الله ونشرهم بالنصب مفعول تهدى والضمير
راجع الى الصحابة والنشر في الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة والمراد الطيبة والمراد به
هنا اخبارهم الطيبة وانباؤهم العجيبة ففيه استعارة ومجاز كما لا يخفى والفاء في فتحسب
للتفريع وتحسب بصيغة الخطاب بمعنى تظن والزهر بالنصب مفعول تحسب
والالف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر والزهر نورة النبات وفي الاكمام
ظرف مستقر حال من الزهر او صفة منه والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف
الازهار والزهر جمع معنى لكون لامه للاستغراق والاكمام جمع ايضاً فيقتضي انقسام
الآحاد الى الآحاد اي كل واحد من الازهار في كل واحد من الاكمام ومن جعل الاكمام
جمع كم بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضاً عن المضاف اليه اعني رسول الله واعتبر القلب
في البيت وقع في التكلف وكل كمي بالنصب مفعول ثان لتحسب والكمي بمعنى الشجاع
وهو بتشديد الياء فقيل خفف للضرورة قال اكثر الشراح في البيت قلب
اعني ان المفعول الثاني لتحسب وهو قوله كل كمي مقدم على المفعول الاول
اعني قوله الزهر في المعنى فح يكون المعنى فتحسب كل شجاع في درعه زهراً في اكمامه

وحاصل معنى البيت ان اصحاب الكرام كانوا منتصرين فى جميع الجهاد وغالبين على
الكفار حتى نهتدى ونوصل اليك هدية كلما هبت رياح النصرة وتحركت اخبار
تاييداتهم بالبركة والدولة اخبارهم فاذا كانت كذلك فنتعجب كلما رأيت الازهار
فى الكمامة كانها اولئك اصحاب الشجعان فى الدروع لان الازهار كما كانت ذات
رايحة طيبة فكذلك اولئك الاصحاب اولو نشر وفوحة عجيبة كانهم فى ظهور الخيل
بنت ربى من شدة الحزم لا من شدة الحزم لما بين كونهم ماهرين فى استعمال
والنصال اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال الخيول فى مظار القتال فقال
كانهم اه كان للتشبيه والضمير للاصحاب وفى الظهور ظرف مستقر حال من الضمير والظهور
جمع ظهر بمعنى المتن والخيل اسم جنس يقع على الذكور والاناث واضافة البنت
الى الربا من قبيل شجر الاراك والربى بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلث فى الراء وتشبيه
الاصحاب ببنت الربى وخيولهم بالربى انما هو فى الثبات والتقرر فى مدة كثيرة
اذ الربى انبت على الارض من سائر النباتات لطول عروقها ووصولها الى الماء من شدة
متعلق بكاف التشبيه والشدة بكسر الشين والحزم بفتح الحاء وسكون الزاء بمعنى قوة
الثبات ومراعات الاستعمال وقوله لا من شدة دفع توهم نشا مما قبله من ان ثباتهم
على الخيول يجوز ان يكون لشدة سرجها وقوة ربطها لا من ذواتهم فدفع بقوله من شدة
الحزم لا من شدة الحزم والشدة الثانى بفتح الشين كما ان الحزم الثانى بضم الحاء
والزاء جمع حزام وهو ما يشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام
وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا ماهرين فى استعمال الخيول وكانوا ثابتين
عليها بلا تحريك كانهم عليها بنت ربى فى الثبات والتقرر وشدة الرسوخ
وقوة المتانة لا لما يشد به سرجها ولا لما يستحكم به جلها طارت قلوب العدى
من بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم والبهم لما بين كون الاصحاب فى غاية الشجاعة

ونهايه

ونهاية المتانة ومهارتهم فى استعمال آلات الحروب اراد ما يتفرع عليه من الخوف الحاصل
منهم لعقول العدى والقلوب فقال طارت اه الجملة طارت ابتدائية وهى من الطير
بمعنى التحرك من مكانه وقلوب العدى بالرفع فاعل طارت وفيه مجاز واستعارة فاما
فى طارت استعارة تبعية او فى قلوب استعارة مكنية كما لا يخفى وبالجملة المراد من
طيران القلب اضطرابه وانزعاجه ومن بأسهم متعلق بطارت ومن نشائية
والبأس بمعنى الشدة كما فى قوله تعالى واطعموا البائس الفقير وضمير الجمع راجع الى الاصحاب
وفرقا بالنصب مفعول له حصولى لطارت كما فى قعدت عن الحرب جبنا او مفعول
مطلق له او تمييز من نسبة او حال من فاعله تدبر والفاء فى فما تفريعية او سببية
وما نافية وتفرق من التفريق وضميره المستتر راجع الى القلوب والبهم الاول بفتح الباء
وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة ولد الغنم والبهم الثانى بضم ففتح جمع بهمة بضم
فسكون بمعنى الشجاع ولا يخفى ما فى هذا البيت من الجناس المحرف فى قوله بهم وبهم
والجناس الشبيه بالمشتق فى قوله فرقا وتفرق وحاصل معنى البيت ان قلوب الاعداء
اضطربت من اجل شدة اولئك الاصحاب فى الحرب وفزعت وزالت عقولهم الى
ان صارت لا تميز بين الشجاع والسخلة ومن يكن برسول الله نصرته
ان تلقه الاسد فى آجامها تجم لما بين كون الاصحاب منتصرين فى كل الغزوات
غير فارين عن الكفرة وكان النادر شرع الى بيان السبب الموصل الى ذلك فقال ومن يكن اه
الواو ابتدائية ومن شرطية ويكن بالجزم اما تامة او ناقصة وبرسول الله خبر مقدم
ليكن والباء فيه اما للاستعانة او للسببية وتقديمه لضرورة الشعر ونصرته بالرفع
اسم يكن واضافته اما الى الفاعل او الى المفعول وان شرطية وتلقه مجزوم بان واصله
تلقاه وضمير المفعول راجع الى من والاسد بضم الالف وسكون السين جمع اسد
بمعنى الهزبر وهو بالرفع فاعل تلقه وتقديم مفعول تلقه على فاعله اشارة الى ان الرجل

لا يلاقي باختياره الى الاسد وفي آجامها اما متعلق بتلقه او بتجم المؤخر والآجام بالمد جمع اجمة وهي ارض كثيرة القصب واضافة الآجام الى الضمير الراجع الى الاسد لادنى ملابسة
ثم ان هذا القيد اعني في اجامها يفيد المزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد في اجمته اشد بأساً واصعب هلاكاً منه في امكنة اخر لتوفير الغيرة في الدفع عن ساحته
وتجم بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوماً بمعنى حزن او سكت والضمير المستتر فيه راجع الى الاسد وجملة جواب الشرط الثاني والشرطية جواب الشرط الاول
وحاصل معنى البيت ان اصحاب الكرام ما كانوا منتصرين في الجهاد والا بنصرته عليه السلام واعانته فانه من كان نصرته واعانته واغاثته على محاربة الاعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى ان تلقه جميع الاسد المشهودة باهلاك من لاقا اليه في امكنة المسماة بالغابة وهي فيها اجراء منها في غيرها تسكن على حالها خوفاً واحتراماً لرسول الله عليه السلام ثم اعلم ان البيت اشارة الى ما روى
من تسخير الاسد لمولى رسول الله الذي اسمه سفينة حين ارسله عليه السلام الى معاذ باليمن فلقى اليه الاسد في الطريق فقال سفينة انا مولى رسول الله عليه السلام ومعه كتابه فهمهم الاسد وتنحى عن الطريق وفي رواية اخرى عن سفينة ان سفينة تكسرت فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله فجعل يغمزني بمنكبيه حتى اقامني على الطريق ودلني اليها ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقصم ثم اكد البيت السابق لكونه نظيراً بهذا البيت فلذا قال ولن ترى اه
الواو عاطفة ولن نافية وترى على صيغة الخطاب من الرؤية اما العيني او العلمي ومن ولي كلمة من زائدة وتنوين ولي للتكثير والولي بمعنى القريب وغير اما بالجر على انه صفة ولي او بالرفع على انه خبر مبتدا المحذوف او بالنصب على انه حال وهذا كله ان كان الرؤية الرؤية البصرية والا فهو المفعول الثاني ومنتصر اسم مفعول من انتصر

انتصر وبه متعلق به والضمير اليه عليه السلام والمراد بالانتصار به التقوى والتأييد به ومن قال ان المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل ولا من عدو عطف على من ولي اي ولا ترى من عدو له عليه السلام وغير بالجر او بالرفع او بالنصب ومنقصم اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرقا وروي في بعض النسخ بالفاء وهو كسر بلا فصل كما كان الاول مع فصل وحاصل معنى البيت ان الاصحاب منتصرين به عليه السلام في كل الاوقات اذ لن تعلم ولن تبصر ولياً له عليه السلام غير منصور به ولا ترى عدواً غير مكسور به بل كل ولي به منتصر وكل عدو له منكسر اعلم ان جميع الاولياء منتصر به عليه السلام ولذا قال الولي الشيخ احمد الملثم لم يكن الاقطاب اقطاباً والاوتاد اوتاداً ولا الافراد افراداً الا برسول الله وبتعظيم اليه عليه السلام واجلالهم لشريعته وكل من كان عدواً لشريعته عليه السلام كان عدواً له عليه السلام وكل من كان عدواً لصواحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه السلام فهو عدوه ولذا قال الحقي في روح البيان حكي عن بعض الكبار انه قال كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لا مخلص لاحد عن الهوى ولو كان فلاناً اذ به النبي عليه السلام حيث قال حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فقلت له اما تستحيي من الله فانه عليه السلام ما قال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من الله ثم حصل لي غم وهم من سماعي مثل هذا الكلام فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لي لا تغتم فقد كفينا امره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل في الطريق نعوذ بالله من الاطالة على الانبياء والورثتهم من العلماء والاولياء انتهى احل امته في حرز ملته كالليث حل مع الاشبال في اجم لما توهم ان يستفاد من الابيات السابقة ان الانتصار به عليه السلام خاص باصحابه دون سائر امته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال احل امته بمعنى انزل وامته بالنصب مفعول احل والامة نوعان امة الاجابة وهي كل من امن به

عليه السلام وامة الدعوة وهي كل من بلغه دعوة النبي عليه السلام والمراد بها ههنا
الاول وفي حرز متعلق باحل والحرز بكسر الحاء بمعنى الحصن ففيه تشبيه الدين
بالحصن الحصين في حفظ من دخلها من الاعداء وكالليث حال من فاعل احل
والليث اسم للاسد ومحل الثاني صفة الليث بناء على ان اللام فيه للعهد الذهني
او حال وهو ايضا بمعنى نزل والاشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد
وفي اجم متعلق بحل الثاني والاجم بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه الاسد شبه الناظم
الفاهم نبينا عليه السلام بالاسد في السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش
وحماية الاولاد وشبه امته باولاده في كونه عليه السلام سبب حياتهم كالاسد وشبه
الملة بالاجم في ان كل منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وحاصل معنى البيت
انزل رسول الله المبين امته في دينه الحصين كما انزل الليث مع اولاده في اجامه
للتحصين فلا يستولى على امته شخص لظلم ولا ينزل عليهم بلية فان قلت كثيرا اما ترى
امته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لا يعد ولا يحصى فكيف يصح هذا
البيت من الناظم الفاهم قلت مراد الناظم كونهم محفوظين عن بليات الآخرة
ومن مثل الخسف والمسخ ومثلها من البليات التي نزلت على سائر الامم او نقول
ان امته محفوظة عن جميع ما ذكر ومن المغلوبية ومن كان مغلوبا ونزل عليه
بليات فليس من امته اذ امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض الدنيا فانه عليه
السلام ما دعى الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة
ومن اعرض عن الدنيا يكون سالما عن البلايا وعن كونه مغلوبا بالاعداء واما
من عدل عن سبيله واعرض عن متابعته واقبل على الدنيا ولحق بالذي قال الله في حقه
فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فقد خرج عن سبيله واعرض
عن كونه امة له فله البلايا والمغلوبية للاعداء فتامل يا رجل من حين تمسيه
الى حين تصبح لا تسعى الا من الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا الفانية
ثم

ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك لنا ما ابعد ظننا وما اخس طمعنا
ثم اعلم ان في هذا البيت الى ما جاء في الحديث القدسي لا اله الا الله حصني
ومن دخل حصني امن من عذابي والى قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وفي قراءة شاذة وهو اب لهم كم جدلت كلمات الله من جدل
فيه وكم خصم البرهان من خصم لما استفيد من البيت السابق كون الاسلام حصنا
حصينا لا يستولى عليه احد من عدوه بل هو يغلب على اعدائه اراد تفصيله فقال كم
جدلت اه كم خبرية للتكثير وجدلت من التجديل وهو بمعنى الوضع على الارض اي كثيرا
من المرات وضعت على الارض وكلمات الله بالرفع فاعل جدلت والمراد كلمات الله
القرآن العظيم اذ الاسلام عبارة عنه ومن جدل مفعول لجدلت ومن زائدة والجدل
بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة وفيه متعلق بجدل والضمير اما راجع الى الملة بتاويلها
بالاسلام والدين او برسول الله فيكون مجازا حذفيا اي في دين رسول الله وكم خصم
عطف على كم جدلت وخصم بالتشديد من المبالغة بمعنى كثير ما غلب في الخصومة
والبرهان بالرفع فاعل خصم والمراد بالبرهان اعم من المعجزات والكرامات الباهرة
ومن في من خصم زائدة كمن جدل وقد جاز زيادته في الاثبات كما في قولنا قد كان من مطر
او الفعلان المذكوران ههنا وان كانا مثبتين صورة لكنه متضمن معنى النفي تدبر
وخصم بكسر الصاد بمعنى كثير الخصومة وحاصل معنى البيت كم مرة رست الى الارض
في المجادلة كلمات الله التي جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصا كثير الجدال
وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام كفاك بالعلم في الامي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم لما استفيد من البيت السابق ان له عليه السلام
معجزة بها كان الخصم مغلوبا كان مظنة ان يسئل عن تلك المعجزات فاجاب عنه
ببيان بعض ما اشتهر فقال كفاك بالعلم اه كفاك بمعنى حسبك والخطاب

لكل احد والباء فی بالعلم زائدة ککفی بالله واللام فی العلم للعهد الذهنی وفی الامی
صفة العلم او حال عنه والامی منسوب الی الام وهو الاصل وهو فی العرف عبارة عمن
لم یعرف الکتابة ولم یقرأ من الخط ولم یتعلم من معلم ولم یجلس من یدی الاستاد
بطریق العادة بل بقی علی اصل الخلقة والفطرة وقیل معنی الامی منسوب الی ام العرب
وهم قوم غالبهم عدم معرفة الکتاب والحساب ومعجزة بالنصب تمیز کما فی طاب
زید نفسا ومعنی المعجزة قد سبق لکن المراد ههنا معنی خرق العادة مطلقا فتذکر
ومن اراد به المعنی السابق یتبصر فان کنت ذا بصیرة فتدبر وفی الجاهلیة متعلق
بالعلم ای فی وقت الجاهلیة وهی عبارة عن زمان انحرف فیه الشرع السابق
ولم یکن فیه الوحی اللاحق وتفرق الناس فی ادیانهم ویسمی ذلک الزمان ایضا
بالفترة والتادیب بالجر علی انه معطوف علی العلم او بالرفع معطوف علی العلم
اذ الباء فیه زائدة والتادیب بمعنی کونه علیه السلام مؤدبا یعنی عدم کونه فاحشا
ولا متفحشا ولا غلیظ القلب لانه کان مجموع محاسن الاخلاق مجموعا فیه علیه السلام
من صباوته الی نبوته علیه السلام وفی الیتم متعلق بالتادیب بلا تکلف والیتم
بضمتین بمعنی موت الاب وبقاء الابن صبیا وحاصل معنی البیت ان معجزاته علیه السلام
کثیرة وشهیرة فاذا نظرت الیه علیه السلام بالعین البصیرة کفاک ایها الطالب
بمعجزاته وآیاته العلوم التی لا یعد ولا یحصی فیه علیه السلام بغیر تعلم من العلماء ولا کتابة
مع الادباء فی زمان کثر فیه الجهل علی الانام وزاد فیه الضلالة بلا انفصام وکذا کفاک
کونه مؤدبا بمکارم الاخلاق والخصال ومتادبا علی وجه الکمال فی اوان یتمه وزمان
حداثة سنه واول خلقه **خدمته بمدیح استقبل به ذنوب عمر مضی فی الشعر والخدم**
لما فرغ عن بیان بعض اوصافه علیه السلام وبیان معجزاته ومعراجه وغزواته
وبعض اوصاف اصحابه الکرام اراد ان یشرع الی الاسترحام من جنابه الکریم والاستشفاع
من ذاته

من ذاته الرؤف الرحیم وبیان الغرض من نظمه بهذه القصیدة اللطیفة المبارکة
الطیبة الشریفة فقال خدمته بمدیح ای خدمته علی صیغة نفس المتکلم من الخدمة
ای مدحته والضمیر له علیه السلام وجملة استئنافیة والمدیح ما یمدح به اعنی ما یبین
فیه الفضائل والمراد به بهذه القصیدة وجملة استقبل صفة مدیح او حال عنه ومن الاستقالة
بمعنی طلب العفو وبه متعلق به والباء فیه للاستعانة والضمیر راجع الی المدیح وذنوب
عمر بالنصب علی انه مفعول به لاستقبل والذنوب جمع ذنب شامل للصغائر والکبائر
وعمر الانسان عبارة عن مدة حیوته واضافة الذنوب بمعنی فی وجملة مضی
صفة عمر ومضی بمعنی ذهب یعنی لا کل عمر بل العمر الذی ذهب اه وفی الشعر
متعلق بمضی والشعر قول موزون وزنا عن تعمد کما ان البیت ما ترکب من المصراعین
والقطعة شعر یکون مؤلفا من سبعة ابیات والقصیدة ما ترکب من عشرة ابیات
فما فوقها والمراد من الشعر ههنا معناه المصدری اعنی اتیان الکلام الموزون عن تعمد
وان کان المراد الاول یقدر فیه مضاف ای فی استعمال الشعر واتیانه والخدم بالجر
عطف علی الشعر وهو بکسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة والمعنی فی انواع الخدمة
او فی خدم المخلوقین تدبر وحاصل معنی البیت انه حاصل المرام من سید الانام بهذه
القصیدة المشتملة علی اوصافه علیه السلام طلبی العفو من الله الملک العلام بسبب مدحی
هذه القصیدة من ذنوب فی مدة حیوته مضت فی الاشتغال بالشعر فی مدح الناس
وذمهم وتلقت فی ارباب الدنیا لاغراض فاسدة فی صحبتهم اذ روی ان الناظم کان
فی اول الامر من مقربات السلاطین وکان یخدمهم ویدفع اعداءهم بانشاء الشعر
فی مدایحهم وفی مذمة اعدائهم وکان قصده جلب الدنیا واخذ المنصب الاعلی وقد سبق
الاشارة الی بعض هذا فی مفتتح الکتاب ثم ان فی هذا البیت رد العجز علی الصدر من
قبیل قوله سریع الی ابن العم یلطم وجهه ولیس الی داعی الندا بسریع

اذ قلّدانى ما تخشى عواقبه   كانّنى بهما هدى من النعم علما

لمّا كان مظنّة ان يسئل من مضمون البيت السابق من طلب عفو الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بانّه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتّى تطلب العفو عنها فقال نعم اذ قلّدانى الخ اذ فاذ للتعليل لطلب العفو وقلّدانى على صيغة التثنية وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم وقلّد من التقليد وهو ربط العنق ثمّ انّ اسناد قلّدانى الى الشعر والخدم مجاز من الاسناد الى السبب وفى قلّد استعارة تبعية بتشبيه لزوم الاثم بالقلادة فى مطلق اللزوم وعدم الافتراق كما لا يخفى وما تخشى منصوب محلاً على انّه مفعول ثان لقلّد وتخشى على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف عواقبها بالرفع نائب فاعل لتخشى وهى جمع عاقبة وضمير عواقبه راجع الى ما والمراد بما تخشى عواقبه الاثم والاوزار الحاصلة بهما وكانّ للتشبيه وبهما ظرف مستقرّ حال من اسم كان وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم فان قلت الا ترى ان يفرد الضمير ويرجع الى ما لانّ ما كان كالقلادة دون الشعر والخدم قلت انّ الشعر والخدم لمّا كانا سببين قويّين فى كون ما تخشى قلادة ذكر السبب واراده المسبّب كما لا يخفى وهدى بالرفع خبر انّ والهدى بفتح الهاء وسكون الدال ما يهدى الى مكّة للذبح فيها ومن شانه ان يقلّد بتعليق شيء فى عنقه ليعلم انّه هدى فلا يتعرّض له شيء ومن النعم بيان للهدى والنعم بفتح النون والعين وهو الابل والبقر والغنم ثمّ انّ فى تشبيه نفسه بالهدى اشارة الى انّه متوجّه فى كلّ امر الى جناب الحق وانّ فعل ما تخشى عواقبه من الاقبال على غير الله على مقتضى قوله تعالى فاينما تولّوا فثمّ وجه الله وحاصل معنى البيت ان طلبى العفو من الله ذنوبى لازم لانّ بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم علىّ الآثام والاوزار ممّا تخشى عواقبه من انواع العقاب فى عاقبة الامر فكانّنى عينت للهلاك بسببها كالهدى المقلّد المعدّ للهلاك وان لم يتحوّل قلبى عن خالق الافلاك

اطعت غىّ الصبا فى الحالتين فما   حصّلت الّا على الآثام والندم

لما استفيد

فيه لطافة فافهم

لمّا استفيد من السابق انّ اشتغاله بالشعر والخدم كان فى بعض عمره اراد بيانه مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيئا من المحاسن فقال اطعت غىّ الصبا اه اطعت اى اتّبعت وغىّ الصبا بالنصب مفعول لاطعت والغىّ بتشديد الياء بمعنى الغواية والضلالة والصبا بكسر الصاد وقت الصباوة والمراد من غىّ الصبا الاغترار بالاباطيل والالتذاذ بالتماثيل والركون والميل الى العاجل وترك النظر فى امر الآجل وفى الحالتين متعلّق باطعت او ظرف مستقرّ صفة لغىّ الصبا اى الحاصلة فى الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم واستفيد من هذا المصراع انّ المقدّم والباعث الى الاشتغال بالشعر والخدم اوان الصباوة والشباب فتامّل والفاء فى فما حصلت للحال وما نافية وحصّلت بالتشديد من حصّل على كذا اى بقى عليه فالمعنى ما بقيت منها على شيء والّا للاستثناء والآثام جمع اثم وهو الذنب والندم بفتحتين الندامة والمراد به ما يترتّب عليه الندامة والّا فالندم نفس توبة وهى موجبة للنجاة قيل فى البيت لفّ ونشر مرتّب اذ الآثام ناظر الى الشعر والندم الى الخدم وحاصل معنى البيت انّى واتّفق وما خلصت عن ضلالة الشباب فى الاشتغال بالشعر والاشتغال بالخدمة وتضييع العمر بهما والحال انّى ما حصّلت وما بقيت الّا على المعاصى والندامة والتحسّر والتحزّن

فيا خسارة نفس فى تجارتها   لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

لمّا بيّن كون نفسه باقيا على الآثام والاوزار غير محصّل لما ينفعه يوم القرار اراد اظهار التحسّر والندامة عليها فقال بالفاء التفريعيّة فيا خسارة نفس فيا كلمة بالنداء وخسارة بالنصب منادى مضاف الى النفس ونداء الخسارة مجاز لانّ الخسارة لا يتاتّى منها الاقبال وانّما المعنى على المبالغة فى شدّة التحسّر كانّه نادى الخسران وقال تعالى يا خسران فهذا اوانك قال ابن الشيخ فى سورة يس

الذاء في مثل هذا المقام يكون لمجرد التنبيه انتهى والخسارة اصابة الضرر
البعد المقصود من التجارة وتنوين نفس عوض عن المضاف اليه اي نفسي وبتجارتها
متعلق بالخسارة وفيه حذف مضاف اي وقت تجارتها وهي حيوة الدنيا والتجارة
طلب الربح بالبيع والشراء وههنا مجاز عن طلب مرضات الله ومثوباته
وانما خسرت نفسه في تجارتها لانها اخرجت استعداد الاعراض عن الدنيا
والتوغل بعبادة المولى عن اليد والقدرة فكانها لا تملك الرجوع اليه ولذا قال
لم تشتر الدين آه جملة لم تشتر استئنافية كانه قيل لم خسرت نفسك في التجارة
فاجاب عنه ببيانه فقال لم تشتر آه وضمير تشتر راجع الى النفس ومعناه لم تختر
ولم تؤثر ولم تستبدل والدين بالنصب مفعول به لتشتري والمراد من الدين
هنا كماله الذي يدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والاخروية وبالدنيا
متعلق بلم تشتر ودنياك كل ما يشغلك عن مولاك وهي هنا بمنزلة الثمن ولم تسم
عطف على لم تشتر وهو من سام يسوم سوما هو الاتيان بمقدمات البيع والشراء
وهذا للمبالغة ثم ان الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز في البيت
استعارة تمثيلية تأمل وحاصل معنى البيت يا خسارة نفسي تعالي
فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومي في تجارتها اذا لم تأخذ الدين بدل الدنيا
ولم يبدل الفاني بالباقي بل لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية
قال في روح البيان ان الله خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية
ثم اشترك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطري القابل للكمال والترقي في القربة
والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله في سبيل الله وطلب
في كل حاله رضاء الله فقد ربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله
وكفر بهما او آمن ولم يأت بعمل حسن اصلا وقد خسر روحه ونفسه جميعا فعلى العاقل

ان يجتهد

ان يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح في تجارته ببذل النفس والمال في طلب الله
فان سلامة رأس المال الذي هو الاسلام مادام حاصلا يمكن ان يتدارك الربح
في صفقة وان لم تحصل في صفقة اخرى فلا ينبغي تضييع العمر فيما لا يعني اذ
الفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسي مكن عمر ضايع بافسوس وحيف
كه فرصت عزيز ست والوقت سيف ومن يبع آجلا منه بعاجله يبن له
الغبن في بيع وفي سلم لما استفيد من البيت السابق انه اشترى الدنيا بالدين
اذ مفهوم المخالفة معتبر في مذهب الناظم الفاهم الامين فكانه قيل ما يحصل
لمن اشترى الدنيا بالدين فاجاب عنه بقوله ومن يبع آجلا آه الواو ابتدائية
ومن اسم شرط مبتداء ويبع مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا والبيع وكذا الابتياع
من الاضداد يقع على فعل المشتري والبايع كالشرى وكذا الاشترى والمراد هنا
ما وقع على فعل البايع واريد منه المعنى المجازي اعني الاستبدال والاخراج من اليد وآجلا
بالنصب مفعول ليبع والآجل يأتي بعد اجل ومدة والمراد به هنا العقبى وما يتعلق
بالدين اذ ثمرته يظهر في الآخرة ومنه ظرف مستقر صفة لآجلا وضميره راجع الى الدين
اي من حظ الدين ومن ارجع ضميره الى من فقد وقع في تكلف تدبر وبعاجله متعلق
بالبيع والعاجل ما يأتي بعجلة والمراد به الدنيا وهو في مقام الثمن المأخوذ في البيع
اذ دخل عليه الباء وضمير عاجله راجع الى من وجملة يبن جزاء الشرط وهو مضارع
من بان يبين اي ظهر فمعنى يبن يظهر قريبا قال الشاعر سوف ترى اذا انجلى الغبار
ا فرس تحتك ام حمار وضمير له راجع الى من والغبن بالرفع فاعل يبن وهو بفتح الغين
وسكون الباء بمعنى الضرر والكامل الزائد زيادة فاحشة وفي بيع متعلق بالغبن
او صفة له وفي سلم عطف على في بيع واعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع
عام لانواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقايضة وبيع العين بالدين

وهو المدابنة وبيع الثمر بالثمن وهو الصرف وبيع الدين بالعين وهو السلم
بفتحتين وما نحن فيه من قبيل السلم ولذا تعرض الى تصريحه بقوله وفي سلم
مع كونه مندرجا تحت البيع ثم ان تنوين بيع وسلم عوض عن المضاف اى في
بيعه وفي سلمه وفي البيت استعارة تمثيلية واستعارة مصرحة وبيانها لا يخفى
على اهل البيان وايما الى رد من القول الدنيا نقد والآخرة نسيئة واعطاء النقد
لها غير معقول فان السلم انما يكون باعطاء النقد للنسيئة وحذاق التجار
تلقوه بالقبول اعلم ان الله تعالى خلق الانسان مركبا من الدنيا والآخرة ولكل
جزء منهما ميل وارادة الى كله يتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففي جزئه الدنيوي
وهو النفس طريق الى دركات النيران وفي جزئه الاخروي وهو الروح طريق
الى درجات الجنان وخلق من هذين الجزئين القلب وله طريق الى اصبع الرحمة
واصبع القهر فمن يرد الله به ان يكون مظهر قهره ازاغ قلبه وحول وجهه الى الدنيا
فيريد العاجلة ويرمي بها نفسه الى ان يبلغ الى دركات الجحيم ومن يرد الله به ان يكون
مظهر لطفه اقام قلبه وحول وجهه الى عالم العلو فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها ان آت
ذنبا فما عهدي بمنتقض من النبي ولا حبلي بمنصرم لما ذكر كون نفسه منهمكة
في اودية المعاصي والاوزار وخسارتها في تجارتها وعدم كسبها ربحا ينفع ولو انفرد
فهم منه انه لم يكن له فوز ونجاة الا العذاب الاليم في يوم الحشر والميقات فوقع نفسه
في دهشة وحيرة وكاد ان تقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع الى تسلية
النفس وتأنيسها ودفع دهشتها وحيرتها ببيان ما يكون سببا لمغفرتها فقال
ان آت ذنبا آه ان حرف شرط وآت بمد الهمزة وكسر التاء نفس متكلم وحده
اصله آتي من اتى يأتي فسقط الياء بالجزم فمعنى ان آت اى ان فعلت وذنبا
بالنصب مفعول آت والذنب عام يشمل كل الذنوب واحدا بعد واحد والفاء
في فما

فالجزاء فلا احزن ولا اقطع الرجاء وطلب العفو او فلا تحزن يا نفسي ولا
تتحير ولا تقطع الرجاء ففي العبارة على كلا التقديرين ايجاز الحذف فيكون قوله
ما عهدي علة للجزاء المحذوف كما لا يخفى وما نافية والعهد بمعنى الميثاق والمراد به
التزامه التوحيد والدين والعقائد والمنتقض من نقض العهد بمعنى عدم الوفاء
به ومن النبي متعلق بمنتقض ولا حبلي عطف على ما عهدي وتكرير النفي للتأكيد
اى لانه لم يكن حبلي آه والمراد من الحبل الوسائل التي بينه وبين عليه السلام
والاصوب ان يكون المراد من العهد والحبل ما سيأتي في البيت الآتي وهو الوعد
الذي جاء في التسمية بمحمد ومنصرم على صيغة اسم الفاعل بمعنى المنقطع وحاصل
معنى البيت ان افعل ذنبا وكسبت سيئا فاني ارجو ستره وغفرانه لان عهد الذي
هو الايمان ليس بمنتقض لان نقض التوبة بارتكاب المعصية لا ينقض عهد الايمان
ولان حبلي اى الوعد الآتي ليس بمنقطع من جهته عليه السلام بل هو موصول في كل حال وزمان
فان لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم
لما بين في البيت السابق ان له عهدا وذمة مع النبي عليه السلام وكان في مفهوم
ذلك خفاء اراد دفعه وتفسيره فقال فان لي ذمة آه الفاء للتفسير والذمة بمعنى الامان
كما في قوله عليه السلام ويسعى بذمتهم ادناهم ويطلق على العهد ايضا ومنه ظرف
مستقر صفة لذمة والضمير راجع الى النبي عليه السلام وبتسميتي متعلق بالذمة
والباء فيه للسببية والتسمية ان كان مصدر المعلوم يكون اضافة المصدر الى
المفعول الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياي لان الالقاب تنزل من السماء مقدر او غير مذكور ظ
ويلقى على المسمى او تسميته مسمى اياي محمدا ويحتمل ان يكون النبي خاطب للناظم في
رؤياه بهذا الاسم او في اليقظة كما وقع في بعض المشايخ الكبرى فيكون التقدير
بتسميته عليه السلام اياي ومحمدا بالنصب مفعول ثان للتسمية ثم اعلم ان اسم

محمد اسم كريم شريف وهو اشرف اسمائه عليه السلام واخصها واعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه فى الدنيا والآخرة وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام وبه كان يكتب من محمد رسول الله وبه يصلى عليه المصلون وبه صعد ملك الموت الى السماء لما قبض روحه والمحمد اه ونقض الكلام فى كتب الانام ثم ان قوله وهو اوفى جملة استئنافية والضمير له عليه السلام واوفى صيغة مبالغة للتفضيل من وفى بالعهد يفى اذا رعى مقتضاه او من وفى بمعنى تم اى اتم الخلق والخلق بمعنى الانام والمخلوقات والذمم بكسر الذال جمع ذمة وحصل معنى البيت فان لى عهدا وميثاقا معه عليه السلام لان اسمى محمد وهو دال على محبته له والاسم لا يتغير بمخالفة المسمى وهو عليه السلام براعات الذمم اوفى فيقوم بحقها بالشفاعة لاهلها فى دار العقبى وفى البيت اشارة الى ما ورد فى الحديث انه عليه السلام قال اتانى جبرائيل فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك عزتى وجلالى لا اعذب من يسمى باسمك بالنار والى ما ورد فى حديث آخر استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى وروى القاضى عياض فى الشفا ان الله تعالى وملائكته يستغفرون من اسمه محمد واحمد ولهذا كان اكثر اسامى العلماء الكرام محمدا ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى فضلا والا فقل يا زلة القدم ثم اراد بيان كونه محتاجا غاية الاحتياج لشفاعة صاحب الآيات والمعراج وكونه مقطوع الرجاء عن سائر العباد ان لم يكن رسول الله له شافعا فى المعاد فقال ان لم يكن آه ان لم يكن جملة شرطية والضمير له عليه السلام وفى جواب هذا الشرط وجهان احدهما ان يكون قوله الآتى فقل والثانى ان يكون محذوفا اى فقل يا شدة البال ويا بؤس الحال والمعاد مصدر او مكان او زمان والمراد به حالة الموت وما بعده

والاخذ

والاخذ باليد عبارة عن النصر والامداد والمعاونة ودفع البلايا وفضلا بالنصب على انه تمييز من نسبة اخذ الى فاعله وايراد الفضل اشارة الى انه لم يكن له حق عليه عليه السلام بل يشفع يشفع تفضلا واستحسانا وقوله والا فيه خلاف بين القوم فقال بعضهم اصله وان لا ادغمت نون ان فى لام لا وجزاء هذا الشرط محذوف ان كان قوله فقل جوابا لقوله ان لم يكن او فقل ان كان جواب ان لم يكن محذوفا وجملة هذا الشرط والجزاء تكون تأكيد الجملة ان لم يكن فتدبر وقال بعضهم الا بالتنوين وكسر الهمزة بمعنى العهد قال تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وهو الاصوب وقوله فقل خطاب لمن جرده من نفسه ويا ذلة اى احضرى فهذا اوانك وزلة القدم عبارة عن الوقوع فى المهالك ويمكن حملها على زلق القدم على الصراط بالوقوع فى النار وحصل معنى البيت اى محتاج الى جناب الكريم فى النجاة عن المهالك والعذاب الاليم حتى لو لم يكن معينا لى فضلا اى احسانا زائدا على الوعد وعهدا وهو الوفا بالذمة والعهد فقل انت نفسك بالخطاب والعتاب يا ذلة القدم ويا سيئ الحال وشتيت البال وشديد الملال

حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه ويرجع الجار منه غير محترم ٤٥

لما كاد ان يتوهم من البيت السابق كون رجا الراجى وسؤال الناجى غير مقبول عند بابه عليه السلام اراد دفعه فقال حاشاه اى انزهه وابرئه وضمير المفعول له عليه السلام ويحرم من حرم يحرم كضرب يضرب او احرم بمعنى منع يتعدى الى مفعولين وهو على صيغة المعلوم او المجهول وسكون ياء الراجى لضرورة الشعر والراجى بمعنى السائل ومكارمه بالنصب مفعول الراجى والمراد بمكارمه هنا الالطاف والحذاقات من جهته عليه السلام ويرجع بالنصب معطوف على يحرم ورجع يجئ مكانه لازما ومتعديا وههنا لازم اى يعود او متعد فالجار اما

منصوب او مرفوع والجار بمعنى الغريب وقد يطلق الجار على المستجير الداخل
في الجوار وخير منه راجع اليه عليه السلام وغير محتشم حال من فاعل يرجع وحاصل
معنى البيت انه عليه السلام منزه عن ان يحرم راجيه وسائله عن الاكرام او يرد
المستجير منه بغير احترام فانه معدن الكمالات ومنبع الاحترامات بل جميع اهل
الدنيا مستفيضون من ذاته عليه السلام **ومنذ الزمت افكاري مدائحه**
وجدته لخلاصي خير ملتزم لما نزه رسول الله عن رده رجاء الراجي وسؤال
السائل اراد بيان حكم منه مما وقع له في الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال
ومنذ الزمت آه العامل في منذ قوله وجدت او كلمة منذ مبتداء وهو بمعنى
اول المدة التي الزمت افكاري آه والزمت من الزمته الشيء فالتزم اي جعلته
كفيلاً للشيء يتكفل به والافكار جمع فكر وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار
ما ليس بحاضر والمراد به هنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته في آن
ومدائحه بالنصب مفعول الزمت وهو جمع مديح والمراد بها مكارمه الحسنة
والاخلاق المستحسنة ولخلاصي متعلق بقوله ملتزم المؤخر والخلاص بمعنى
الفوز والنجاة عن المصائب والبليات والمراد منه بليات الدنيا كالسقم في الجسم
وغيره وخير ملتزم بالنصب مفعول ثان لوجدت وملتزم على صيغة اسم فاعل
بمعنى خير كل ملتزم لو عدهم واحداً واحداً وحاصل معنى البيت لان من اول المدة
التي اوجبت على افكاري مدائحه باخلاص النية وصفاء الطوية وجدته وعلمته قد تكفل لي
وقام بتخليصي من كل شدة وبلية وهذا ناشئ من مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة
ولن يفوت الغنى منه يداً تربت ** ** ان الحيا ينبت الازهار في الاكم
ولما توهم من البيت السابق كونه اهل العطا ومستحقاً للفضل والندا شرع
الى هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى اصاب من لم يكن له استحقاق

اصلاً

اصلا فقال ولن يفوت الغنى آه ويفوت من الفوت والغنى بالكسر
مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام ومنه ظرف مستقر صفة
للغنى او حال عنه والضمير له عليه السلام ويداً اي عن يد وتربت بمعنى افتقرت
واريد باليد ايدي المحتاجين والنكرة في سياق النفي يفيد العموم وقيل يجوز ان
يراد من الغنى المال ويؤيده نسخة الندى وقوله ان الحيا استيناف وتنظير للحكم
المقدم والحيا بالقصر المطر واما بالمد فمعناه الاستحياء قال المصنف حدثني
بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من اكابر السادات
بمكة ان بعض صلحاء مكة رسول الله عليه السلام في المنام وسئل عنه عليه السلام
فقال ءانت قلت يا رسول الله الحيا من الايمان بالقصر فقال رسول الله لا
فاستيقظ وتعجب من ذلك وحكى هذه الوقعة عند علماء مكة فتعجبوا من ذلك
لانهم يتقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا ان الرواة ثقات امنا اذ هو مذكور في البخاري
وغيره فامروه بتكرير التوجه الى الحضرة العلية عليه السلام في الليلة الثانية ففعل
ورأى ذلك الحضرة على الطريق المذكور ثم حكى ذلك عندهم فامروه ثانياً
بتكرير التوجه الى ان بلغ ثلث ليال وكان الامر كما ذكر فاجتمعوا وكتبوا هذه الوقعة
في صحيفة فارسلوا الى سلطان مصر وعلمائه وكان ذلك في زمن الامام ابن الحجر
من المحدثين فلما سمع ابن الحجر ذلك التعجب وقال للسلطان مروه ليجيء الينا فنراه
ونسمع من لسانه فارسل السلطان اليه مبلغاً من النقود لترتيب اسباب السفر
وطلبه فاتى من تلك النقود وذهب اليه بماله فلما وصل استقبله العلماء والكبراء
فلما رأوا سألوه ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا من ذلك فرفعوا القصة الى الامام
برهان الدين المحدث بالشام فقال اريد ان ارى هذا الرجل واسمع ذلك
من لسانه فذهبوا به اليه فحكى عنده كما مر فتبسم برهان الدين لما سبق من الغرق

بين الممدود والمقصور فقال لقد صدق رسول الله فان الحيا، بالقصر المطر والحديث
ممدود ولكن توجه بهذه الليلة وسئل الحجرة نفعل فراى رسول الله فاستكشف
عنه فقال الامر كذلك بارك الله فيك وفي معلمك برهان الدين انتهى
ثم ان اسناد ينبت الحاليا مجاز من قبيل الاسناد الى سببه والازهار بالنصب
مفعول ينبت وهو جمع زهر والاكم بفتحتين جمع اكمة بمعنى راس الجبل الذى
لا يستقر فيه الما والمقصود تشبيه جوده بالمود في عموم النفع وقطع النظر عن ان يشابه
العطا محله وفيه اشارة الى انه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهرى والباطني للعلماء
العاملين ولم اود زهرة الدنيا التى قطفت يدا زهير بما اثنى على هرم
لما كان البيت السابق موهما انه اراد النفع الدنيوى دون الحظ الاخروى فدفع الوهم
عن خيال فقال ولم اود زهرة الدنيا آه اى ما رجوت وما طلبت وزهرة بالنصب
مفعول لم اود وزهرة الدنيا عبارة عن زينتها ومتاعها وبهجتها ونضارتها وفي
التعبير بالزهرة اشارة الى سرعة زوالها كالزهر والى كونها غرارة يفتتن الناس
بحسنها وطعمها وفي بعض النسخ بهذه الدنيا وهذه للتحقير كما في قولك اهذا الذى
يذكر المتهكم والتى صفة للزهرة لا للدنيا وقطفت من قطف الثمرة واقطعها جناها
وكلاهما رواية في البيت ويدا زهير فاعل قطفت اصله يدان وزهير اسم شاعر من
فحول الشعراء وهو زهير بن ابى سلمى كان عمر بن الخطاب لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر
الناس زهير وولده كعب صحابى صاحب بانت سعاد وفي الوشاح لابن دريد ان
كنية زهير ابو بجير وذكر غيره انه مات قبل المبعث واخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده
قال قال لى عمر انشدني لاشعر شعرائكم قلت من هو يا امير المؤمنين قال زهير
وعن ابن الاعرابى قال كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان ابوه شاعرا وهو شاعر
وخاله شاعر واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعران واخته الخنسا
شاعرة

شاعرة وكان معاوية يقول كان اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى وكان اشعر
اهل الاسلام ابنه كعب والباء في بما اثنى للسببية او للبدلية وما اما موصولة اى
الذى اثنى به او مصدرية اى باثنائه والهرم بفتح الهاء وكسر الرا هو هرم بن
سنان من اجود ملوك العرب ولزهير له مدايح كثيرة ومن جملتها قصيدة انشدها
في مدحه اولها غشيت ديارا بالبقيع فثهمد دوارس قد اقوين من ام معبد وحصل
من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة خارجة عن التعداد وحاصل معنى البيت
ظاهر يا اكرم الخلق ما لى من الوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فلما ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة الى مقام الحضور
فناداه في الرجاء بالخطاب لان السؤال بالخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة
فقال يا اكرم الخلق آه وتفصيل الكلام في اكرميته عليه السلام قد سبق فنذكر والالف
واللام في الخلق للجنس او للاستغراق والخلق بمعنى المخلوق وفي بعض النسخ يا اكرم
الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام افضل الخلق بطريق الدلالة وما نافية
بمعنى ليس والوذ بمعنى التجئ واعوذ وبه متعلق بالوذ والضمير له عليه السلام
اى للشفاعة الى الله وسواك منصوب على الظرفية وعند متعلق بالوذ
والعمم بفتحتين وبكسر الميم الاولى وكلاهما مروى وهو عم بمعنى شمل واحاط
والمراد من الحادث الشامل لجميع الخلق اما الموت وهى القيمة الصغرى واما الساعة
وهى القيمة الكبرى والمراد من حلوله ونزوله مجئ وقته ولن يضيق رسول الله
جاهك بى اذا الكريم تجلى باسم منتقم ثم كرر الرجاء بطريق النداء
الى رسول الله الكريم حرصا في السؤال وطلبا للنوال فقال ولن يضيق آه
والواو حالية ورسول الله منصوب على انه منادى محذوف حرف ندائه والجاه
بمعنى الوجاهة وهى رفعة المنزلة وسعة المرتبة والجاه بشفاعتى والاعتنائك

واذ بمعنى اذ للظرفية وتجلى اما بالحاء المهملة بمعنى اتصف او بالمعجمة بمعنى انكشف
باسم منتقم اى بصفة منتقم ثم اعلم انه ذكر الله اولا باسمه الكريم وخصه
بالذكر مع انه من صفات الجمال ثم ذكر اسمه المنتقم فى مقام الانتقام مع انه من
صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا ينقطع قلوب الرجال وهذا مزج لطيف ومعجون
شريف فان قلت انه يستفاد من قوله اذ الكريم اه انه تعالى يتصف بصفة الا
نتقام فيما سيأتى لا فى الازل مع انه تعالى متصف به ازلا وابدا قلت مراده منه
ان الكريم اذا ظهر كمال اثر اتصافه بالاسم المنتقم كما لا يخفى **فان من جودك الدنيا وضرتها**
ومن علومك علم اللوح والقلم لما كان فى مضمون البيت الاول اخفاء ادر تغيره وبيان
وتعليله فقال فان من جودك اه الجود افاضة ما ينبغى لا لعوض ولا لغرض الدنيا
بالنصب تقديرا اسم ان ضرة الدنيا هى الاخرة وانما سماها ضرة لان الجمع
بينهما متعذر الا ان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام
من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب بدنياه اضر بآخرته الحديث ومن
لطائف ما قيل عتبت على الدنيا بتأخير عالم وتقديم ذى جهل فقالت خذ
العذراء بنو الجهل ابنائى لذاك رفعتهم واهل النهى اولاد ضرتى الاخرى
قيل كون الكونين من جوده لانه واسطة فى فيضان الوجود وهى الماهيات وسيلان
الجود على الموجودات فكان الكونين من جوده او يكون مجازا اى حصول خيرهما من
جودك وبركة شفاعتك وفى هذا المصراع تلميح الى الحديث لولاك لولاك الحديث
وقوله ومن علومك عطف على جودك والعلوم جمع علم وهو اما بمعناه او بمعنى المعلوم
اى من معلوماتك علم اللوح والقلم اى المعلومات الحاصلة منها وعلم اللوح
بالنصب معطوف على الدنيا واللوح هو الكتاب المبين ولا يقبل العقل ما فيه من
العظمة واللطافة وما فيه من الحروف والكتابة قيل اللوح اربعة لوح القضاء السابق

عن

عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها
كليات اللوح الاول وتتعلق باثباتها وهى المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينتقش
فيها كل ما فى هذا العالم بشكله ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا ولوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة
والقلم وهو الذى خلق مقدما على جميع الاشياء وقد جعل الله له ثلثمائة وستين سنا كل سن يغرف من ثلثمائة وستين
صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح قال محى الدين العربى اعلم ان الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجود
آخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيمة انتهى قال الغزالى فى كتاب اليواقيت
والجواهر فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم على اللوح الى يوم فالجواب قال الشيخ
فى الباب الثامن والستين ومائة من الفتوحات المكية نعم انا ممن اطلعه الله على ذلك وقال الشيخ اطلعنى الله
على عدد امهات علوم ام الكتاب وهو مائة نوع وتسعة وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحوى
على علوم انتهى ثم اعلم انه قيل ان العلم مصدر مضاف الى فاعله اى علم اللوح والقلم بالاشياء فاحتاج الى القول
بان لها ادراكا وشعورا وقيل انه مضاف الى المفعول اى علم الناس باللوح والقلم وقيل ان انه اطلعه عليه
السلام على ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان وما فيهما متناه يجوز
احاطة المنتهى بالمتناهى قال شيخ زاده هذا على قدر فهمك واما اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهى
فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله تعالى وهو المعنى الحبيب
انه عليه السلام هو الواسطة فى افاضة المنح الظاهريات والباطنيات من المبدا الاول الى الكائنات العلويات
والسفليات واذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعنايته وكنايته ولا يعزب عن علمه حاله وجاهه
فلا يقصر جوده شفاعته **يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت ان الكبائر فى الغفران كاللمم**
لما فرغ من الرجاء بالشفاعة منه عليه السلام شرع الى تأنيس النفس مخاطبا لها بابيات استبعاد
لها عن مظان الزلفى ناهيا اياها عن القنوط فقال يا نفس روى نفس بضم السين على انه منادى
مفرد معرفة وبكسرها على انه منادى مضاف الى ياء المتكلم وتخصيص النفس بالخطاب اشعار بان
القنوط انما ينشأ من النفس ولا تقنطى من القنوط وهو اعظم اليأس وفى المفردات القنوط اليأس عن الخير

و بالفارسية نوميد شدن از خير واعلم ان القنوط من الله تعالى علامة زوال الفطرة الالهية بانقطاع
الوصل بين الحق والعبد اذ لو بقي في شيء من نوره لاصلح لادراك اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجا وصول
ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرا او صغيرا لا الزلة التي
جاءت في حق الانبيا وعظمت بمعنى كبرت وجلت وان الكبائر علة للنهي والكبائر جمع كبيرة وهي ما يوعد الشارع
عليه بخصوصه والذنب ما يذم الآتي به شرعا وقد اختلف الروايات في المعصية الكبيرة روي عن ابن عمر انها
تسعة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق
الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة وتفصيل
الكلام في رسالة مستقلة لابن نجيم في عد الذنوب وفي الغفران متعلق بالكاف في قوله كاللمم واللمم بمعنى صغائر الذنوب
وحاصل المعنى يا ايتها النفس لا تيأسي من رحمة الله ومغفرته ناشيا من المعاصي التي كبرت وعظمت باصرارك
لان الكبائر من المعاصي كصغائر الذنوب في جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التاكيد والتشديد
بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد الرمال والاوراق والنجوم
سواء كانت صغائر او كبائر ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم انشد
عليه السلام بهذا ان تغفر اللهم فاغفر جما فاي عبد لك لا الما لعل رحمة ربي حين يقسمها تاتي على حسب العصيان في القسم
لما علل نهي النفس عن القنوط بقوله ان الكبائر آه اورد علة اخرى لكونها مما يقتضي بشارته فقال لعل رحمة
آه لعل للترجي وانما جاء به لان الاصلح لا يجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا يتجاوز فعله الا الفضل والعدل
ورحمة منصوب على انه اسم لعل وحين ظرف لتاتي المؤخر يقسمها اي يفرق على حسب صلة لتاتي والحسب
بمعنى القدر والعصيان شامل للذنوب كلها صغرها وكبرها وفي ظرف لحسب والقسم بكسر القاف وكسر السين
جمع قسمة بمعنى نصيب وحاصل المعنى يا نفس الامارة المكارة لا تقنطي من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر
كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لاني ارجو واظن ان تاتي رحمة ربي وغفرانه حين يقسمها ربي على قدر
العصيان وفي البيت اشارة الى ما روي عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول جعل الله الرحمة مائة
جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع
الدابة

الدابة حافرها عن ولدها يمص من لبنه فهذا يدل على كمال الرجا والبشارة للمسلمين لانه من رحمة واحدة ما حصل
من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة والحماد وفي الخبر ايضا يؤتى بالرجل يوم القيمة
فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبئوا كبارها فيقال فعلت يوم كذا كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق
من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما اعلمتم بها ههنا قال الراوي
فلقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجا يا رب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم لما ذكر الله تعالى في البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجا
بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال يا رب آه كلمة يا موضوعة للنداء البعيد وقد ينادي القريب بما ينادي البعيد
لحرص المنادي على اقبال المدعو عليه لا يدعوه له ولجعله نفسه في عداد من لا يستاهل القرب لحقارة المنادي
ولعظمة المنادى ورب محذوف الياء اكتفاء بالكسرة ورب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيئا
فشيئا واجعل وقع في بعض النسخ فاجعل بالفاء والرجا بمعنى الامل فالرجا اما بمعنى اسم المفعول او اسم المصدر
ومرجوه النجاة والسعادة وغير منعكس بالنصب مفعول اجعل وهو بمعنى غير مردود اذ انعكاس الرجاء
بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقا ولدى بمعنى عند والحساب يطلق على ثلثة معان العد والترقب
والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عدي نعمك المتوالية وعلى الثاني واجعل ترقبي وانتظاري
مزيد انعامك وعلى الثالث ظني بك وقد قلت انا عند ظن عبدي بي وغير منخرم بمعنى غير منقطع
قطعه من خرمه والطف بعبدك في الدارين ان له صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم
ثم اتم دعائه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال والطف آه اللطف هو الاحسان
الخفي او الذي ليس له سبب جلي فمن لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لو علم سعادته
لقل عمله واستند اليه ولو علم شقاوته ايس وترك التذلل لديه وقيل من لطفه اخفاء اجله
اجله ثم انه وضع المظهر موضع المضمر في قوله بعبدك مكان بي للاستعطاف كما في قوله الهي عبدك
العاصي اتاكا وان له استيناف وتعليل لطلب اللطف وفي الدارين متعلق بالطف والمراد بهما الدنيا والآخرة
وصبرا بالنصب على انه اسم ان وله خبره وكلمة متى من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة

وبالفارسية نوميد شدن از خير واعلم ان القنوط من الله تعالى علامة زوال الفطرة الالهية بانقطاع
الوصل بين الحق والعبد اذ لو بقي في شيء من نوره لاصلح لادراك اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجا وصول
ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرا او صغيرا لا الزلة التي
جائت في حق الانبياء وعظمت بمعنى كبرت وجلت وان الكبائر علة للنهي والكبائر جمع كبيرة وهي ما يوعد الشارع
عليه بخصوص والذنب ما يذم الآتي به شرعا وقد اختلف الروايات في المعصية الكبيرة روي عن ابن عمر انها
تسعة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق
الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة وتفصيل
الكلام في رسالة مستقلة لابن نجم في عد الذنوب وفي الغفران متعلق بالكاف في قوله كاللمم واللمم بمعنى صغائر الذنوب
وحاصل المعنى يا ايها النفس لا تيأس من رحمة الله ومغفرته ناشئا من المعاصي التي كبرت وعظمت باصرارك
لان الكبائر من المعاصي كصغائر الذنوب في جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتشديد
بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد الرماد والاوراق والنجوم
سواء كانت صغائر او كبائر ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم انشد
عليه السلام بهذا ان تغفر اللهم فاغفر جما فاى عبد لك لا الما **لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم**
لما علل نهي النفس عن القنوط بقوله ان الكبائر الخ اورد علة علة اخرى لكونها مما يعتني بشانه فقال لعل رحمة
الخ لعل للترجي والاطماع به لان الاصلح لا يجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا يتجاوز فعله الافضل والعدل
ورحمة منصوب على انه اسم لعل وحين ظرف لتأتي المؤخر يقسمها اي يفرق على حسب صلة لتأتي والحسب
بمعنى القدر والعصيان شامل للذنوب كلها صغرها وكبرها وفي ظرف لحسب والقسم بكسر القاف وكسر السين
جمع قسمة بمعنى نصيب وحاصل المعنى يا نفسي الامارة المكارة لا تقنطي من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر
كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لاني ارجو واظن ان تأتي رحمة ربي وغفرانه حين يقسمها ربي على قدر
العصيان وفي البيت اشارة الى ما روي عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول جعل الله الرحمة مائة
جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى يرفع

الدابة

الدابة حافرها عن ولدها بعض من يصيبه فهذا يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لانه من رحمة واحدة ما حل
من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة والمعاد وفي الخبر ايضا يؤتى بالرجل يوم القيمة
فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبئوا كبارها فيقال فعلت يوم كذا كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق
من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما علمتموها ههنا قال الراوي
فلقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجاء **يا رب واجعل رجائي غير منعكس**
لديك واجعل حسابي غير منخرم لما ذكر الله تعالى في البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجاء
بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال يا رب الخ كلمة يا موضوعة للنداء البعيد وقد ينادى القريب بما ينادى البعيد
لحرص المنادي على اقبال المدعو عليه لما يدعوه له ولجعل نفسه في عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادي
ولعظمة المنادى ورب محذوف الياء اكتفاء بالكسرة ورب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيئا
فشيئا واجعل وقع في بعض النسخ فاجعل بالفاء والرجاء بمعنى الامل فالرجاء اما بمعنى اسم المفعول او اسم المصدر
ومرجوه النجاة والسعادة وغير منعكس بالنصب مفعول لجعل وهو بمعنى غير مردود واذ انعكاس الرجاء
بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولدى بمعنى عند والحساب يطلق على ثلثة معان العد والترقيب
والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عدي نعمك المتوالية وعلى الثاني واجعل ترقبي وانتظاري
مزيد انعامك وعلى الثالث ظني بك وقد قلت انا عند ظن عبدي بي وغير منخرم بمعنى غير منقطع
قطعه من خرمه **والطف بعبدك في الدارين ان له صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم**
ثم اتم دعائه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال والطف الخ اللطف هو الاحسان
الخفي او الذي ليس له سبب جلي فمن لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لو علم سعادته
لقل عمله واستند اليه ولو علم شقاوته ايس وترك التذلل لديه وقيل من لطفه اخفاء اجله
اجله ثم انه وضع المظهر موضع المضمر في قوله بعبدك مكان بي للاستعطاف كما في قول الهي عبدك
العاصي اتاكا وان له استئناف وتعليل لطلب اللطف وفي الدارين متعلق باللطف والمراد بهما الدنيا والآخرة
وصبرا بالنصب على انه اسم ان وله خبره وكلمة متى من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة

للفعل و تدعه فيه رواية ثلثة بالدال بمعنى تطلبه و بالواو بمعنى خوفه و فى اخرى تلقه من الملاقاة
والاهوال جمع هول وهو الشدة والفزع وينهزم مجزوم على الجزائية والجملة الشرطية مع الجزاء
صفة صبرا وحصل المعنى يا لطيف اللطف واحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصى سلامة
الدنيا والآخرة من الشدايد والافزاع لان لعبدك صبرا كائنا متى طلبته الاهوال ولاقاه
او خوفه يعجز صبره عنى لكمال ضعفه **وائذن لسحب صلوة منك دائمة على النبى بمنهل ومنسجم**
لما علم انه لا ملجاء اقوى ولا منجا ولا نجى من ملاذ نفسه عليه السلام ومتبعه بعثه فى كل اوقات
وايام قال وائذن آه الواو عاطفة و هذه الجملة معطوفة على اجعل او الطف وائذن بمعنى اعط
الاجازة والسحب جمع سحاب والمراد من الصلوة مزيد الشرف والكرامة ومنك صفة صلوة ودائمة
صفة بعد صفة له وعلى النبى متعلق بصلوة او دائمة او بمقدر والمراد من النبى محمد عليه السلام
وبمنهل متعلق بائذن اى بافاضة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهل السماء اى صبت
وانهل المطر سال ومنسجم من سجم الدمع وانسجم بمعنى سال ولله در الناظم العالم حيث الحق
بالصلوة على سيد الكرام بابلغ الوجوه واحسن الاكرام حيث جمع فى بيت ذكر الصلوة ودوامها
ونزولها ومبداء النزول ومنتهاه وكثرتها فى ضمن الانصباب وعمومها فى طى البلدان ومحلها
وتشبيهها بالامطار واثبات السحاب قيل فى لفظ ائذن ايذان بان سحب الصلوة حاضرة
واقفة موقوفة على اذنه تعالى والاذن متحقق فانه تعالى ومعه الملائكة يصلون عليه
والآل والصحب ثم التابعين لهم اهل التقى والنقى والحلم والكرم
لما توقف تقرب العبد الى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبى عليه السلام كذلك يتوقف على
التوسل بحضرة آله واصحابه الكرام عقب الصلوة عليه عليه السلام بالصلوة عليهم تحصيلا للقربة
وارشادا للامة وتكميلا للملة فقال والآل آه اصله اهل وآله عليه السلام كل من تبع دينه وقيل كل تقى
نقى وفيه تفصيل لكن المراد به هاهنا اهل بيته والصحب بتخفيف صاحب وجمع له عند من يذهب
الى جعل ركب جمع راكب وايراد كلمة ثم تنبيه على تأخر رتبتهم عن رتبة الآل والاصحاب او ايراده

المجرد

المجرد الوزن كما فى قوله وعجمة ثم جمع ثم تركيب ولهم متعلق بتابعين والضمير للاصحاب والآل واهل التقى
بالجر صفة لكل واحد منهم او بالرفع خبر مبتداء محذوف اى هم والتقى بالضم التقوى واصله وقى
كالتراث والتقوى هو الاجتناب عن المحرمات وما فيه من الشبهات والنقى اى الجياد والطاهر من
جنس المعاصى وفى بعض النسخ النهى مكانه وهو جمع نهية وهى العقل والحلم والكرم وقد سبق بيانه فى وصفه
عليه السلام تذكر وحصل المعنى يا مفيض الخير والجود انزل وافض رحمة دائمة على نبيك المصطفى ورسولك
المرتضى واهل بيته واصحابه واتباعه الذين كلهم جامعون للصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى
والنقاوة والحلم والكرم وهم كاملون من جميع الجهات بشرف المصادفة لمصاحبة اشرف المخلوقات
وآله استحقوا لذلك السلام والصلوة **ما رنحت عذبات البان ريح صبا واطرب العيس حادى العيس بالنغم**
ثم عقب الصلوة بما يبين دوامها وقيامها الى يوم القيام فلذا قال ما رنحت آه ما مصدرية
بمعنى المدة وتلك مدة بقاء الدنيا ورنحت بمعنى حركت واما لت وعذبات مفعول رنحت وهو
جمع عذبة بمعنى الغصن والبان نوع من الاشجار كما سبق فى مفتتح القصيدة وريح بالرفع فاعل رنحت
وهو مؤنث سماعى واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا ريح تهب
من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار قال فى حلبة الكمية اعلم ان الرياح اربعة الصبا وتسمى القبول
وهى تنفس عن المكروب وفى ابن خلكان ان الريح الصبا استاذنت ربها ان تاتى يعقوب بريح
يوسف عليه السلام قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بذلك فلذا يستريح كل محزون بريح
الصبا وهى من ناحية المشرق اذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاوطان والاحباب
والجنوب وهى تجمع السحاب ومنها خلقت الخيل كما ذكره الحاكم ابو عبد الله فى تاريخ نيسابور باسناد
عن على بن ابى طالب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما اراد الله ان يخلق الخيل
اوحى الى الريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبرئيل فاخذ منها قبضة
ثم قال الله تعالى بهذه قبضتى ثم خلق فرسا كميتا وقال خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك
على سائر ما خلقت من البهايم الحديث والشمال والدبور وهى التى تهدم البنيان وتقلع الشجر

وهي الريح العقيم والعاصف والصرصر المذكورة في القرآن وكل ما في القرآن من الريح فالمراد به الدبور
ثم ان اطرب بمعنى اوقع في الطرب وهو بالتحريك خفة الحاصلة للانسان من شدة السرور والعيس بالنصب
مفعول اطرب والعيس جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهو الابل الابيض او التي يخالط بياضها شيء
شيء من الصفرة وحادي العيس بالرفع فاعل اطرب والحادي بمعنى السائق للابل وداعيها وتكرير العيس
الاستلذاذ والنغم بفتحتين جمع نغمة وهي حسن الصوت ثم ان في الختم بالنغم ايذانا بانه يلزم في قراءة هذه القطعة
من نغمة لكونه شعرا ومن المعلوم ان الشعر يقرأ بالنغم ويحسن بها وحاصل معنى البيت يا منفض الخير
والجود اثني وامر للسحب بذلك ما دام حركت واميلت اغصان شجرة البان بريح الصبا وما دام
اعطا طرب وسرور سائق الابل الكريم الابيض اياهم بالاصوات الحسنة قد وقع الفراغ من تصنيفها
وتاليفها بعون الملك العلام وبشفاعة سيد الانام في شهر رمضان من اثنين واربعين بعد المائتين
والالف من هجرة نبي آخر الزمان وارجوا من كل الاخوان توجيه ما وقع فيه من الزلل والفساد
ناشيا من الجهل والفساد اذ هو اول ما فرغته في قالب الترصيف بعون الله الملك اللطيف
مع تشتت الحال واشتغال البال بالاستفادة من الاساتذة الكرام والعلماء الفخام ومع كوني
غريبا والغريب كالاعمى ولو كان بصيرا ومما ورد في بيان شقة السفر قطعة من السقر
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

تم حررت كعفر الحقير الى رحمة ربه القدير
عبد الرحمن بن خليل الخربوتي الكسكني في قرية
خوخعليا وحررته من النسخة
التي كتبها مؤلفها بيده
في بلدة قيصرية
م م م

[illegible] Kısm. Hacı Mahmud ef. Yeni Kayıt 3315 Eski Kayıt